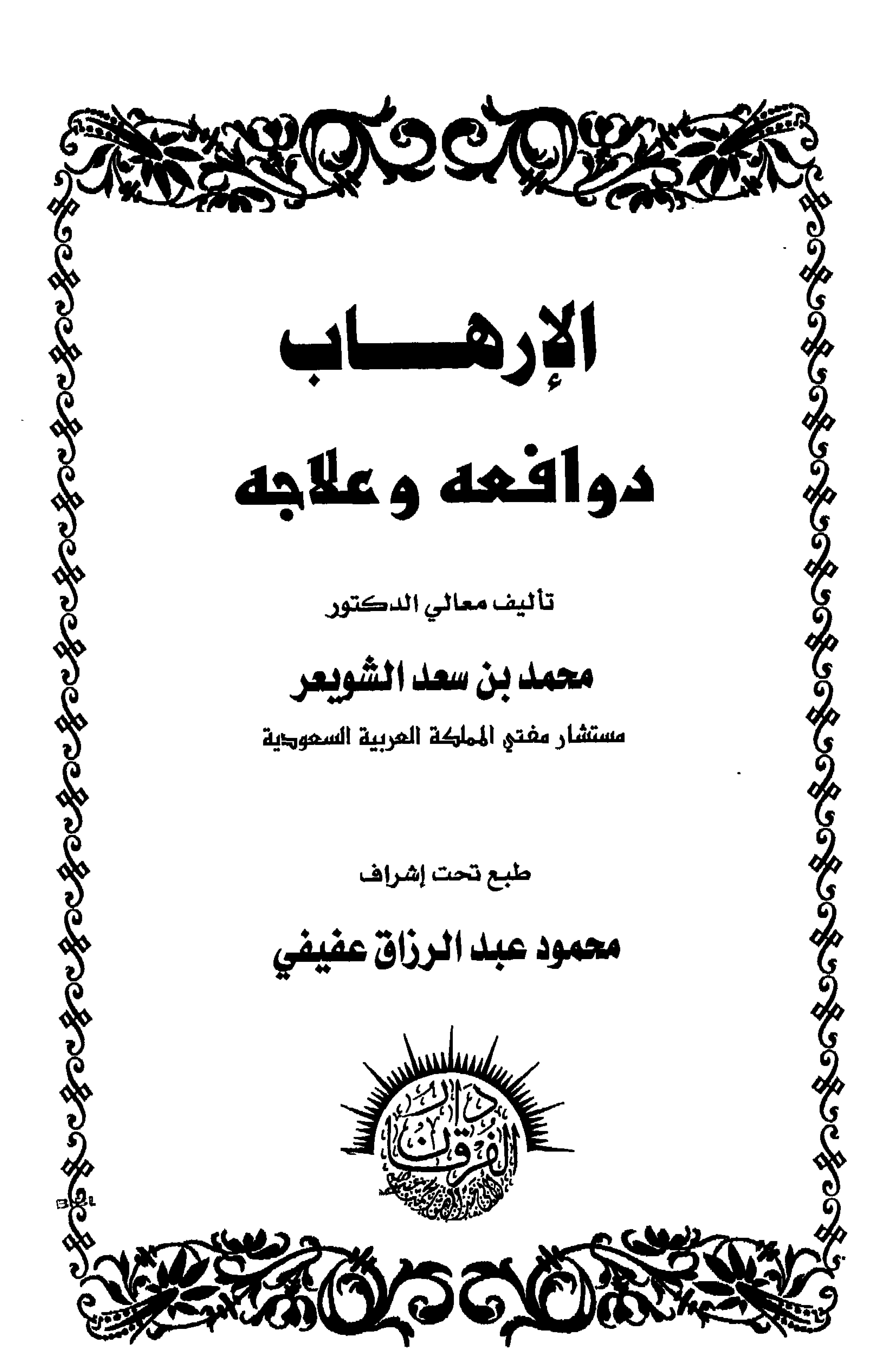
الإرهاب

دوافعه وعلاجه

تأليف

معالي الدكتور / محمد بن سعد الشويعر
مستشار سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية
ورئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية

دار الفرقان



الإرهـــاب

دوافعه وعلاجه


تأليف معالي الدكتور

محمد بن سعد الشويعر

مستشار مفتي المملكة العربية السعودية

طبع تحت إشراف

محمود عبد الرزاق عفيفي



الطبعة الأولى

١٤٣١هـ/٢٠١٠م

ⓒ محمد بن سعد الشويعر، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشويعر، محمد سعد

الإرهاب - دوافعه وعلاجه - الرياض، ١٤٢٦هـ

٣٤٨ص؛ ١٧×٢٤سم

ردمك: ٩-٢٦٣-٤٧-٩٩٦٠

١- الإرهاب أ- العنوان

ديوى ٢١٨ ١٤٢٦/٢٢٥

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٣٢٣٧ / ٢٠٠٨ م

دار الفرقان

للنشر والتوزيع

لأبي عبد المصور محمد عبد الله

القاهرة - مساكن عين شمس - ش مسجد الهدي المحمدي

هاتف وفاكس: ٢٢٩٥٣٢٩٧ /٠٠٢٠٢

محمول: ٠١٠١٦٣٥٠٣٦ (٠٠٢) - ٠١١٥٦٧٦٠٤٨ (٠٠٢) - ٠١٠٥٦١٨١٧٩(٠٠٢)

جوال سعودي: ٠٠٩٦٦٥٤٢٦٠٩٩٤٩

البريد الإلكتروني: Abdel_m2005@yahoo.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، خلق فسوىٰ، وقدر فهدىٰ، مايز بين عباده، فمنهم مهتد، وكثير منهم ضال عنيد، وهؤلاء فتح لهم الشيطان أبواب الشر، فدخلوها بانقياد، وتعصّبوا لطريق الغواية، فضلوا وأضلوا.

والصلاة والسلام علىٰ سيد ولد آدم، الهادي البشير، والسراج المنير، القائل: «**عليكم بالجماعة، فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار**»[١]، والمحذر من الفتن، ومن التكفير بغير علم، وعلىٰ آله وصحبه الكرام، الذين وقفوا في وجه الفتن ودعاتها، وتصدوا لها بدون هوادة، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين... وبعد:

فإن لكل عصر مشكلات، وتمر به بعض النوازع التي تعكر صفو الأمان والاستقرار، ومن عوامل ثوابت الأمة، ومسببات تقوية الدعائم، إن هي أخذت من ذلك عبرة، واعتبرته امتحانًا لمحاسبة النفس والعمل، أخذًا من قوله تعالىٰ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[٢]. وقوله سبحانه: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[٣].

وأخبر ﷺ أن من الكوارث والمصائب التي تصيب الأمة ما يكون إنذارًا وتخويفًا، وتنبيهًا للغافل، وتذكيرًا للمؤمن العالم، وبين ﷺ عما حصل للأمم السابقة، كما أخبره ربه بذلك، وأن هذه الأمة التي حماها الله من أن تهلك بسنة عامة، كما أهلكت الأمم من قبلها، كان من رأفة الله بها، واستجابة لسؤال المصطفىٰ ﷺ ربه، في الصحيح من السنة

---

(١) رواه الترمذي في الفتن.

(٢) سورة النساء، الآية (٧٩).

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٣٥).

أنه قال: «**سألت ربي ثلاثًا، فأعطاني اثنتين، ومنعني الثالثة: سألت ربي ألا يهلك أمتي بسنة عامة كما أهلكت الأمم السابقة، فأعطاني إياها، وسألت ربي ألا يسلط عليهم عدوًّا من غير أنفسهم، فأعطاني إياها، وسألت ربي ألا يجعل بأسهم بينهم شديد، فمنعت إياها**»[١].

فالمشكلة التي تمر بها الأمة الإسلامية اليوم في كل مكان، وفي هذه البلاد بالذات، هي الثالثة التي منع إجابتها لرسول الله ﷺ، فكان تسلُّط العدوِّ لم يأت مباشرة، وإنما يتكئ علىٰ أكتاف أفراد من المجتمع الإسلامي، قصر فهمهم، وضعفت معلوماتهم، ليلبس عليهم فكرًا ملوثًا، ونظرة قاصرة، وضعفًا في الإيمان والأمانة، وخيانة للعهد الذي أمر الله بحفظه، يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[٢].

ولما كان رسول الله ﷺ قد أخبر أن أول ما يفقد المسلمون من دينهم الأمانة، فإن خروج أناس ضلُّوا عن الطريق السُّوي علىٰ ولاة الأمر وهم العلماء والحكام، وكفروهم، وسعوا في الإضرار بهم، والإفساد، وترويع الآمنين بأساليب إرهابية، فإن هؤلاء الضالين قد جعلوا ذلك وسيلة لغاية أعانهم عليها أعداء الأمة وأعداء دين الله، حتىٰ يفسدوا في الأرض، ويقتلوا الأبرياء، ويخربوا ما كان صالحًا، بدعاوىٰ كاذبة لا يقرها دين، وينفر منها العقل السليم، والمؤمن الذي يخاف ربه، خشية من عقاب الله، ومخالفة لرسوله ﷺ، الذي قال فيه: «**كل المسلم علىٰ المسلم حرام، دمه وماله وعرضه، التقوىٰ هاهنا - وأشار إلىٰ صدره - بحسب امرئ من الشر أن يظلم أخاه المسلم**»[٣].

فجاء هؤلاء المنحرفون ليفتوا بغير ما أنزل الله، حتىٰ يبيحوا لأنفسهم ما حرم الله،

---

(١) رواه الترمذي والنسائي عن خباب بن الأرت ﷺ، وانظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٩/ ١٩٩).

(٢) سورة المائدة، الآية (١).

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي، ومالك في «الموطإ»، وانظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٦/ ٥٢٣).

ولو استفاقوا من غفلتهم كما حصل من بعضهم، وراقبوا الله في العمل، لما أقدموا علىٰ هذا الأسلوب الإرهابي، الذي أخذ اسمه من مثل أعمالهم: عمل في الخفاء، إجرام متواصل، فتاوىٰ ضالة ما أنزل الله بها من سلطان، تكفير عام لكل من يخالف منهجهم من العلماء المعتبرين، وولاة الأمر المحكِّمين والمطبِّقين لشرع الله، ورجال الأمن المقيمين للشرع، والمحافظين علىٰ فرائضه، قتل وتخويف، وتدمير ومطالب، وأعمال متناقضة، تصرفات يفرح بها الأعداء، وتحز في صدور أهل الإيمان، الذين لم ينفكوا في عباداتهم بالدعاء علىٰ هذه الفئة ومحركي فتنتهم، وسؤال الله عَزَّوَجَلَّ أن يعين المسئولين عليهم، وأن يبطل كيد وعمل هؤلاء المفسدين، أصحاب الفكر المنحرف، حتىٰ أقرب الناس إلىٰ من عرف منهم ابتهلوا إلىٰ الله أن يرد ضالهم إلىٰ الحق، وأن يعينه علىٰ التوبة من هذا العمل الذي دفع إليه[1].

ومن لم يستجب لنداء الخير، بأن يكفي الله شره، وأن يبطل عمله، ذلك أن عملهم هذا فيه شق لعصا الجماعة، وخروج علىٰ ولاة الأمر من حكام وعلماء، علاوة علىٰ الجرأة بتكفيرهم بغير حق ولا برهان، مع نقض العهد، والتعدي علىٰ الحرمات المحرمة شرعًا علىٰ الإنسان المسلم.

يقضىٰ علىٰ المرء في أيام محنته حتىٰ يرىٰ حسنًا ما ليس بالحسن

وفي هذه العجالة سوف نتعرض للإرهاب من حيث الدلالة والمبدأ، مع شيء من المسببات، والتعريف، وغموض الهدف، وعلاقته بما حصل في المجتمع الإسلامي من

---

(١) ينظر في هذا جرائد المملكة، يومي الأربعاء ٨ شعبان، والخميس ٩ شعبان، عام ١٤٢٥هـ وفيها اعترافات ثلاثة من الإرهابيين، بثها التلفزيون يوم الثلاثاء٧ شعبان، حيث كشفوا عن أساليب التنظيم المنحرف في استدراج الشباب والمراهقين وصغار السن، والتغرير بهم، وتوريطهم.

فتن وحركات، ومبادئ وتحزّبات، وما بذله كل طرف في تحقيق هدفه، بصرف النظر عن النظرة الدينية الصحيحة، ومشروعية الهدف الذي لم يكن في حسبان هؤلاء، وإن ادعوه.

فإن عملهم ليس له أساس عقدي ولا ديني ولا هدف مما شرعه الله أو أذن به رسوله محمد ﷺ، وقد ملت إلىٰ أن عمل هؤلاء ألصق ما يناسبهم في التسمية: الفئة الضالة.

وقد جعلت هذا البحث في العناصر التالية، مراعيًا الاختصار، حتىٰ لا يمل القارئ مع الإطالة:

- المقدمة.

١ - التعريف بالإرهاب. ٢ - مصطلحات أطلقت.

٣ - دوافع الإرهاب. ٤ - نشأة الإرهاب.

٥ - مَن وراء الإرهاب. ٦ - ما عرف عن الإرهاب قبل الإسلام.

٧ - ما عرف عن الإرهاب بعد الإسلام. ٨ - غموض الإرهاب.

٩ - فيم يلتقي الإرهاب مع الخوارج.

١٠ - صفات اليهود الإرهابية «المقيمون بين المسلمين»:

١١ - اليهود يرهبون النصارىٰ. ١٢ - ماذا أفرز العداء.

١٣ - الرابطة بين اليهود والمنافقين. ١٤ - الرابطة بين اليهود والباطنيين.

١٥ - علاقة الفرق الباطنية بالإرهاب.

١٦ - بروتوكولات صهيون السرّيات في الإرهاب.

١٧ - من يحرك الفتن؟ ١٨ - الفتن والمخرج منها.

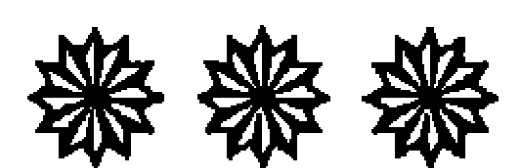
١٩ - تساؤلات مع الإرهابيِّين. ٢٠ - بماذا نعالج الإرهاب؟

٢١ - الخاتمة. ٢٢ - الملاحق.

نسأل الله أن يهدي ضال المسلمين، وأن يباعدنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يحفظ هذا الوطن من كيد الكائدين، وأعمال المخربين الضَّالين، وأن يرد كيد الأعداء في نحورهم، فهو - بحمد الله - محفوظ بحفظ الله ورعايته؛ لأنه معقل الإسلام، ومهوىٰ أفئدة المسلمين في كل مكان، كما نسأله سبحانه أن يحمي شبابنا من أصحاب الفكر المنحرف، وأصحاب الأهواء، وأن يردَّ ضالهم إلىٰ الحق، إنه مقلب القلوب، ومهيئ الأسباب، وبالإجابة جدير.

الطائف

١٥/ ٦/ ١٤٢٥هـ



١- التعريف بالإرهاب

كلمة الإرهاب مشتقة من الفعل رهب، جاء في المعاجم العربية بمعان متنوعة، نموذج ذلك ما جاء في لسان العرب لابن منظور، منها: الخوف، وترهب غيره: إذا توعده، وفي حديث بهز بن حكيم إني لأسمع الراهبة، قال ابن الأثير: هي الحالة التي تُرهِب؛ أي: تفزع وتخوِّف، وفي رواية أَسمعُكَ راهبًا؛ أي: خائفًا، وترهب الرجل: إذا صار راهبًا يخشىٰ الله.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾[١].

وفي الحديث: «لا رهبانية في الإسلام»[٢]، قال ابن الأثير: هي من رهبنة النصارىٰ، وأصلها من الرهبة: الخوف، كانوا يترهبون في التخلي عن أشغال الدنيا، وترك ملاذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعهد مشاقها، حتىٰ إن منهم من كان يخفي نفسه، ويضع السلسلة في عنقه، وغير ذلك من أنواع التعذيب، فنفاها رسول الله ﷺ عن الإسلام ونهىٰ المسلمين عنها.

وفي الحديث: «عليكم بالجهاد؛ فإنه رهبانية أمتي»[٣] يريد أن الرهبان وإن تركوا الدنيا، وزهدوا فيها، وتخلوا عنها، فلا ترك، ولا زهد، ولا تخلي أكثر من بذل النفس في سبيل الله، وكما أنه ليس عند النصارىٰ عمل أفضل من الترهب، ففي الإسلام لا عمل

---

(١) سورة الحديد، الآية (٢٧).

(٢) ينظر تفسير آية الحديد عند ابن كثير وعند السيوطي رحمهما الله.

(٣) أخرجه أحمد والترمذي وأبو يعلىٰ والبيهقي في الشعب عن أنس أن النبي ﷺ قال: «إن لكل أمة رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله».

أفضل من الجهاد، ولذا قال ﷺ: «ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله»[١].

وفي كتاب الله الكريم جاءت اثنتا عشرة آية (١٢) من مادة رهب، كلها تدل علىٰ معنىٰ الخوف، سواء كان ذلك الخوف من الله سبحانه، وهذا خوف عبادة يؤجر عليها الإنسان، أو خوفًا وتخويفًا من البشر، وهذا علىٰ نوعين:

فما كان خوفًا من البشر فيما يقدرون عليه، أو من كائن، فهذا خوف عادة، كالخوف من المجرم، ومن الذئب، وغير ذلك، وما كان خوفًا من البشر فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهذا هو الخوف الممنوع الذي قد يخرج صاحبه من الملة.

ومن تلك الآيات قول الله سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٢]، ويقول الله جل وعلا: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٣]، يعني تخوفون به عدو الله وعدوكم.

ولم تعرف دلالة الإرهاب بالمفهوم الذي برز في هذا الزمان، وانتشر عمله بأساليب متنوعة، وإنما عرف فيها حسب ما رصد، وفق المحور الذي دلت عليه كلمة: أرهب واشتقاقها بمعنىٰ الخوف والخشية، بل إن دول العالم رغم ترديدها هذا الاسم اصطلاحًا علىٰ فئات برزت في العصر الحاضر لغايات ومآرب متنوعة لا يربطها هدف واحد ولا دين واحد؛ لم تبرز للإرهاب تعريفًا ثابتًا.

فإن دول العالم لم تتفق علىٰ دلالة تميزه وتعطيه وصفًا ثابتًا، من حيث النشأة والسبب، أو الغاية التي قام من أجلها، ولا من يغذيه ويشجعه، وهكذا السمات الدقيقة

---

(١) ينظر لسان العرب لابن منظور (٥/ ٣٣٧ - ٣٣٩).

(٢) سورة البقرة، الآية (٤٠).

(٣) سورة الأنفال، الآية (٦٠).

التي يمكن بموجبها تطبيقه علىٰ من تماثلت صفات عمله عليه.

وما ذلك إلا أن القوي في عالم اليوم وما قبل اليوم بفترة تثبَّتَتْ مَكانة دول فيه، يستعمل ذلك الاصطلاح القوي علىٰ من هو أضعف منه، كما يستعمل أي أسلوب يراه محققًا لرغبته، ويطلق علىٰ نفسه وعمله أسماء تنفي صفة الإرهاب عن الفاعل، بل يجعل من نفسه حاميًا ومدافعًا للإرهاب بالقول، وما يأتي منه من أعمال تضر بالآخرين.

يقول الدكتور عبد الله السلطان في كتابه الذي أطلق عليه اسم «عن الإرهاب»: إن الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل اعتادتا الوقوف ضد كل الجهود الدولية لتعريف الإرهاب، وقللتا من شأنه لمآرب خاصّة[1].

فاليهود في فلسطين يسمون عملهم ضد شعب فلسطين – الذي يدافع عن دينه وبلاده – دفاعًا عن النفس، وأنهم يكافحون الإرهاب الذي يقوم به أطفال فلسطين بالحجارة، وهذا من الكذب وقلب الحقائق.

بينما هم مغتصبون للأرض، استيلاء بالقوة، وجرفًا للمزارع، واجتثاثًا للأشجار التي عليها قوت الإنسان والحيوان والطيور، وهدمًا للمنازل علىٰ أهلها ومحتوياتها، ولا تربطهم بفلسطين صلة غير الاغتصاب؛ لأن ادعاءهم التاريخي في فلسطين كذب؛ لأنهم وفدوا من أطراف الدنيا، ومن أعراق مختلفة، جاءوا ليطردوا أهل البلاد الأصليين الذين توالدوا فيها من عشرات السنين بل آلافها.

ويسمي اليهود عملهم الإجرامي الذي هو عين الإرهاب: مدافعة عن النفس، ويسمون نضال عرب فلسطين ودفاعهم عن أنفسهم ومطالبتهم بعودة بلادهم إليهم: إرهابًا، في تعبير يقلب الحقائق، يفرضه القوي المتعجرف، ممّا يجعل الحق باطلًا والباطل

---

(١) انظر: كتابه عن الإرهاب المطبوع عام ١٤٢٤هـ ص(٢٧٧) وأماكن أخرىٰ منه.

حقًّا وإعلامهم وأنصارهم وراء ذلك ترويجًا وتثبيتًا.

مثلما عمل قبلهم الجنس الأبيض في أمريكا واستراليا وجنوب أفريقيا في التفرقة العنصرية ضد أهل البلاد الأصليين، وما دار من حروب لإبادتهم، وسلب أراضيهم وخيراتها.

وهذا ما يسمىٰ شريعة الغاب، فالقوي يفرض رأيه، ويقلب موازين الأمور لصالحه إلىٰ دلالة ثابتة لمفهوم الإرهاب حسب مصلحته، وإلا فإن حقيقة الأمر ليس علىٰ إطلاقه عندهم.

وما ذلك إلا أن أصحاب الرأي وفق مكانتهم السياسية وقواهم المادية لا يريدون مفهومًا ثابتًا مقيّدًا بصفاته؛ لأنهم واقعون في شرك الإرهاب عملًا وتغذية وتوجيهًا، حسب مصالحهم، وقد عبر عن هذا المفهوم الشاعر أحمد شوقي في قوله:

قتـل امـرئ في غابـة جريمـة لا تغتفـر وقتـل شـعب آمـن مـسألة فيهـا نظـر

ولعل العرب والمسلمين الذين يرميهم الغرب واليهود بالإرهاب، ويرمون دينهم الإسلامي بكل عيب هم واقعون فيه، من باب رمتني بدائها وانسلَّتْ، وأنه بمنهجية الشرعيين: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتعاليم دين الإسلام، وعباداته، يصفون ذلك وهو شرع الله بأنه إرهابًا، حسدًا وبغضًا، وعداوة متأصلة، جعلتهم يصرّون في نعتهم لهذا الدين وأهله بأنهم إرهابيون، وأنهم منبع الإرهاب، والمسلمون ودين الله الإسلام الذي ارتضىٰ لهم بريئون منه براءة الذئب من دم يوسف، هذه التهم دفعتهم للمدافعة بجهد المقل، وذلك بوضع تعريف في المعجم الوسيط، الذي أسندت جامعة الدول العربية العمل فيه لمجموعة من المختصين، وطبع في مجلدين بأربعة أجزاء منذ عدة سنوات، حيث حرص هؤلاء المختصون إلىٰ وضع وصف للإرهاب، هو أقرب

للدلالة، إذ جاء في مادة رهب أن الإرهابيين جمع، واحدهم إرهابي، وهذا الوصف يطلق علىٰ الذين يسلكون سبل العنف والتخويف لتحقيق مآربهم السياسية(١).

ومن هذا الاصطلاح نرىٰ أن هذا الوصف ينطبق علىٰ الأمم التي تتصارع قبل الإسلام، وحتىٰ اليوم، إلا أنه يخرج باصطلاحات مختلفة، بحسب ما يراه المهتمون في كل بلد، وما يقيسونه بما هو حاصل عندهم، وأضراره.

فرغم أن العرب لم يعرفوا هذه الدلالة «الإرهاب»، بما تعنيه من مفهوم الآن، وإلا لعبروا عنه بما يدل علىٰ دقة في الوصف، ودلالة في المعنىٰ؛ لأن اللغة العربية ليست قاصرة في تسمية كل شيء بما يناسبه، كما أشار إلىٰ ذلك الشاعر المصري الكبير حافظ إبراهيم في قصيدته: اللغة العربية(٢).

وما ذلك إلا أن فطرتهم تنفر من الغدر والإرهاب والتطرف، حسبما تدل عليه المفاهيم الحالية، وما تنبع عنه في نظرات الأمم، وما ترجوه من مصلحة، وفق المجريات السياسية والاقتصادية التي جدَّت علىٰ الساحة من أمور.

ويعتبر العرب ذلك غدرًا وخيانة، يعيبون من يفعله، ويزدرون من يدعون إليه؛ لمخالفته لشيمهم وعاداتهم، ولعل هذا مما جعل المعاجم العربية خالية من وصف دقيق لهذه الدلالة، التي لم يتسع نطاقها عند العرب، إلا في الأزمنة الأخيرة، ومع ما جد علىٰ الساحة من أحداث.

ولعل المجامع العربية تستكمل ما صدر عن الجامعة العربية في المعجم الوسيط بتوسيع التعبير، الذي جعلوه وصفًا للإرهابيين؛ ليعطي مدلولًا لائقًا ودقيقًا يعبر عما

---

(١) يراجع المعجم الوسيط بإشراف جامعة الدول العربية، وطبع علىٰ نفقة قطر، مادة رهب، (١/ ٣٧٦).

(٢) يراجع ديوانه في قصيدته اللغة العربية التي وسعت كتاب الله وأحكامه وتشريعاته، وأنها لا تضيق بالمصطلحات.

يراد منه، وينبئ من أول وهلة لسماعه علىٰ الحالة المعنية، والتي تدل الأحداث عليها.

وإن كان كثير من الكاتبين المتحدثين قد قطعوا بأنه لا يوجد لهذا اللفظ دلالة شرعية حسب ما اطَّلعوا عليه، لكن نجد فيما ذكره إبراهيم اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي، في كتابه الموافقات في أصول الأحكام ما يرمز إلىٰ وجود دلالة في أثر نسبه مرة لابن عباس موقوفًا، ومرة لابن عباس مرفوعًا، إلىٰ النبي ﷺ في موضعين[1]، بهذا النص: «**يأتي علىٰ الزمان زمان، يستحل فيه خمسة أشياء: الخمر بأسماء يسمونها بها، والسحت بالهدية، والقتل بالرهبة، والزنىٰ بالنكاح، والربا بالبيع**»، وقد عقب المحقق الشيخ: محمد الخضر حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ هذا النص في ص(٢٠١) بقوله: «استحلال القتل باسم الإرهاب، هو ما يرتكبه السلطان الجائر في طمس أعلام العدالة».

وأقول: إن صح هذا النص ونسبته للرسول ﷺ، فإنه فيه بيانًا صادقًا لنوع من الإرهاب الممارس حاليًا علىٰ مستوىٰ بعض الدول، كما يحدث في فلسطين بالقتل الجماعي في دير ياسين، وصبرا وشاتيلا، وجنين، وغيرها، وما تعمله دول الغرب في ديار المسلمين، وما يقوم به بعض الأحداث من أعمال في المملكة العربية السعودية».

❁ ❁ ❁

---

(١) ص(٢٠١)، ص(٢٦٨).

٢- مصطلحات أطلقت

إن مما يدل علىٰ عدم الاتفاق علىٰ مصطلح موحد لدلالة الإرهاب، أنه قد أخذ منعطفات عديدة منذ بدأت بوادره تكبر مع حرب الأفغان ضد روسيا، وتدفّق شباب العرب عليهم باسم الجهاد مع الأفغان، وهذه المنعطفات جعلت كلًّا يضع تسمية حسب ما بان له، سواء كان الواضعون للتسمية من الإعلاميين، أو السياسيين، أو الاقتصاديين، وغيرهم، حسب المفاهيم عند أولئك القوم، ولكل تسمية معنىٰ اصطلحوا عليه، فسروا به دلالة تلك الكلمة التي حرصوا علىٰ أن يجعلوها دلالة علىٰ الحدث الذي برز أمامهم.

وتنقسم هذه التسميات إلىٰ نوعين:

الأول: أطلقه الغربيون لمصطلح يريدون إثباته؛ لأن بروزه كان في ديارهم متقدمًا، سواء في داخل بلادهم، أو من خصومهم خارج بلادهم أيام الاستعمار، ويريدون من ذلك الاصطلاح التنفير، وإلصاق عيوب تجعل من قام بذلك العمل خارجًا عما يجب أن يكون مألوفًا أو شرعيًّا، ويعنون بالشرعي: الطرف الأقوىٰ الذي يخدم مصالحهم، مثلما أطلقوا من قبل علىٰ منهج الشيخ ابن تيمية - السلفية ومحاربة البدع -: الحشوية، وطريقة الشيخ أحمد بن حنبل: المجسمة، واعتبروا الشافعية كفارًا ونعتوهم بنعوت، وأطلق المستعمر علىٰ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية التصحيحية، لما فسد من العقائد الوهابية، حيث وجدوا فرقة خارجية إباضية في القرن الثاني الهجري في المغرب تنسب لعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، كل ذلك من باب التنفير وتشويه السمعة.

والمصطلحات الغربية في مثل:

١ - أصوليون: ويعنون به: أن مقصد من قام بأيّ عمل فيه تشدد وعنف مهما سمي شعاره، فإنما يريد النتيجة، وهي الوصول إلىٰ المراكز العليا؛ حتىٰ يبرز، وما قام به من عمل أو أعطىٰ من شعارات، فإنما هو سلم يوصله لهدفه الشخصي وإن سماه بمسميات عديدة، كالوطنية، والإصلاح، والديموقراطية، والحرية، والليبرالية، وتحسين الوضع... إلخ، لكن المدار علىٰ منفعته الشخصية، ونحن المسلمين نستدل علىٰ هذا التفسير بالآية الكريمة: ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[1].

٢ - متطرفون: ذلك أن عندهم في الاصطلاح السياسي أن المتطرف هو الذي بلغ غاية التعصب لوجهة النظر التي يدعو لها لمطلب عنده، ولا يرغب في التراجع عنها؛ لحماسته لذلك الأمر، وتحسينه لدىٰ الآخرين، وهي مأخوذة من الطرف، أي: النهاية التي ما بعدها شيء، فالداعي متشدد ومتحمس لهدفه.

٣ - يمينيّون متشددون: وهذا من مصطلحات الحزبية عندهم؛ لأن هناك حزبين يمين ويسار، ولكل من المصطلحين ارتباط عقديّ، فاليمينيون هم حزب نصراني في الغالب يكون متدينًا ومن الكاثوليك، أو أغلبهم من الكاثوليك؛ لتعصبهم في معتقدهم وكنائسهم وطقوسهم، ومن تساهل فهو يساري، ثم لما خرجت الشيوعية مع الثورة البلشفية الروسية صار الحزب اليساري مؤسسوه هم الشيوعيون، ولكن قد يكون من هؤلاء اليمينيين من هو متشدد في الأمر الذي يدعو إليه، ويتعصب لحزبه، ومنهم من يكون متساهلًا، يقبل التنازل والنقاش فيما حوله التنازع.

وقد يربطون هذا التشدد باسم الحزب، أو اسم المعتقد، كما يلاحظ في الأخبار عن

---

(١) سورة التوبة، الآية (٥٨).

الثائرين ضد أي سلطة، وما يقومون به من عنف وقتل وتدمير، ومبررات ذلك.

٤ - إرهابيون: وهذا المصطلح أوله أُخذ من التخويف وأعمال الخفاء، وما يحاك في السِّر؛ حتىٰ لا تبرز نتائجه إلا بالمفاجآت، وهذا هو الذي تحدثنا عنه، وإن العالم قد اختلف في تفسيرهم لهذا المصطلح؛ لأن بعض الأمم القوية تدعمه، في الوقت الذي تدعو لمحاربته.

٥ - المخرِّبون: وهم من يخفون أنفسهم وأعمالهم، وقد يكونون مستأجرين، أو متطوعين، أو ممّن ينتمي إلىٰ فئة حاقدة علىٰ السلطة، فيقومون بتعطيل بعض المنشآت، وتدمير ما له علاقة بالحالة الاقتصادية؛ رغبة في لفت النظر إلىٰ أعمالهم، والإضرار بمن قام العمل ضده، وتحقيق الكسب الإعلامي لمن وراء هؤلاء المخربين، حيث يرون أن الإضرار بالخصم يجب أن يكون موجعًا ولافتًا للنظر، في مثل: الاختطاف، وطلب الفدية لمن احتجزوه، وتفجير المصانع، وغيرها، والهدف هو بث الفوضىٰ والقلق في المجتمع.

وغير هذا من مصطلحات ومسميات يطلقها بعض المسئولين، كما جاء في خطب بوش باسم «محور الشر»، وغير هذا مما يدور في القالب المعنيِّ بالأمر ودلالته[1].

الثاني: أطلقه العرب والمسلمون لما أظهرت الفتنة رأسها في ديارهم، إذ كانوا في العصور الأولىٰ يطلقون اسم الفتنة علىٰ ما يفتن الناس ويهمهم أمره، وفي الأصل هي الفتنة في الدين، ثم تحولت إلىٰ طوائف وفرق، فصارت الفتنة لفظة عامة وشاملة، وجاء ذكرها في القرآن الكريم علىٰ الخير والشر: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[2].

ومن هنا، ومع مظاهر المشكلات والقلاقل في العصر الحاضر، اختلف الناس في

---

(١) للاستئناس بما جد في المجتمع الغربي من مصطلحات يراجع كتاب: اعرف مذهبك، تأليف مارتين دودج، الذي أورد أكثر من ٣٥ مصطلحًا مذهبيًّا، منشورات دار ومكتبة المعارف في بيروت، الطبعة الثانية عام ١٩٦٥م.

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٣٥).

إطلاق مصطلح معين؛ لما يدور علىٰ الساحة، حسب ما ظهر لنا، ومن ذلك:

١ - المنحرفون: وهم الذين مالوا أو انحرفوا عن طريق الحق، الذي أمر الله ورسوله به.

والانحراف في اللغة هو الميلان عن الطريق المعتدل الموصل للهدف، وهذا الانحراف في العرف العام هو الموصل لغير الهدف الذي يقصده السائر في هذا الطريق؛ لأنه تنكَّب طريقًا آخر، فكان انحرافه خاطئًا، وهذا الاصطلاح لا ينبئ عن الدلالة المقنعة لما يدور، فكأن هذا قد مال قليلًا، أما أولئك الضالون فقد مالوا كثيرًا، وتنكَّبوا أمورًا مغايرة لمنهج الإسلام.

٢ - أصحاب الفكر المنحرف: هذا المصطلح وإن كان له علاقة بما قبله إلا أن بين الاصطلاحين خصوص وعموم، أما الخصوص فالانحراف، والعموم فقد نسميه افتراقًا، فهذا المصطلح مرتبط فيه الانحراف بالفكر، وفيما يجول بذهن صاحبه من أمور تدور في المجتمع، ومن علاقة ذلك بالأمور الدينية، فيفسر الأمور من زاوية انحراف الفكر؛ ليضع الأمور في غير مواضعها، وليس شرطًا أن ينحرف أخلاقيًّا.

أما الأول: فقد يكون من لوازم ذلك الانحراف، أن يكون ميلانًا عن الطريق المستقيم، ومن ذلك الأخلاق، وارتكاب المنكرات، فهو انحراف كامل في كل أمر، كما يقول الشاعر:

ومـن يهـن يسـهل الهـوان عليـه ... مـا لجـرح بميِّـت إيـلام

والثاني: انحراف جزئي: يتعلق بالفكر، وما يدور في فلكه، وما يوجه إليه ذلك الشخص الذي صار أسيرًا لمن يوجهه، ومن درَّبه علىٰ هذا العمل، ورغَّبه فيه، عن رغبة أو رهبة.

٣ - المفسدون: المفسد هو المخرِّب، الذي لا يهنأ باله إلا وقد خرَّب في المجتمع، سواءً كان خرابًا ماديًّا بالتدمير، والهدم، وإهلاك الحرث والنسل، أو معنويًّا بإفساد

الفكر، وتشجيع الشر، بحيث يسعىٰ في هذا الشر، وينميه، ويوقد نار جذوته؛ ليرغبه في الفساد الاجتماعي.

والجريمة إذا تأصلت في أعماق الإنسان دفعته إلىٰ حسد الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله، فهو يسعىٰ في إفساد ما هم فيه من خير واستقرار، وأمن ورخاء؛ ليزيل ذلك عنهم، سواء حصل له نفع منه أو لا، المهم عنده أن يتحول نعيمهم إلىٰ شقاء، وراحتهم إلىٰ عناء.

وهذا النوع داخل في الحِرَابة التي ذكرها الله في سورة «المائدة»، وحدد سبحانه الجزاء الرادع لهم(١).

وقد تقترب دلالة المخرّبين مع مفهوم المفسدين؛ لأن القصد فيهما الإضرار، ويحرك ذلك عامل الشر الذي مبعثه الحسد، لكن المفسدين مصطلح إسلامي، وجعل الله ذلك مرتبطًا باليهود.

٤ - الخوارج: وهم الذين خرجوا عن الجماعة، ونقضوا عهد ولاة الأمر، وكفَّروا خير الأمة، وهم العلماء، وطلبة العلم، وولاة أمر المسلمين، وكان أول خروجهم علىٰ علي بن أبي طالب ﷺ، رابع الخلفاء الراشدين، وكفَّروه، وكفَّروا صحابة رسول الله ﷺ، وقتلوا عليًّا وغيره.

فأعطيت هذه الفرقة التي خرجت في ديار المسلمين هذا الاصطلاح؛ لأنهم قارنوا أعمالهم بأعمال الخوارج الأوائل في كل ما أخذه عليهم علماء الإسلام منذ عهد الصحابة حتىٰ الآن، فوجدوا التشابه، فألبسوهم المصطلح القديم، وسموهم الخوارج الجدد.

٥ - التكفيريون: وهذه خصلة من خصال الخوارج، فالمصطلح هذا خاص، والخوارج عام وشامل، لكن إطلاق التكفيريين عليهم لما في التكفير من شأن عظيم، حيث أخبر ﷺ أن:

---

(١) سورة المائدة، الآية (٣٣).

«من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما»[١]، يعني أن من أطلقت عليه هذه العبارة، إن لم يكن كافرًا حقيقةً، وإلّا فإنها ترجع علىٰ من قالها ليكون هو الكافر بهذا التجرؤ علىٰ مسلم ملتزم بأن يخرجه من ملة الإسلام، فمن العقاب العاجل الذي أخبر به رسول الله ﷺ أن القائل يكفر بهذه المقولة، عقابًا علىٰ بهتان الآخرين بهذه الصفة الشنيعة.

فإذًا يدخل هذا الاصطلاح فيما قبله، وهو الخوارج؛ لأن التكفير خصلة من خصال الخوارج المتعددة، التي أوجبت علىٰ المسلمين قتالهم، كما فعل علي رضي الله عنه.

٦ - البغاة: وهم المتطاولون علىٰ الآخرين، بانتهاك حرماتهم، والاعتداء علىٰ ممتلكاتهم بأخذها بالقوة، ولو ترتب علىٰ ذلك سفك الدماء، اعتداءً بقوتهم وعنفهم، واستهانة بحق الآخرين وحرماتهم.

وفي اللغة أنها من بغىٰ؛ أي: تجاوز الحد في الاعتداء والعدوان، وتدخل أيضًا في معنىٰ الحرابة.

٧ - الفئة الضالة: وهي ضد الهدىٰ والرشاد، ومن ضلّ عن شيء، فإنه لا يعرف معالمه، كمن ضل عن الحق، فإنه يعتبر تائهًا، لا يعرف مدخلًا للطريق المستقيم الموصل للحقّ، جاء في لسان العرب: ضللت الشيء: إذا غيبته، وأضللتُ الميّت: دفنته، وفي الحديث الشريف: «سيكون عليكم أمة إن عصيتموهم ضللتم»، يريد بمعصيتهم: الخروج عليهم، وشق عصا المسلمين[٢].

وقد جاءت مادة ضل في كتاب الله الكريم ما يقرب من مائتي مرة (٢٠٠)، مما يدل علىٰ ما وراء هذا المدلول من خسارة علىٰ صاحبه، خسارة في دنياه، وخسارة في أخراه؛

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب، (١٠/ ٤٢٨). عن أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر: جامع الأصول لابن الأثير: (١٠/ ٧٦٢).

(٢) لسان العرب لابن منظور، (٨/ ٧٩)، ولعل صحة الحديث «أئمة».

لأن من ضل فقد غوىٰ، وخسر خسارة لا ربح بعدها، إلا لمن أعانه الله بالتوبة والرجوع إلىٰ الهدىٰ والحق.

يقول الله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾[1].

ولما كانت هذه المصطلحات كلها أراد بها المطلقون لها من غربيين - ترجمت إلىٰ اللغة العربية - وبينا المقصد حسب الدلالة العربية، فإنهم قد يريدون لها دلالة أخرىٰ لم توضح.

أما العرب: فإن أكثر إطلاقهم جاء من المفهوم اللغوي، وبعضه عليه استدلالات عربية في مفهوم اللغة، أو من القرآن الكريم، كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: حافظوا علىٰ اللغة العربية، فإنها وعاء الدين.

ولأن هؤلاء الذين أفسدوا، وأرهبوا، وكفَّروا، وخرجوا علىٰ ولاة المسلمين، فإنهم غير واضحين في المقصد، لذلك تغيرت المسميات بحسب مفهوم من أطلق المصطلح.

أما أصحاب الفرق الذين خرجوا في الإسلام، وإن كانت مقاصد بعضهم سياسية، أو عقدية، أو تحمل فكرًا وافدًا من بقايا الأمم المغلوبة، مما أرادوا إظهار أمرهم تعصبًا لمعتقداتهم السابقة، فإن مدة النضال معهم، وتتبعهم، جعلت كل فرقة تخرج بمسمىٰ معين، يعتبر اصطلاحًا علىٰ معتقد، وهدف تلك الفرقة، وإن كان باطنيًّا - شبيهًا بهؤلاء الذين خرجوا في عصرنا الحاضر، ومن جلدتنا، ويتكلمون بلغتنا - من حيث التكتم، وعدم الإفصاح عن مقصدهم، ولا مطالبهم، إلا أن النقاش معهم جعل كل فئة تعرف بما برز عندهم من معتقد ظهر للناس ما بين حرورية، وأزارقة، ومعتزلة، ومرجئة، وكلَّابية، وحلولية، ومشبهة، ومجسمة، وغيرهم، وخوارج وهم أيضًا فئات.

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٦).

وقد أبان هذه الفرق التي وصلت عددًا كما في حديث رسول الله ﷺ - إلىٰ «٧٣ فرقة»، وهو عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوىٰ.

وقد عددها بأسمائها كل من شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والشهرستاني، وابن حزم، في كتبهم التي تبحث في العقائد والملل، يقول ابن حزم عن الخوارج: اعلموا - رحمكم الله - أن جميع فرق الضلالة لم يجر الله - قط - علىٰ أيديهم خيرًا، ولا فتحوا من بلاد الكفر قرية، ولا رفعوا للإسلام راية، وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين، ويفرقون كلمة المؤمنين، ويسلون السيف علىٰ أهل الدين، ويسعون في الأرض مفسدين[1].

وكلام ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ في هذا ومثله كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاواه، وفي كتابه منهاج السنة، وتلميذه ابن القيم في مفتاح دار السعادة، وغيرهم، يتلاءم مع أعمال هؤلاء المخربين المفسدين بدون هدف ولا غاية، وإنما يساقون من الخلف، ويعملون في طاعة من يوجههم بالإضرار والترويع والتخويف والإرهاب، بحيث أميل مع ابن حزم في اختيار المصطلح باسم: «الفئة الضالة».

ومما أركن إليه في تأييد هذا المصطلح؛ لأنه قد يكون أوفىٰ بالمقصود الأسباب التالية:

١ - أن هؤلاء يغرسون الحقد والغل في قلوب الناس، صغارًا وكبارًا، وخاصة العامة من النساء والرجال الذين ليس لهم حلٌّ ولا عقد، مما يجعل كل من هبَّ ودبَّ يتحدث بغير روية، فتكثر بذلك الفتن، وما أدراك ما وراء الفتن من فساد اجتماعي، وتغير عقلي، وانحراف فكري، وهذا شأن من ضل، فلا يعرف له طريق حسن إلا مال عنه، إمَّا بحب المخالفة، وإما يقاد لهذا الطريق كالدمية، أو كالببغاء التي تردد كلامًا لا تعرف معناه.

---

(١) الفصل في الملل والنحل، لابن حزم (٥/ ٩٨).

٢ - أن من تصدر الأمر منهم ما هم إلا حدثاء الأسنان، وسفهاء الأحلام، لا علم عندهم ولا بصر بأسلوب وفقه الدعوة، ولا تجربة عندهم، ولم يكن لهم سابقة علمية، ولا مخالطة بالعلماء المعتبرين، ولا حضور حلقات دروسهم، بل يَسْخَرُونَ من علمهم ومكانتهم، وهذا من سخف عقولهم، وهذا هو طريق من ضلّ ولم يهتد، الذي ينطبق عليه قول الشاعر:

يقضىٰ علىٰ المرء في أيام محنته ... حتىٰ يرىٰ حسنًا ما ليس بالحسن

٣ - الجرأة علىٰ تكفير العلماء، وولاة الأمور، حتىٰ يُبَرِّرَ خروجهم عليهم، وإباحة قتلهم، وتجريمهم دون مستند شرعي، وإنما نتيجة تحريف الكلم، وليٍّ الألسن، وتشويه الحقائق، بإلباس الباطل ثوب زور، يُبرِّرُ أعمالهم، وتزيين الشرّ، مما يفتح باب الفتنة النائمة، التي لعن رسول الله ﷺ من أيقظها، وهذا أسلوب أهل الضلال والإجرام، يلبّسون علىٰ الناس، ويكذبون عليهم: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ١٠٤﴾[1].

٤ - أخذ العلم من غير العلماء، بل اعتمادهم علىٰ علماء السوء، الذين يفتون بغير ما أنزل الله، ومن ثم ترسيخ هذا الادعاء العلمي للصغار الفاشلين في دراستهم، والمفكرين بفكر يناهض الإسلام وتعاليمه، والحزبيين والحركيين، المقلدين لأعمال بعيدة عن الإسلام، وتدعو إلىٰ الجهل الذي قاد النصارىٰ إلىٰ الضلال، كما في سورة الفاتحة.

وهذا منهج سار فيه من قادهم إلىٰ الضلال والإضلال، وتمادوا معه بدون عقل ولا روية، في الضلال والبعد عن الهدىٰ.

٥ - بالاطلاع علىٰ بعض نشراتهم، وكتبهم، وما تطفح به من قلب للحقائق،

---

(١) سورة الكهف، الآية (١٠٤).

ووضع الاستدلال في غير محله، والتكفير بدون مقاييس شرعية، والإفتاء بدون فقه ولا وعي، وجهل بقواعد المصالح والمفاسد التي يتركز عليها أمن الأمة، وتستقيم بها أحوالها.

وهذا ما سارت عليه أمم ذم الله أعمالها، وحكم الله عليهم بأنهم ضالون وبعيدون عن الهدىٰ والرشاد.

ولعل من المناسب في هذا الموقف: إيراد واحد من الأحاديث التي أخبر بها ﷺ عن الخوارج، فقد روىٰ أبو داود عن أبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**سيكون في أمتي اختلاف وفرقة: قوم يحسنون القيل، ويسيئون الفعل، يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون حتىٰ يرتد علىٰ فوقه، هم شر الخلق، طوبىٰ لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلىٰ كتاب الله، وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولىٰ بالله منهم**»(١).

٦ - وكما يقال في المثل: من تكلم في غير فنه أتىٰ بالعجائب، فنتج عن أعمال هؤلاء: الجهل بموطن الاستدلال، وتحريف الكلم عن مواضعه، وإنزال النصوص علىٰ غير ما تدل عليه، والبعد عن منهج السلف الصالح في القرون الثلاثة المفضّلة في فهمهم وتفسيرهم للأدلة، مع جهلهم بالناسخ والمنسوخ؛ لأنهم أخذوا العلم عن غير أهله من العلماء، بسبب ذلك انحرفوا، وضلوا، ولم يهتدوا، بل استباحوا الدماء المحرمة، والأموال المصانة، وفي المثل يقال: من كان أستاذه كتابه فخطؤه أكثر من صوابه.

---

(١) يراجع جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، (١٠/ ٨٩).

وغير هذا من أمور كثيرة دفعتهم إلىٰ الضلال في أنفسهم، والإضلال لمن تبعهم، وهذا ما خشيه ﷺ علىٰ أمته من العلماء المضللين، الذين يفتون بغير ما أنزل الله، فيضلون ويضللون، والتلبيس، والكذب علىٰ الناس، والغيبة والبهتان في أعراض العلماء وأهل الفضل من المسلمين، مما فتح باب فتنة انتهزه الكفار؛ ليلجوا معه ضد المسلمين، ودينهم الحق.

وإن كانوا في كثير من الأعمال وافقوا الخوارج كما سوف نذكر في المقارنة بين هؤلاء وأولئك، فيما قالوه، وفيما يعملونه.

فإن الخوارج أكثر من هؤلاء وضوحًا، وأقل منهم تعاونًا مع الكافرين، أعداء الله، أعداء دينه، ولا يرضىٰ مسلم أن يكون في ادعائه الإسلام مناقضًا بفعله، وبما يدعو إليه، ولا في موالاته لأعداء الله من اليهود، الذين نرىٰ كل يوم خبرًا عنهم يفضح تعاونهم معهم، ومد أيديهم، من طريق بعيد لهؤلاء وأمثالهم، والله يقول - وقوله الحق -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾[2].

وقد بان لمن يتابع أقوال وفتاوىٰ هؤلاء، وما يركنون إليه فيما يصدر عنهم من كتب، أو نشرات، أو أحاديث ووجهات نظر، أن هؤلاء ينطبق عليهم مصطلح: «الفئة الضالة»؛ لتعصبهم للضلالة، وعدم رغبتهم في العودة للحق أو المحاورة المقربة للحق... نسأل الله أن يردهم إلىٰ الحق، ويبصرهم به.

---

(١) سورة الصف، الآيتان (٢، ٣).

(٢) سورة المجادلة، الآية (٢٢).

فكأن قلوبهم فيها الزيغ، وأفئدتهم متعصبة للضلال؛ لعدم سماعهم نداء الحق، وعدم إذعانهم لنداء الله في كتابه، وتوجيه رسول الله في سنته، ولا صَفْحَ وليّ الأمر في عفوه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكأن الآية الكريمة تعنيهم في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾[1].

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٧).

٣- دوافع الإرهاب

حديثنا عن الإرهاب - نشأة ودافعًا - وإن كان قد أخذ في بداية أمره تسميات مختلفة، ودوافع متعددة، بحسب نوعية العمل لكل حالة ومسبباتها، كاختطاف الطائرات، واحتجاز الرهائن، وتفجير المنشآت، والاغتيالات السرية، واختطاف الأطفال وغيرهم لطلب الافتداء بها يفرضه المختطف.

وغير هذا من أمور كانت تجري في أنحاء العالم، إما لأسباب سياسية، أو شخصية، أو لنوع من أنواع الجريمة؛ من أجل الابتزاز، أو لمؤثرات نفسية لدىٰ فاعل هذا الأمر، كما نرىٰ ونسمع عن مجرمين اشتهروا بمثل هذه الأعمال، دون أن يكون وراءهم أحد، فهي أعمال فردية، وقد ترتبط بالمنظمات المتمرسة في أنواع الجرائم، مشاركة أو استئجارًا، كالمافيا وغيرها.

وكما يدور من معلومات إعلامية عن «ماركوس» الذي سلمته إحدىٰ الدول العربية لبلاد الغرب، وغيره ممن يستأجرون لأعمال معينة، ووراءهم من يدفعهم، ويحميهم.

وما ذلك إلا أن أساليب الجريمة قد تنوعت، ودخلتها التنظيمات والعنف وسعة الانتشار، إضافة إلىٰ ضعف الوازع الديني الذي يردع النفوس المتعطّشة لأعمال العنف، وبث الحقد في قلوب من ينفذ العمليات، وغير ذلك من الأسباب.

كل هذا وأكثر منه جعل بعض الشباب يعبّرون عن أنفسهم بأي أسلوب يحقق نزعات متنوعة ترضي ميول تلك النفوس الحاقدة والمدفوعة للإضرار، وقد شجع علىٰ ذلك أمور منها:

١ - تراخي أمم الغرب والشرق في الجزاءات الرادعة باسم حقوق الإنسان،

للرأفة بالمجرم، وتخفيف العقاب عليه، وإتاحة الفرصة للتمرس أكثر، عندما يسجن مع من هو أمكن منه إجرامًا، حيث أصبحت كثير من السجون مدرسة يتعلّم منها المبتدئ ما يزيد عنفه وإرهابه، بما أخذه عمّن تأصل الإجرام فيهم.

وأذكر بالمناسبة عندما زرنا سجنًا في مدينة مونتجمري في ولاية ألباما بأمريكا الشمالية، قال لنا مسئول فيه: إن الجريمة عندنا لا تزول إلا بالإسلام؛ لأن من خرج من السجن مسلمًا لم يعد إليه مرة أخرىٰ، أما من لم يسلم فإنه يعود مرارًا، وكل مرة يكون قد ازداد عنفًا وتمرسًا.

٢ - ما يأتي في وسائل الإعلام من مسلسلات وأفلام تفتح المغاليق لدىٰ بعض الشباب، وخاصة في سن المراهقة، الذين يحبون المغامرة والبروز؛ حتىٰ يلتفت النظر إليهم، وذلك بالحيل، والتنوع في العمل الإجرامي، وما يتبع كل حالة من أساليب المراوغة من أجل تحقيق المآرب، نماذج ذلك ما بدأ الأطفال الصغار يقلدونه، ليكبر معهم منهجًا متأصلًا في الطباع والنفوس، مع غياب التربية الأسرية والمدرسية، تقليدًا منهم لما يرونه في وسائل الإعلام، وضعف التوجيه الديني عندهم من الصغر، وتأصيله في عقولهم عقيدة وعملًا.

٣ - الفضائيات التي لا رقابة عليها، بل وراءها من يدفع لمثل تلك الأعمال التي تتوسع دائرتها في الفساد والإفساد خلقيًّا واجتماعيًّا، يلمس هذا في المدارس، وتعدي بعض الطلبة علىٰ مدرسيهم، وجنوحهم مع التصرفات الشاذة، وما إلىٰ ذلك من أمور متعددة في توجيه مسلط علىٰ فئة معينة من البشر؛ لمآرب مخصوصة ومتعمدة، وخاصة ما يوجه للعرب والمسلمين، مركزًا فيه علىٰ فئتين لإفسادهما؛ ليضمن بذلك خلخلة المجتمع الإسلامي، وتفكك عراه تدريجيًّا، خاصة وأن هذا الفعل لم يقابله الإعلام

الإسلامي برد فعل معاكس، وهاتان الفئتان هما: النساء والشباب.

٤ - وزاد الأمر تغذية وتوجيهًا: «الإنترنت» بفتحه الميدان لمن هبّ ودبّ، وهو سلاح ذو حدين، لكنه أتيح المجال فيه تركيزًا وتوجيهًا وإنفاقًا ماليًّا، للشر ولأعمال الباطل والضلال، وتلويث الأفكار أكثر، وبنسب عالية، مما أتيح للتوجيه الحسن، ومداخل الخير.

ولا ننسىٰ إهمال الرقابة علىٰ الشباب فيه، ولما كان كل ممنوع متبوع، فإن طالبي الشر أرغب فيه، لما فيه من مشوّقات، وأشياء يتصوّرها الشاب ملبية لرغبة في نفسه، مع حب الاستطلاع الذي يجرفه إلىٰ مسارات خاطئة، ثم تتخطفه الأيدي الآثمة، ذات النوايا السيئة؛ للدخول في أعماق نفسه تدريجيًّا؛ ليتم توجيهه واستغلاله في مثل:

- أساليب التخفي.

- صناعة الأشياء المضرة بالآخرين، وتبسيطها أمامه بعد تدريبه عليها.

- ومن ذلك التمارين علىٰ العنف والمراوغة، واستعمال الأسلحة المتنوعة، وصناعة المتفجرات، وتركيب المواد الكيماوية، وتمرينه علىٰ المواد الضارة من أسلحة الدمار وكيفية استخدامها، وغير ذلك من أمور يسّرت أمام الشباب، وجرفتهم، وكل جديد وممنوع فالشباب يحرص عليه تعبيرًا عن ذاته.

- تلويث الأفكار لما يولّد الحقد والكراهية بالتكفير والتحقير من العلماء ورموزهم المعتبرة، والحكام وغيرهم بأكاذيب ومفتريات تصور أمام الشباب الجاهل كحقائق يجب التسليم بها.

٥ - استغلال نوعيّات من الشباب: أحداث الأسنان، ضعاف العقول والإدراك، ممن فشلوا في دراستهم، ومن العاطلين عن العمل، وممن لديهم انحراف وتمرد أسري أو

ديني، أو جنوح أخلاقي.

وفي هذا مصداق لما أخبر به ﷺ عن بعض الصفات في الخوارج بحداثة الأسنان، وسفاهة العقول، ويتكلمون بلسانكم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، وهؤلاء تتلقفهم الأيدي الآثمة الملوثة، ويسهِّل ذلك ضعف أو ضياع الرقابة الأسرية عليهم من الأبوين، وعدم متابعة أوقاتهم وأعمالهم، ومن يصاحبون، فيصبحوا فريسة لهذه الأيدي المتمرسة في الإجرام، وأساليب الفساد التخريب، ومن وراءهم بفكرهم المنحرف، وأعمالهم الضالة، ونواياهم المبيتة، ولهم في هذا أساليب متعددة، فيجدوهم لقطة جاهزة، كالصلصال الذي يكيّفه الإنسان كيفما شاء.

فتبدأ السيطرة علىٰ الفكر، وبث السموم بالأشرطة والفتاوىٰ، وما لديهم من كتب ومحاضرات تسير في الهدف المنشود، ولما كان هؤلاء الشباب - مع جهلهم - أبناء فطرة؛ لأنهم ولدوا من أبوين مسلمين، ونشئوا في مجتمع مسلم، لذا دخلوا عليهم من هذا الباب: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفتاوىٰ التكفير، والدعوة للجهاد، وإشعارهم بمجاهدة المجتمع كلهم، ولا يتورعون أن يمسوا أقرب الناس إليهم بالتكفير، وتأتي الوصايا الملفقة لمن أقدم علىٰ الانتحار في عملياتهم؛ ليبشر بالجنة والجزاء عند الله دعوة في هذه الوصايا لحفز همم الشباب المغرر بهم.

وما علموا أن هذا مناقض لأمر الله بقتل المؤمن عمدًا، وتوجيه رسول الله ﷺ، عمن يقتل نفسه، وأن جزاءه جهنم، يجأ نفسه فيها بما قتلها به، إن سمًّا، أو سكينًا، أو غيرهما.

ويصاحب ذلك مغريات تشوق هؤلاء الشباب، إما مالية تسيل بين يديه، وكان متعطشًا للقليل، فأغدق عليه الكثير، أو وعودًا وأماني، أو بعض الأساليب التي تقلب الحقائق؛ لتوافق لوثة في فكره.

فإذا تمت السيطرة علىٰ العقل إمَّا بمخدرات، أو مواد كيماوية تغسل المخ، وتلوث الفكر، وتمسخ الذاكرة، حتىٰ يتنكر لأبويه وزوجته وأولاده، وأقرب الناس إليه، وغير هذا من أشياء عرفت لدىٰ المتمرسين في تلك الأعمال.

ويأتي في مجال التغرير بهؤلاء الشباب لحداثة أسنانهم، وضعف إدراكهم عدم تعريف الضَّحية الذي استغلّ للإرهاب، أو بقلب الموازين عنده حتىٰ لا يتراجع، وذلك بربطهم بقيود موثّقة، وإركاب شخص معه لطمأنته علىٰ المهمة، فإذا وصل للموقع، قد يطلق عليه مرافقه رصاصة ترديه، أو تلهيه، لينزل ذلك المرافق لجماعته الذين ينتظرونه، فيفجروا بالضحية عن بعد.

ثم يشيعون بوسائلهم الإعلامية المتعددة وصيته التي لا يعرف عنها شيئًا، مشجعًا من خلفه، حتىٰ يستمروا في عملهم الإجرامي، مُضْفِينَ علىٰ عمله ذلك بالشهادة، وأوصاف أخرىٰ، فينخدع بها البسطاء، وغير هذا من أمور تجعل بعضهم يعمل بدون وعي، ويسير في أحلام اليقظة لغير هدف معين، إلّا بما وعدوه به: الجنة؛ الشهادة، الجزاء عند الله، وغير هذا مما يتأثر به من سلبت عقولهم بمؤثرات عديدة، إما نفسية، أو اجتماعية، أو دينية، أو إغراءات ووعود تسلب الشعور بنتيجة ما يعطي إياه في طعامه أو شرابه، أو بأي نوع تعددت فيه أساليب التغرير والإغراء، فأصبح المغرر به لعبة في أيدي من تولىٰ ذلك فيه، بعد أن تمت السيطرة علىٰ موطن الإحساس عند الضّحية، بما يسمونه: «غسيل المخ».

وبعضهم مع اختلاطهم بالقيادات المختفية، والتي تعمل خارج البلاد، وتستمد التوجيه والتموين والتخطيط منهم: ماديًا ومعنويًا: أعداء للأمة وللدين؛ لأنهم حاقدون، وناقمون علىٰ هذه البلاد، وقيادتها العلمية والدينية، والحكّام، والمخلصين

من أبناء شعبها، الذين التفوا علىٰ قيادتهم، تأييدًا واستنكارًا بعدما برزت أمامهم أمور بعيدة عن الدين، وعن الخلق والشّيم، ومكارم الأخلاق، وأدركوا الحقيقة، وتلبيس الأمور، وانجلىٰ الصبح لكل ذي عينين، وبان أمام الكل دلالة القول المأثور: كل ذي نعمة محسود.

وقد ظهر أثر ذلك في التفجيرات بالرياض والخبر، وغيرها من مدن المملكة، وما تبع ذلك من قتل للأبرياء: مسلمين ومستأمنين، ولم يعفوا عن النساء والأطفال الذين حرم رسول الله ﷺ قتلهم، وشدّد عليه الصلاة والسلام في هذا.

بل لم يراعوا عهدًا ولا ذمة في الممتلكات، وترويع الآمنين، واختطاف السيارات بتهديد السلاح، والنهب والسلب، فأين هذا من هدف الجهاد الذي شرع الله؟ وأين من روّع الآمنين، وقتلهم بتدمير بيوتهم عليهم، من راغب الشهادة المزعومة؟ وهؤلاء الآمنون مسلمون، باغتوا بعضهم بعد خروجهم من صلاة العشاء والتراويح.

ولو كانت هذه الوعود والأماني، والجزاءات عند الله المضمونة، عند من أفتىٰ لهم، وجزاء الجهاد والشهادة الموزعة في بيئتهم، المماثلة لصكوك الغفران والتحويل بورقة إلىٰ مالك خازن الجنان، التي يضحك بها بعض الرجال المنتسبين للدين، الضالين، والمغررين بالبسطاء لأخذ أموالهم بغير حق، والموجودة في بعض الفرق الكافرة وبعض الطوائف، عند من ينتمون للإسلام اسمًا.

هذه الوعود، وهذه الفتاوىٰ، لو كانت صادرة عن صدق وإيمان، فلماذا لا يخرج المنظّمون لهؤلاء البسطاء من مخابئهم؟ ولماذا لا يأتي المنزوون في بلاد الغرب، وفي ديار الكفار، المحركون لهذه الفتنة؛ ليكونوا في مقدمة هذا الجهاد - المزعوم -، وليفوزوا بالشهادة، وبالجنة التي يوزعونها علىٰ البسطاء الجهلة بدون حساب؟

لماذا إذا كان عملهم لله – كما يدعون – لا يكونون قدوة، ويبرزون في المقدمة، كما كان قادة الجيوش في تاريخ الإسلام، الذين جاهدوا في سبيل الله حقًا وصدقًا، ولم يجاهدوا ادعاء وكذبًا؟ لأن عملهم هذا لأنفسهم، ولمطامع دنيوية، ولو كان لله لسبقوا إليه: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝﴾[1].

لقد كان الأوائل من قادة المسلمين في المقدمة؛ ليفوزوا بالشهادة؛ لأنهم صادقون، والله يحب الصادقين، ويبغض – سبحانه – الكاذبين والمفسدين، فحقَّقوا – رحمهم الله – لأنفسهم الشهادة، ولدين الله انتشارًا، وللإسلام مكانة وعزًّا.

أما هؤلاء المخططون المختبئون، فحققوا لأنفسهم السمعة السيئة، وتحمل ذنوب من كذبوا عليهم، وغرَّروا بهم فوق ذنوبهم؛ لقوله ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها، ووزر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة**»[2]، ويقول سبحانه: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾[3]، وهؤلاء حققوا لدين الله الحق انكماشًا في بعض المناطق، ومطاردة للمسلمين، حيث اعتبرهم الغرب بأعمالهم إرهابيين مخربين، فصارت ردة الفعل ضد الإسلام والمسلمين في بلاد الغرب سيئة جدًّا، حتىٰ أطلقوا اسم الإرهاب علىٰ كل مسلم، وهاجموا المساجد، ولم يحترموا المصاحف التي هي كلام الله، واعتبروا من صلىٰ، أو لبس الثوب، أو غطت المرأة شعرها، وغير ذلك، اعتبروا كل من فعل شعارًا إسلاميًّا إرهابيًا، ولو كان لم يعرف الإرهاب، ولم يسمع به، ولو كان صائمًا ومصليًا لله سبحانه، وشُدِّد علىٰ المسلمين والمسلمات في دراستهم وأعمالهم، وفي تسوّقهم

---

(١) سورة الصف، الآية (٣).

(٢) رواه النسائي ومسلم عن جرير بن عبد الله البجلي، وانظر: جامع الأصول لابن الأثير (٦/ ٤٥٧).

(٣) سورة الذاريات، الآية (٥٩).

في الشوارع، كل هذا من السنة السيئة التي فتحتم بابها.

أما الإسلام، وديار الإسلام، فقد أشرعتم أبواب الفتنة في كل مكان، وأيقظتموها من نومها، حسب القول المأثور بأن: «الفتنة نائمة، لعن الله من أيقظها»[1].

بل زاد الأمر سوءًا، عندما امتدت الأيدي الآثمة والأفكار المنحرفة إلىٰ الحرمين الشريفين - حماهما الله من كل سوء - ليعيدوا صفحات الإثم والعدوان الذي قام به القرامطة وغيرهم من الباطنيين، الذين اعتدوا، وروَّعوا، وقتلوا قاصدي بيت الله الحرام حجًّا وعمارًا وزيارة لمسجد رسول الله ﷺ، عندما جعلوهما مركز تجمع، وأرادوهما مسرح أحداث، والله سبحانه لا يغفل عن القوم الضالين، ولا الفئات المفسدة، وقد قال وقوله الحق عن بيته الحرام: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٥﴾[2].

ويقول عن اليهود وأعوانهم سبحانه: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝٦٤﴾[3].

فأدرك الناس في هذه البلاد أن وراء الأكمة ما وراءها، وأن الأمر له دوافع خبيثة، يراد منه الدين أولًا بالهجوم وتكفير حماته، ثم خلخلة أمن هذه البلاد قيادة وشعبًا؛ لأن الساعين في هذا الأمر وإن كانوا من أبناء هذه البلاد فما هم إلا لعبة في أيدٍ آثمة، وقلوب حاقدة، تستغلهم لغايات، وتجعلهم كبش فداء، فأغروهم، وسخروهم لأداء المهمة التي تضر بالبلاد وأهلها، وترضي أعداء الله وأعداء دينه؛ ليشعلوا الفتنة، ويحركوا الضغائن.

---

(١) رواه القزويني في كتابه «التدوين في أخبار قزوين»، (جـ١/ صـ٢٩٧)، واعتبره من الأثر، ولم يعزه.

(٢) سورة الحج، الآية (٢٥).

(٣) سورة المائدة، الآية (٦٤).

وغير هذا من أمور كثيرة، تكشفها الأيام والاعترافات، عن أهداف وأساليب المصائد التي تختطف الشباب المغرّر بهم، وتحسّن ما كان قبيحًا يأباه العقل السليم، إغراء، وتهديدًا، أو كذبًا وتدليسًا، مما نتج عنه التكفير وبروز مفتين لهم وقعوا في الشبهات، تاب منهم من نرجو منه الخير، وبقي في الغواية والشقاوة من صرف الله عقله وذهنه، فكان من الضالين.

فقد ذكر سمو ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز بعدما تكشفت بعض الأمور: أن لليهود يدًا فيما حصل بالمملكة، لا أقول مائة في المائة، ولكن ٩٥٪ كما نشرت جريدة المدينة[1]، عن الموساد الإسرائيلي: بأن جهازهم اخترق تنظيمات متطرفة بمنطقة الشرق الأوسط، بحيث لم تكن هذه التنظيمات خطرًا علىٰ إسرائيل، بل معينة لها، وغير هذا من أخبار تثبت العلاقة مع اليهود، أعداء الله، وأعداء رسالاته، وأعداء شرعه.

وإن من المناسب في دوافع الإرهاب الإشارة لمعلومات مهمة نشرت في الصحف أدلىٰ بها خالد الفراج، وعبد الرحمن الرشود في جزأين من فيلم أذيع بالتلفزيون يوضح حقائق خاصة من داخل الخلية كشفت تفاصيل ما يقوم به أفراد الفئة الضالة، نجتزئ من تلك المعلومات ما يلي:

١ - أنهم ينفقون بإسراف وبذخ من الأموال التي قصد بها مقدموها عمل الخير، طلبًا لما عند الله، كإفطار الصائم، وفك الأسير، ومساعدة الأيتام، فخانوا الأمانة، وصرفوها في العمل الإرهابي.

٢ - أن هؤلاء الضالين لا يتورعون عن التزوير واستخدام بطاقات المواطنين المرهونة في المحطات في استئجار السيارات والبيوت، وهذا من باب أكل أموال الناس

---

(١) يوم الاثنين ٩/ ٦/ ١٤٢٥هـ جريدة المدينة، الصفحة الأولىٰ.

بالباطل، فهو مال حرام.

٣ - يشهد عليهم خالد الفراج بعدما جلس معهم أربعة أيام في رمضان، فما وجد منهم من يصلي التراويح، أما الفروض فيصلون في البيت، وينكر عليهم الجمع بدون سفر أو مرض، ولا يصلون العصر.

٤ - ٩٥٪ من أفراد الخلية جهلة بجهل مركب، ويقول الفراج عن أحمد الدخيل الذي كان يتزعم اللجنة الشرعية في خلية مكة بشقة الخالدية، بإفتائه عن كل من لبس البدلة العسكرية من أي قطاع: بأنه كافر؛ ولذا يطلقون النار بحسب هذه الفتوىٰ في مراكز التفتيش.

٥ - كما يرىٰ الدخيل: أن كل خطيب يصعد المنبر ويدعو لولي الأمر، أو ينكر التفجيرات، أو يقول: إنها حرام، فهو كافر، ولما قال له الفراج: جدي كان يدعو لولاة الأمر، قال: هو كافر!

٦ - ثم يتألم خالد الفراج عن المجزرة التي عملها الإرهابيون في بيته، وقتلهم لوالده رحمه الله، حيث صدم، إذ كيف يكرم هذه الخلايا الإرهابية، فيكافئونه بقتل والده رحمه الله[1].

وغير هذا من حقائق جاءت في تلك الاعترافات باعتراف من كان منهم، ما كانت تصدر إلا عن أقسىٰ المجرمين قلبًا، وأبعدهم عن الإسلام فهمًا وتطبيقًا، نسأل الله السلامة والعافية من عمىٰ القلوب.

---

(١) لراغب الفائدة، ومعرفة كامل الحقائق من مصادرها، كابتزاز الشباب وتوريط صغار السن، وترهيبهم للانخراط في التنظيم المنحرف، وتعمية الأمور عليهم بعد تورطهم، تراجع صحيفة عكاظ، العدد (١٣٩٠٦) ليوم الأربعاء ٨ شعبان عام ١٤٢٥هـ، ص(٧)، وجريدة الجزيرة العدد (١١٦٩٢) ليوم السبت ١٨/٨/١٤٢٥هـ ص(٧)، وجريدة الوطن، العدد (١٤٦٤) ليوم السبت ١٨/٨/ ١٤٢٥هـ ص(٨)، ففيها الاعترافات كاملة، وهي طويلة، ومعلوماتها واسعة، تعطي القارئ فكرة عن أعمالهم الإرهابية، وأساليبهم فيها، كفىٰ الله البلاد شرهم.

٤- نشأة الإرهاب[1]

بعد مرورنا بالساعين في الإرهاب ببلادنا، والموقدين لشعلة الفتنة، تخطيطًا وعملًا، فإن الأمر من باب ربط الأسباب بالمسببات، ولكي نتعرف علىٰ الإرهابيين المستترين، يقتضي البحث عن النشأة عند العرب، حيث مر بنا أن العرب في جاهليتهم، وبعد ظهور الإسلام، لم يعرفوا الإرهاب وأساليبه الملتوية؛ لأنهم صرحاء في حربهم وسلمهم، يقول شاعر جاهلي يصف حالتهم:

وأحيانًا علىٰ بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

فقد ظهرت أولياته عند العرب بعد ظهور الدعوة الإسلامية، من بطاح مكة، ولعله يتاح لنا ربط ما عرف بعد بروز رأس الفتنة التي بدأت في العصر الإسلامي، ونتيجتها مقتل عثمان بن عفان ﷺ، بالحوادث التي مرّتْ في التاريخ، ورصد شيئًا منها بعض المؤرخين العرب، وباختصار، كما سنمر به في موضعه من هذا البحث.

- **فعند الأمم الأخرىٰ**: يصح أن يعتبر اليهود هم حملة راية الإرهاب منذ فجر التاريخ؛ لأن الله سبحانه أبان عن صفاتهم وطبائع نفوسهم، بكثرة معاصيهم وعدائهم لأنبياء الله، وقتلهم بعض الأنبياء، وهم صفوة الخلق عند الله، أبغضوهم لأنهم يبلغون رسالات الله لعباده، وظهر عداؤهم هذا في أعمال خفية، وأساليب وحشية، فتطاولوا علىٰ الذات الإلهية، فاستحقوا بذلك غضب الله عليهم ولعنته بما قالوه علىٰ الله سبحانه

---

(١) ما نتحدث عنه في هذا البحث عن الإرهاب، فمستندنا فيه ما جاء في القرآن الكريم، وسنة رسوله ﷺ، وما جاء باسم أهل الكتاب، فهم اليهود، الذين وصفهم الله بشدة العداوة للمؤمنين، أما النصارىٰ فهم أقرب مودة للذين آمنوا. المائدة (٨٢).

من كذب وبهتان، فضرب الله عليهم الذلة، فصاروا بعد عدائهم لأنبياء الله أعداءً لأوليائه الصالحين، ولجميع ما شرع الله، يعملون في هذا السبيل أساليب متنوعة من الإرهاب، إخافة وقتلًا، وتسلطًا في الخفاء، وجشعًا في جمع المال بأي طريق كان؛ لأن الغاية عندهم تبرر الوسيلة.

وقد بين الله سبحانه كثيرًا من ذلك في كتابه الكريم، القرآن الخالد، إذ تحفل كثير من سور القرآن العظيم بنماذج من سوء أعمالهم؛ قولًا علىٰ الله بغير الحق، وإفسادًا في الأرض، وإيذاءً لأنبياء الله، حتىٰ إن عيسىٰ بن مريم عليه السلام، جعل لا يساكنهم في بلدة، بل يكثر السياحة هو وأمه عليهما السلام، وفي نموذج من أعمالهم السيئة يقول سبحانه عن اليهود: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾[1].

فقد تمرنت قلوبهم القاسية علىٰ الكفر والطغيان، ودبروا مؤامرة للقضاء علىٰ عيسىٰ عليه السلام، كما قتلوا من قبل يحيىٰ غدرًا ومكابرة[2]، وافتروا علىٰ مريم بهتانًا عظيمًا، حيث وصموها بالزنا، وسعوا للملك دمشق وكان وثنيًّا يونانيًّا في قتل عيسىٰ عليه السلام؛ لأنه يفتن الناس، ويضلهم، ويفسد علىٰ الملك رعاياه، حتىٰ حققوا هدفهم بالخلاص من عيسىٰ عليه السلام.

وقد توسع المفسرون في هذه الآية وغيرها علىٰ أعمال اليهود الإرهابية، وخبث

---

(١) سورة النساء، الآيات (١٥٦ - ١٥٨).

(٢) جاء في تفسير ابن كثير للآية (٦١) من سورة البقرة: أن ابن مسعود قال: كانت بنو إسرائيل في اليوم تقتل (٣٠٠) ثلاث مائة نبي، ثم يقيمون سوق بقلهم من آخر النهار (١/ ٩٣).

طبائعهم، ثم استمر العداء بينهم وبين النصارىٰ، وضجروا منهم ومن تسلطهم عليهم، حتىٰ جاء عام (٢٨٣) ميلادية، حيث اجتمع أكثر من (٤٠٠) من علماء النصارىٰ وأحبارهم في مدينة «نيقيا»، وفي مؤتمرهم هذا بحثوا طريقة الخلاص من اليهود وتسلّطهم عليهم، ونتيجة جهلهم - كما وصفهم الله في سورة الفاتحة - فقد خرجوا بعدد من التوصيات تباعدهم عن اليهود، ولكنها جوفاء، تعمق جهلهم بشرع الله، وأن فكر اليهود وتسلطهم علىٰ أفكارهم لم يستطيعوا الخلاص منه، و(٤٥) حالة خرجوا بها معاندة لليهود، مثل ما قالوا: إن اليهود يختتنون، يجب أن نحرمه علىٰ أنفسنا، وإنهم يحرمون الخمر والخنزير فيجب إباحتها، وهكذا.

ولم يجدوا ما ينقمون به علىٰ اليهود إلا مطالبتهم بدم المسيح، تلك المطالبة التي أشعلت نار العداء بين الطرفين ألوف السنين، حتىٰ دبر اليهود حيلة أدخلتهم الفاتيكان كقساوسة كذبًا؛ ليرهبوا النصارىٰ من داخل مجتمعهم العقدي، حيث وصل اليهود - زورًا - إلىٰ مراتب عليا في الفاتيكان، هيأت لهم إصدار قرار كنسي بتبرئة اليهود من دم عيسىٰ عليه السلام.

ومع ذلك فإن قلوب اليهود الحاقدة لا تنفك تواصل إرهابها؛ لأنهم فئة لا إيمان لهم ولا وفاء، ولا مواثيق، ولا يلتزمون بالعهود، فيجدون في كل عصر وبأي مصر ما جبلت عليه قلوبهم من الحقد والحسد وتحريك الضغائن؛ ليفسدوا ما حلا لهم الفساد، وبث الشر المتمثل في الإرهاب وحبك المؤامرات، وإثارة الفتن والإفساد كلما وجدوا مجالًا لذلك، فبرزت أعمال اليهود في التخطيط والعمل المتواصل الذي يديرونه وينفقون عليه، وإن حاولوا - لجبنهم - ألا يبرزوا في الصورة؛ لأنه لا يحلو لهم أن تهدأ الأمور، فظهرت بصماتهم في الاختطافات، وفي استدراج القساوسة باسم الصداقة

والمودة، فإذا أمن القس وأنس بقرب من استدرجه، اختفىٰ فجأة.

وقد ألف بعض نصارىٰ الشام في هذا كتبًا بوقائعها وتواريخها، حدثت في أرض الشام وغيرها.

وما بروتوكول صهيون الذي أحدث ضجة كبيرة في أوربا، بعدما نشرت طبعته الأولىٰ باللغة الروسية، ثم بعد ذلك باللغة الألمانية، واللغة الإنجليزية، وما تضمنته مواده، إلا نموذجًا لما يريدون إخفاءه عن غيرهم عما يريدون عمله عندما تقوم مملكتهم ويحكمون العالم كله، حيث يتصرفون وفق ما تنطوي عليه نفوسهم الدنيئة ضدَّ «القوييم»، أو «الأميين» من إرهاب فكري، وتسلط مدروس، يرضي نزعة نفوسهم المتعطشة للانتقام والدماء، بدون تحميلها إساءة سابقة من الآخرين عليها، شاهد ذلك ما أخبر الله عنهم من طبائع، حيث يقول سبحانه: ﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[(١)].

قال ابن كثير في تفسيره: إنما حملهم علىٰ جحود الحق أنهم يقولون: ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأميين وهم العرب، فإن الله قد أحلها لنا[(٢)].

مثال ما جاء في بروتوكولاتهم: البروتوكول الثامن عشر: الذي جاء في أوله قولهم: متىٰ حان الوقت لاتخاذ إجراءات بوليسية صارمة - وهي أشد السموم فتكًا بهيبة الدولة - نلجأ إلىٰ افتعال الاضطرابات والمظاهرات، وإعلان سخط الشعب والمعارضة، علىٰ لسان الخطباء المفوهين، الذين يلتف بهم الأشياع، فتكون لنا ذريعة

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٧٥).

(٢) تفسير ابن كثير لسورة «آل عمران» (١/ ٣٢٢).

لتفتيش البيوت، ومضاعفة الرقابة، وأخذ الناس بقيود خاصة، وإعلان قوانين الطوارئ، مستغلين عملاءنا العاملين في شرطة «القوييم» يعنون بالقوييم: من ليس صهيونيًّا ولا مناصرًا للصهيونية».

ثم يقول: ولما كان أغلب المتآمرين مولعين بحبك المؤامرات وبالثرثرة، فسندعهم وما هم بسبيله، حتىٰ تقع علىٰ أيديهم حوادث واضحة، ويجب أن نتذكر أن السلطة تفقد هيبتها، كلما اكتشفت مؤامرة، فيفهم الناس من ذلك أن الوهن أصاب السلطة، بل هناك ما هو أسوأ، وهو اعتراف السلطة بأخطائها، وقد عرفتم أننا هشّمنا هيبة حكام «القوييم» بسلسلة من الاغتيالات، قام عملاؤنا من قطيع خرافنا العميان الذين أمكن لنا إغراؤهم بإنجازها، مدفوعين بسهولة من قبل تأثيرهم بعبارات الحرية الملونة بصبغة سياسية[١].

فهل يشك أي إنسان بعد هذا أن أعمال اليهود وما نظموه في بروتوكولاتهم ليس إرهابًا حقيقيًّا علىٰ العالم بأسره، وإنهم وإن صانعوا بعض الدول الغربية فإنما لمصالحهم؛ ليخدعوا غيرهم بأنهم الطفل الوديع؟ وهل يغرب عن ذهن عاقل دور اليهود فيما يدور في الساحة من إرهاب برزت معالمه وفق ما مر؟

بينما مفكرو أوربا كلها أدركوا خبث اليهود الصهاينة وإرهابهم العالمي الذي أوجد نقمة عارمة ضدهم، ولكن خداع اليهود وإعلامهم المكثف، وتمسكنهم حتىٰ يحققوا غايتهم في السيطرة، أوجد لهم قلوبًا تحنو علىٰ قضيتهم مع ألمانيا، إن صحّتْ؛ لأن بعض المراقبين يرونها دسيسة يهودية تستوجب الشفقة عليهم، لقيت صدىٰ في العداء ضد هتلر والنازية، حققوا ذلك بالرشاوىٰ والتهديدات، وتسمية الأشياء في الإعلام

---

(١) تراجع بروتوكولات صهيون، ص(١٣٢) ترجمة العطار.

اليهودي الصهيوني بغير ما تدل عليه حقيقة، لا ينفي ما يراد من العمل، ولا الوسيلة لهذا العمل الذي فضحته بروتوكولاتهم.

وما ذلك إلا أن كل عمل مكروه، وينفر منه الآخرون، يحاول أن يحسنه صاحبه، ويجعله مقبولًا حسبما يظهر له، ألا ترىٰ أن الأدوية المرة في مذاقها يلبسها الصانعون طعمًا مقبولًا يستسيغه الذوق، ولا ينفر منه المريض.

وهذا ما نلمسه في الإرهاب؛ لأنه انطبع عند الناس بسمات سيئة برزت مما ظهر للناس عنه، فإن من يقوم به ينفي عن نفسه ما انطبع في أفئدة الناس، ومن هنا ندرك أن الدول التي تغذي الإرهاب وتستفيد من اتّساع نطاقه تنفي عن نفسها - ظاهريًّا - صفة الإرهاب، بل تجعل من نفسها - إعلاميًّا - أنها مجندة طاقاتها لمحاربته، ومعلوم أن تغيير الاسم لا يغير المسمىٰ، وأن القول إذا لم يصدقه العمل فهو للاستهلاك المحلّي فقط.

هذه البروتوكولات وما تحمل من أرقام، كل واحد منها ما هو إلا نموذج لما يخطط له الصهاينة من إرهاب عالمي يخدم مصالحهم ومخططاتهم؛ تبريرًا لإقامة مملكتهم المزعومة بقيادة ملكهم وطاقم المستشارين الذين يدبّرون الأمور، وإقالته ثم تبديله إذا لم يسيرها وفق آرائهم؛ لأن القوة التي تحيط به تحت نفوذ المستشارين، وإن كانوا لم يظهروا في المواجهة، فإن لهم العمل الخفي، وهذه صفة ملازمة لليهود قديمًا وحديثًا: الحسد والعمل في الخفاء والسرية.

يقول الدكتور عبد الله السلطان في كتابه السابق ذكره عن الإرهاب: إن تعريف الإرهاب أوجد مشكلة، فالدول الاستعمارية تشير إلىٰ أن مقاومة القوىٰ الوطنية ضدها يعتبر عملًا إرهابيًّا، وهذا من اختلاف المفاهيم، مما عاق حتىٰ الآن وصول الأمم

المتحدة إلىٰ تعريف للإرهاب متفق عليه[١].

وبطبيعة الحال فإن الصهيونية اليهودية، ومعها الصهيونية العالمية، لأعمالها الخفية، وأهدافها البعيدة المرمىٰ، المستورة عند المخططين لها، لا تريد تعريفًا يفضح المآرب، ولا توضيحًا ينبئ عن بعض النوايا، فتنكشف أعمالهم، وتظهر نواياهم.

❊ ❊ ❊

(١) راجع «عن الإرهاب» للدكتور عبد الله السلطان المطبوع بالرياض، مطابع الحميضي عام ١٤٢٤هـ نهاية المقدمة رقم (٢).

٥- مَنْ وراء الإرهاب؟!

مِنْ تتبُّعِ مسيرة الأحداث التاريخية والنوازع الشخصية عند بعض الأمم ندرك أن الإرهاب عرفت جذوره منغرسة في طباع بعض البشر، سواء كانوا أفرادًا أو جماعات، تحركهم غايات يحيطونها بالسرية ومنتهىٰ الكتمان.

إما ضعفًا في نفوسهم، وقلة في عددهم، وإما خوفًا وجبنًا، فلا يحبون أن يعملوا إلا في الخفاء، ولا يتحركون إلا في الظلام؛ لأن الإرهاب ومن يقوم بالإرهاب يعملون لقضية ليست عادلة، وليس بها وضوح في الهدف والغاية، فيشعرون بعدم رضا المجتمع عما يقومون به، ويدركون متابعة أعمالهم؛ لذا يتوارون عن الأنظار.

ولما كانت النفس البشرية فيها عاملان يتنازعان الإنسان، عامل الخير ويحركه الإيمان الذي تحوطه تعاليم الإسلام، وما فيها من تنظيم حسن لشؤون الإنسان الدنيوية والأخروية، فيكون قلبه مطمئنًا، وتفكيره متزنًا، وهذا النوع يمقت الإرهاب والطريق الموصل إليه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[1].

وعامل الشر الذي تحركه الخصال السيئة من حسد، وبغضاء، وحقد علىٰ الآخرين، بسبب وبغير سبب، كما جاء في تعريف الحسد بأنه: تمني زوال النعمة عن الآخرين، والعمل من أجل حرمان صاحب النعمة مما منحه الله، وليس شرطًا بأن ينالها الحاسد، بل الأسوأ أن يعمل لتقرَّ عينه بزوالها من صاحبها، ولو لم ينلها هو، وهذه الخصلة يغذيها عدّو الله إبليس، الذي أخرجه الله من الجنة بالحسد، عندما حسد آدم علىٰ ما آتاه الله من فضل عظيم، كما قص الله خبره بقوله تعالىٰ بعدما عصىٰ الله وامتنع عن

(١) سورة الأنفال، الآية (٢).

السجود لآدم، وقد أمر مع الملائكة فسجدوا كلهم إلا هو: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾[1]. فالطبائع الإبليسية، والحسد، والتعاظم في النفس، حرك الإرهاب، فأحب بعضهم تحقيق غايته به، فكانت بداية الإرهاب متأصلة في البشر علىٰ وجه الأرض، فالعاملان يتصارعان:

الخير: يمثله، ويدعو له أنبياء الله؛ لأنه حق من عند الله، ويعينهم علىٰ مواصلة الدعوة إليه أولياء الله المؤمنون.

والشر: يمثله ويدعو له من ابتعد عن منهج الخير، ونصب من نفسه عدوًّا له، ورافعًا راية العداء والمحاربة للإسلام، وفي مقدمة الداعين إليه إبليس، الذي أخذ علىٰ نفسه عهدًا أمام ربه لَمَّا غوىٰ، بأن يضلل عباده، ويحرفهم عن الطريق السوي، ولا يجد الله منهم شاكرًا ولا مطيعًا له سبحانه، ويعينه علىٰ امتداد الدعوة للشر والفساد، أولياؤه بعض اليهود ومن يسير وفق مخططاتهم وبإعانتهم.

فمن سار في طريق الشيطان، وأسلم قيادة نفسه له، واتبع هواه؛ انحرف عن الطريق، فكان فاسدًا مفسدًا، غاويًا يكره الخير ودروب الخير، وينقم علىٰ أهل الخير؛ ليعمل بأي جهد في الإضرار بهم، وسلبهم ما أعطاهم الله من خير وأمن واستقرار وراحة بال، ويسلك في هذا السبيل كله وسيلة رديئة، كالكذب والبهتان والغيبة والنميمة، فكان هذا الإرهاب الذي وراءه شياطين الجن وشياطين الإنس، وعَمَّق جذور هذا الإرهاب المتأصل مع تشعب طرق الشر ورسخها اليهودُ بأفعالهم السيئة، وبث أفكارهم العدوانية التي رصدها التاريخ العالمي، وانطبعت في حركاتهم وأعمالهم

---

(١) سورة ص، الآيات (٧٣ – ٧٦).

التي تسير في كل زمن بما يناسبه، بروزًا أو خفاءً وفق مخططاتهم، منذ بدءوا بأخيهم يوسف عليه السلام، ثم أخيه لأبيه من بعده، ولم يبروا أو يعطفوا علىٰ والدهم الشيخ الكبير يعقوب عليه السلام.

فكانوا منذ ذلك الوقت وهم وراء بث الخوف والرعب في المجتمعات، ويغذون ذلك حسدًا من عند أنفسهم، وكراهية للآخرين الذين آتاهم الله من فضله، حتىٰ إن من ترك ديانة اليهود يكشف خفايا نفوسهم، ويتخذون في هذا أساليب وطرقًا متنوعة، ويبتكرون في كل وقت ما يرونه معينًا لهم في زعزعة الأمن وخلخلة اطمئنان القلوب؛ إما بالحيل والخداع، وإما بحبك المؤامرات عامة أو خاصة، وإما بإثارة الطائفية وتحريك الأحزاب، فإذا ضاقت الحيل عندهم، جاؤوا باسم معاداة السامية، إذ لا تجد مدخلًا من مداخل الشر وإثارة النعرات ولا تثار فتنة إلا ولليهود أصابع فيها؛ سعيًا وراء الفتنة وزعزعة الأمن والفساد.

ولما كان الله قد ضرب عليهم الذلة والمسكنة، وبين سبحانه من صفاتهم في القرآن الكريم: أنهم يسعون في الأرض فسادًا، وكذا من سار في طريقهم، ولو كابر وعاند وادعىٰ عدم صلته باليهود، فإنه يطبق فكرهم ومخططاتهم، فلقد عُرِفَتْ فيهم هذه الخصال، واستحقوا نقمة شعوب الأرض، وصاروا يؤصلون ذلك في نفوس وقلوب ناشئتهم؛ تعليمًا وتلقينًا، وأذكر بالمناسبة: في مدينة لوس أنجلوس بأمريكا، حيث يكثر تجمعهم في المدن الكبيرة الثرية، فإنهم يعلمون أبناءهم مع أبناء الأمريكان في مدارسهم، ولكن يغسلون أدمغتهم، ويرسخون عندهم انتماءهم اليهودي، وحقدهم علىٰ من ليس يهوديًا، بأن تأتي الأمهات بأبنائهن في الفترة المسائية، وقد وضعن علىٰ الرؤوس طاقيتهم المشهورة عند اليهود، كشعار يميزهم، ثم تسير مع ابنها حتىٰ تدخله

الفصل الخاص بأبناء اليهود، ليبدأ معهم المدرس أو المدرسة الدرسَ بالقول: يا أبنائي، أنتم أحباء الله وأبناؤه، واختاركم الله لتحكموا العالم، ولذا يحسدكم الناس ويبغضونكم؛ لأن الولد الأثير عند أبويه يغار منه إخوانه، فيعملون ضده المكائد، فاصبروا حتىٰ تقوىٰ مكانتكم، واعملوا لإقامة دولتكم، لتنتخبوا الملك الذي يسوس ملككم، ويكون العالم كله تحت قبضتكم.

وقيل لنا ونحن هناك: إن دروس تأصيل العداء ضد البشرية كلها وهو ما يسمونه «القوييم» كما جاء في بروتوكولاتهم، يتكرر كل يوم في هذه المدارس الخاصة الممولة بتبرعات اليهود؛ لتأصيل ما تنطوي عليه قلوب اليهود في أبنائهم جيلًا بعد جيل؛ حتىٰ لا تذوب هويتهم المبنية علىٰ الكراهية والحقد لعموم الأجناس البشرية.

ثم عند انتهاء الوقت الدراسي تأتي الأمهات لأخذ أبنائهم وبناتهم، وتناقشهم فيما أخذوا من دروس؛ لتؤصل ما أثبته المدرس أو المدرسة، والغالب في هذه المدارس أنه لا يتولاها إلا مدرسات؛ لأن الهوية اليهودية تثبت أولًا بالأبوين اليهوديين أصلًا وتسلسلًا، ثم بالأم اليهودية.

ومن هنا ندرك هذا الرسوخ المتعاقب في اليهود، وقد ترجم الدكتور محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة بعنوان: «كيف يربي اليهود في الولايات المتحدة أولادهم»، ذكر فيها نماذج من أساليبهم حتىٰ لا تضيع طباعهم مع الاختلاط بالأمم الأخرىٰ، ولكي يبقىٰ أولادهم في شبه انعزال؛ حتىٰ لا يتأثروا بمن حولهم، وخاصة فيما يتعلق بالكعكات المقدسة وما حولها من قصص، وبيّن أن لكل صبي وصبية من أبناء اليهود في أمريكا مدرستان عليه أن يتعلم فيها، الأولىٰ: المدرسة العبرانية لدراسة تاريخ اليهود،

والثانية: المدرسة العامة لكل مستوطن في الولايات المتحدة أن يتعلم فيها[1].

ثم زاد شرهم بعدما ظهر الإسلام ببعثة محمد ﷺ، فصاروا يحركون المشركين، ويضعون لهم الشبهات ضد رسول الله ﷺ، والرسالة التي جاء بها من عند الله، ويحيكون معهم المؤامرات، ويؤصلون في قلوبهم العناد ومحاربة رسول الله ﷺ بطرق متعددة تؤصل العداء، وتنمي الفتنة والرعب.

وبعد هجرة رسول الله ﷺ تعمّق شر اليهود أكثر بأعمال ظاهرة، كتحالفهم مع المشركين في غزوة الأحزاب، ونقضهم العهد مع الرسول الكريم، وغير هذا من أمور ذكرها ابن هشام في كتابه «السيرة النبوية».

وبأمور خفية في وضع الشبهات، ومحاولة قتل رسول الله ﷺ، فأخبره جبريل بذلك عليه السلام، ثم بوضع السم في عضد شاة، حيث علموا أنه يحب ذلك، فجاءه الخبر بذلك من السماء، ومحاولة سحره عليه الصلاة والسلام، وتحريك إخوانهم المنافقين في المدينة ضد الرسالة وصاحبها.

وسنُلِمُّ بدون توسع ببعض مراحل الإرهاب الذي يغذيه اليهود ويحركون أعوانهم في السعي فيه، مثلما يسمونهم في بروتوكولاتهم: عملاءنا في شركة القوييم، عملاءنا من قطيع خرافنا العميان، المتأثرين بعبارات الحرية، وغير هذا من نعوت تنبئ عن احتقارهم لهم، مع أنهم يخدمون اليهود، مما يبين دناءة أخلاقهم، وأن اليهود لا وفاء عندهم ولا أمانة.

بل إن الله سبحانه أخبر بما بين اليهود من الشحناء والعداوة في قوله تعالى: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾[2].

---

(١) تراجع هذه الرسالة الصغيرة المطبوعة عام ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، بالدار البيضاء، المغرب.

(٢) سورة الحشر، الآية (١٤).

ومع هذا فبعضهم يخاف من الآخر، ولا يثق به؛ لهذه الشحناء والعداوة، كما قال سبحانه – وقوله الحق –: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[(١)].

مما يبين أن الإرهاب بمفهومه العام: «التخريب والفساد، والتخويف بالعمل في الخفاء، وإفساد الضمائر، والحسد والكراهية بأن ينعم الناس بالرّاحة والأمن»، كل هذا وأكثر منه مرتبط بالمصالح للدول ذات القوة والنفوذ، وباليهود عالميًّا، وتوضحه دسائسهم عندما تبرز معالمها، كفساد الأخلاق والكذب والرشاوىٰ والربا وغير ذلك.

لأنهم قوم – كما وصفهم الله في كتابه الكريم –: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾[(٢)]، وقد تأثر بتربية اليهود ومخططاتهم التي أبانت بعضها بروتوكولاتهم نصًّا وعملًا مَنْ دَرَسَ في ديار الغرب من أبناء المسلمين، ودفعه ذلك إلىٰ مصاهرتهم إعجابًا وتقليدًا، فحرص في سعيه لتطبيقه علىٰ بني جنسه فكرًا وافدًا، وعملًا مقلدًا، وندرك من المصادر الشرعية، ومن الرصد التاريخي أن وراء الإرهاب فئات لا تستطيع المجابهة، وليست قادرة علىٰ التخطيط والبروز في المواجهة؛ لضحالة فكر أصحابها، وانحراف ذلك الفكر عن المسار الصحيح، وعدم استطاعة العاملين فيها علىٰ القيادة وحسن التوجيه، فيتيه فكرهم؛ لأن ميزان الدين الحق قد خف من قلوبهم، وتذبذبت مقاصدهم، ويعبرون عن ذلك بضربات إجرامية تدميرية، لا يفرقون بين صغير وكبير، ولا يرحمون امرأة أو طفلًا، أو يعفون عن شيخ ومريض، إنما يقصدون تخويف المجتمع؛ لإحداث بلبلة عند الأمة، ورهبة في البيئة؛ لتخدم في آثارها مَنْ حرّكهم، وهو بعيد يرقب الأحداث، ويوقد نارها بالكذب وتزوير الحقائق، وتيسير

---

(١) سورة المائدة، الآية (٦٤).

(٢) سورة المائدة، الآية (٦٤).

إمكانيات تعين المنفذين، ومن يميل معهم لمزيد من الإرهاب والفساد والتخويف، حيث سلبوا عقولهم، فصاروا يعملون بلا هدف يدركونه، ولا غاية يطمحون إليها، بما أفسدوه من أفكارهم؛ لكي يخدموا أهداف من سيّرهم، بشعارات تخالف واقع عملهم، وهذا ما نلمسه عن شباب غرر بهم وحرفت أفكارهم.



٦- ما عرف عن الإرهاب قبل الإسلام

لم يعرف المسلمون حقيقة اليهود وما تنطوي عليه طبائعهم إلا بما علمهم الله سبحانه في كتابه الكريم، ثم لما هاجر اليهود قبل البعثة المحمدية إلىٰ المدينة وخيبر ونجران؛ طمعًا بأن تكون الرسالة منهم، فإن اليهود جعلوا القبائل العربية القريبة منهم أحزابًا يتصارعون، فيؤيد اليهود هؤلاء تارة، ثم هؤلاء تارة؛ حتىٰ تستمر العداوة مشتعلة، والحسد والبغضاء يأكل القلوب، فاشتعلت نار الفتنة ويوقد اليهود الحرب، حتىٰ هدىٰ الله الأنصار للإسلام.

وقد أبان الله سبحانه في قصة يوسف عليه السلام مكائد إخوته، وحقدهم عليه وعلىٰ أخيه الأصغر منه؛ لأنهما أثيران عند أبيهم يعقوب، فتحركت الغيرة في نفوسهم، ودبَّ الحسد إلىٰ قلوبهم، وتولىٰ قيادة المكيدة: يهوذا بن يعقوب، جد اليهود نسبًا، وكذبوا علىٰ أبيهم، ورموا يوسف في الجب - وهي البئر - للتخلص منه، حتىٰ يخلو لهم وجه أبيهم، فكان يهوذا هذا يضع لإخوته الحيل التي تخفي الجريمة، حتىٰ لا تنكشف مؤامرتهم علىٰ يوسف.

وسورة يوسف أبان الله فيها ما تكنه صدورهم، وما دبروا من مؤامرة علىٰ أخيهم، ولم يفكروا - في سبيل غايتهم - في أبيهم، وما للوالد من حق في البر والرعاية، وقد ذكر ابن الجوزي ذلك في تفسيره(١).

وبعدما استقروا في مصر وتكاثر عددهم صاروا موضع إزعاج لهذا المجتمع الذي ترعرعوا فيه، مما جعل الفراعنة - وهم كفرة يعبدون فرعون والأوثان - يحقدون

---

(١) يراجع زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، وخاصة ص(١٨٩ - ١٩١) من الجزء الرابع.

عليهم، ويبادلون إرهاب اليهود، وعصيان بعضهم لربهم، بمعاقبة المحسن والمسيء سواء، وذلك بقوة الاستعباد، واستحياء النساء، وإيذاء الرجال، حتىٰ أنقذهم الله بموسىٰ عليه السلام الذي قدر تاريخه بعض الباحثين بحوالي (١٢٠٠) سنة قبل ميلاد عيسىٰ عليه السلام.

فلم يشكروا الله علىٰ ما أنعم به عليهم، وغلب طبعهم علىٰ تطبّعهم، حيث بادروا بعصيان الله مع السامريّ عندما ذهب موسىٰ عليه السلام لميقات ربه، فلما عاد عليه السلام، ورأىٰ ما أحدثوه بعده، غضب غضبًا شديدًا، وألقىٰ الألواح، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، ويعاتبه بشدة علىٰ هذه المعصية التي استبدلوها بعدما مَنَّ الله عليهم من اتّباع موسىٰ، وغرق فرعون وقومه بعدما أنقذهم الله بهلاك عدوهم، فعاقبهم الله بالتيه في الصحراء أربعين سنة، حتىٰ هلك المخالفون لأمر الله، العاصون لنبيه موسىٰ عليه السلام، فذهب الباقون إلىٰ فلسطين حيث موطنهم مع أنبيائهم.

وعندما استقروا بفلسطين ارتكبوا جرائم عديدة، وعادوا لطبعهم وإجرامهم، فتسلطوا بمذابح وإرهاب للآمنين من الكنعانيين وسكان فلسطين القدامىٰ، ومضت المئات من السنين، وهم مع سكان الديار في فلسطين في اقتتال ومؤامرات، وصراع دائم حتىٰ جاء عام (١٢٥) بعد ميلاد المسيح عليه السلام تقريبًا، عندما جاء الرومان إلىٰ فلسطين، واعتنقوا الديانة النصرانية تاركين الوثنية؛ بسبب رؤيا رأتها أم قسطنطين، واسمها هيلانة، فسّرت هذه الرؤيا لهيلانة كاهنة، فأخبرتها بأن ابنها قسطنطين سيحكم إذا رفع الصليب شعارًا لدولته.

من ذلك الوقت ازداد العداء اليهودي ضد النصرانية فيما أشيع عن قتلهم المسيح عيسىٰ بن مريم عليهما السلام، الذي أخبر الله سبحانه بكذب اليهود في هذا الادعاء،

لكنهم تحملوا إثمين: إثم الادعاء بقتلهم المسيح، وإثم إرهاب النصارىٰ، وتخريب دينهم عليهم لجهلهم.

يقول الله عز وجل في بيان كذب اليهود: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾[1].

فقد وجد قسطنطين أن اليهود قد أرهبوا النصارىٰ، وبرزت مكيدتهم لجميع أتباع عيسىٰ، ولمنْ وحّد الله، برمي القمائم، وخِرَقِ الحيّض من نسائهم علىٰ قبر المصلوب، ظنًّا منهم أنه نبي الله عيسىٰ بن مريم عليهما السلام؛ ليلحق بقائمة من قتلوا من أنبياء الله، الذي ليس بعده إرهاب وتخويف؛ لأن من تجرأ علىٰ أنبياء الله، وحاملي رسالاته، يهون عليه غيرهم من البشر بالإيذاء والمكيدة والقتل.

فعبر الرومان عن ذلك العمل بإزالة تلك القمائم لإخراج المصلوب مع صليبه الذي عبدوه بعد ذلك الوقت، ورموا القمائم علىٰ الصخرة، معراج الأنبياء، وقبلة اليهود.

ونكاية بعملهم الإرهابي، وعداوتهم لعيسىٰ عليه السلام، طردهم الرومان من أرض فلسطين، وشتّتوا شملهم بردّ فعل من جنس أفعالهم، مما يبرز منه الدلالة لما جاء في سورة الفاتحة: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾[2]، فالمغضوب عليهم اليهود الذين معهم علم ولم يعملوا به، وعصوا الله علىٰ بصيرة ومعاندة، والضالون هم النصارىٰ، يعبدون الله علىٰ جهل وضلال.

وما زال اليهود يستغلون جهل النصارىٰ ليتسلّطوا عليهم ويفسدوا عليهم دينهم؛

---

(١) سورة النساء، الآيتان (١٥٧، ١٥٨).

(٢) سورة الفاتحة، الآية (٧).

ليجعلوهم شعارًا لدسائسهم، وتنفيذ مآربهم، يبين أثر ذلك في كل زمان، وبأي موقع من الأرض.

وقد جاءت عدالة الإسلام وسماحته بعد الفتح الإسلامي لديار الشام وفلسطين، فعندما وصل عمر بن الخطاب ﷺ لاستلام مفاتيح بيت المقدس من كبير القساوسة في كنيسة القمامة(١)، وظهر له الفعل ورد الفعل حول القمائم التي رماها الطرفان علىٰ معابد بعضهما كنموذج من الإساءة والكراهية، وهذا نوع من الإرهاب، فرأىٰ عمل شيء يبرز نظرة الإسلام للأديان وحرصه علىٰ تأليف القلوب، فكان عمر بن الخطاب ﷺ ومعه الصحابة الكرام ينقلون القمائم من فوق الصخرة ورميها بعيدًا، ويقول عمر: قاتلهم الله، ما أمرهم الله بهذا.

ثم كان لليهود مواصلة إرهاب مع النصارىٰ - كما هي عادتهم - في كل مكان، بالدسائس والترويع، وتحريف ما أنزل الله، والكذب في المعتقدات والقتل الخفي، حتىٰ أصبحت حارات اليهود لا يساكنهم فيها النصارىٰ، ولا يجاورهم فيها أحد منهم؛ لما يصدر عن اليهود من خطف للرهبان والقساوسة والأطفال والنساء، والتقرب في أعيادهم بقتلهم ودمائهم، فضلًا عن التخويف والإضرار، بافتعال الحرائق، والتخريب في الكنائس وغيرها، وغير هذا من أعمال عرفت كطبع متأصل في اليهود.

وقد ضجرت أوروبا بأسرها بعدما خرجت بروتوكولاتهم لأول مرة بطبعة روسية عام١٩٠٢م، الطبعة الأولىٰ التي اختفت من الأسواق بسرعة، حيث استولىٰ عليها اليهود فأحرقوها؛ لأنها تكشف ما خفي من أعمالهم ونواياهم، وتنشر خزيهم ومؤامراتهم علىٰ الملإ.

---

(١) سميت كنيسة القمامة؛ لما وضعه اليهود عليها من قمائم وأوساخ، وغيروا اسمها حاليًا باسم القيامة.

ثم خرجت الطبعة الروسية الثانية عام ١٩٠٥م، وتوالت الطبعات الإنجليزية والألمانية وغيرهما، مما أوجد ضجّة كبيرة في أوربا خاصة، نتج عنها رد فعل ضد اليهود، وتضييق الخناق عليهم، بعدما انكشف مستورهم، وما يريدونه بالعالم كله من أمور وسيلتهم فيها الإرهاب، لكنهم نسوا ذلك وتناسوه تعاطفًا معهم.

والرئيس الأمريكي فرانكين بنيامين لما استقرت أمريكا بعد حروبها الأهلية أدرك خبث اليهود وضررهم علىٰ الشعب الأمريكي، عندما بدأت هجرتهم تتكاثر في توافد علىٰ أمريكا، فقد حذر الشعب الأمريكي منهم في خطبته عام ١٧٨٩م بمناسبة الاحتفال بالدستور الأمريكي، وخوفه من هجرتهم إلىٰ أمريكا، ذاكرًا تاريخهم السيئ مع شعوب الأرض، وأعمالهم الإرهابية المفسدة لكل مجتمع يحلّون فيه، وداعيًا لمساعدتهم وإسكانهم في أي موقع من العالم إلا أميركا؛ لأنهم سيفسدون ما صلح، وسيكونون نقمة في المجتمع الأمريكي، مؤكدًا ذلك بقوله: إن لم تتداركوا الأمر فإن أولادكم سيلعنونكم وأنتم في قبوركم بعدما يتحكم اليهود في مصالح الشعب الأمريكي ليخدمهم أولادكم، وهم متكئون علىٰ أرائكهم[(١)].

وما ذلك إلا لأن الإرهاب جزء من أعمال ومهمات اليهود، أفرادًا وجماعات، خلق من طبائعهم يتواصون به، ويغذّونه، ويدفعون الجهلة والمستضعفين إليه، بإغراءاتهم، ومؤامراتهم، وتخطيطهم، وإعاناتهم، ورشاواهم؛ حتىٰ يحققوا ما أخبر الله عنهم بالفساد والإفساد والتدمير وإثارة الرعب والقلق في المجتمعات.

ولذلك نراهم لما أرادوا الهجرة من شرق أوربا إلىٰ غربها وقف أغنياء صهيون،

---

(١) تراجع تلك الخطبة وما فيها من نصائح للشعب الأمريكي ضد اليهود في ملحق بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة شوقي عبد الناصر.

وتجار اليهود، أمثال أسرة روتشلد المؤسسين للبنوك في سويسرا وغرب أوربا في سبيل ذلك، بوضع العراقيل، وهم من أبناء جلدتهم، ويدينون بدينهم، وبكل ما يستطيعون، حتىٰ لا يفسدوا عليهم ما وصلوا إليه من مكانة وعلاقات مع وجهاء وأثرياء غرب أوربا.

فجاءت فكرة البحث لهم عن مكان يستوطنونه، ومدّ لهم أثرياء اليهود، وساعدوهم بشراء العقار والمزارع؛ ليبعدوهم عنهم حتىٰ يأمنوا شرهم في أفريقيا وأمريكا الجنوبية ثم فلسطين.

وتدخلت العوامل السياسية في المواقع التي رشحت لهم، وعددها (٢٠) عشرون موقعًا، ما بين أمريكا اللاتينية، وأفريقيا، وآسيا، وبلاد العرب، حتىٰ تفتق عقل بلفور وزير خارجية بريطانيا بجمعهم في فلسطين لتكون لهم وطنًا، وليكونوا شوكة في حلوق العرب، ويحققوا مآربهم في نظرتهم بمحاربة الإسلام الذي هو عدو الغرب الأول[١].

وعلاوة علىٰ عداوة اليهود مع الإسلام وأهله، فإنهم كانوا في وطنهم الجديد - أرض فلسطين - مقرًّا للإرهاب، وميدانًا لتصديره، ومركز تخطيطه، بما أوجدوه من أجهزة مخابرات عالية الكفاءة، فاعتبر أعداء الإسلام في الغرب والشرق اليهود في فلسطين، التي كانت تحت الانتداب البريطاني، وسلمتها الحكومة البريطانية لليهود؛ لتكون وطنًا لهم في عام ١٩٤٨م بأنهم خير من يرعىٰ الشوكة المغروسة في جنب الإسلام، والقذاة في عيون العرب؛ ليكونوا بديلًا عن الحروب الصليبية التي فشلت، من باب ضرب خصم بخصم[٢].

---

(١) يراجع بحث الأستاذ الأديب قعوار المتخصص في الشؤون الفلسطينية والصهيونية، بمجلة تاريخ العرب والعالم، وهو بحث مطول، العدد ذو القعدة ١٤٢٤هـ.

(٢) يراجع في هذا مقالان لنا في جريدة الجزيرة بشهر محرم عام ١٤٢٥هـ بعنوان بين اليهودية والصهيونية العددان ١١٤٧٤، ١١٤٨١، تاريخ ٧، ١٤ محرم، والمجلة اللبنانية: العرب والعالم، التي تصدر في بيروت عدد ذي القعدة عام ١٤٢٤هـ.

فكان وجودهم مصدر إرهاب وإزعاج، وعدم استقرار في منطقة الشرق الأوسط، مع زعزعة المنطقة، ولا يزالون يحركون الفتن، ويدبّرون المؤامرات، ويرعبون ويرهبون، بل نراهم يدسون أنوفهم في كل مكيدة أو إرهاب يترتب عليه خلافات في صفوف المسلمين والعرب.



٧- ما عرف عن الإرهاب بعد الإسلام

لم يكن في حياة العرب سواء قبل نبوة محمد ﷺ أو بعدما أشرقت أنوار الإسلام من بطاح مكة - كما قلنا - ما يدعوهم للإرهاب والعمل في الخفاء؛ لأنهم يعتدون بشجاعتهم ومحافظتهم علىٰ مكارم الأخلاق، ولأنهم صرحاء في القول والعمل، وفي عداوتهم علىٰ بعض يجاهرون بذلك، ويتصارعون، ويفتخرون بالقوة والفروسية، يصور حالهم شعراؤهم اعتدادًا بالقوة والفروسية، وشدة المنازلة والشجاعة، في مثل معلقة عمرو بن كلثوم بقوله:

بأي مشيئة عمرو بن هند ... ترىٰ أنا نكون الأرذلينا

ومنها قوله:

بأنا نورد الرايات بيضًا ... ونصدرهن حمرًا قد روينا[1]

وهذا ليس لواحد دون الآخر، ولكنه ظاهرة عامة، وعلىٰ فطرتهم هذه، فجاءت تعاليم الإسلام السمحة الواضحة لتؤصلها في الاعتقاد والعمل، ولتكون الحماسة لدين الله، والشجاعة في الجهاد لنشر هذا الدين في الآفاق، لكن اليهود الذين جاءوا لديار العرب طمعًا في أن رسالة آخر الزمان تكون منهم، حسبما يجدون الأوصاف والعلامات في كتبهم، جاءوا بعاداتهم ومعتقداتهم؛ ليبثوا ما تنطوي عليه ضمائرهم، فاستوطنوا البلاد المشهورة بالنخيل والحرار، مهتدين بذلك لما عندهم من أوصاف لديار ذلك النبي، فتوزعوا في خيبر والمدينة «طابة»، ونجران.

ولما ظهرت الرسالة في مكة، وأوحىٰ الله إلىٰ نبيه، وآخر رسول يبعث للناس كافة

---

(١) يراجع في هذا معلقته في كتاب المعلقات العشر ومعها سبب قوله لها، وقتل عمرو بن هند.

محمد ﷺ، وهو عربي هاشمي قرشي، دبّ الحسد في قلوب اليهود، وتعاهدوا علىٰ نصب العداء له.

فكانوا أولًا يغذون الشبهات ويحركونها، ويساعدون الكفار والمنافقين المعاندين للرسالة بالحيل في تكذيب محمد ﷺ وما جاء به من عند ربه، ويعدونهم بالمساعدة، حيث طرحوا أمامهم أسئلة تعجيزية لا يجيب عليها إلا نبيّ، كما في سورة الكهف.

ثم اشتد عداء اليهود بعدما هاجر رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة، رغبة منهم في إطفاء نور الله، حسدًا من عند أنفسهم بعدما تبين لهم أنه الحق، فنجم عن ذلك أساليب إرهابية وأعمال باطنية، هي من عادة اليهود في المكر والمخادعة، وطبيعة من طبائع نفوسهم المتأصلة فيهم.

وقد بين الله بعضًا من صفاتهم؛ حتىٰ يعرفهم المؤمنون بالله وبرسالاته بها، كما قال الله عز وجل: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾[1].

ولذلك فإن من طبائعهم التي يريدون بها إفساد المجتمع الإسلامي خاصة كما عملوا في المجتمعات الأخرىٰ بدسائسهم ومكرهم:

١ - تكوين طابور ثالث؛ لينخر سوسة في المجتمع، حيث تمالئوا مع المنافقين في تدبير المكائد وتأسيس بذور المؤامرات لمحمد ﷺ ولأصحابه، فأصبح المنافقون في المدينة ظاهرهم الإيمان وباطنهم الكفر؛ إرضاءً لإخوانهم اليهود في رسم الخطط السيئة بأعمالهم الخبيثة ومكرهم وإرهابهم، كما وصفهم الله سبحانه بذلك، كما بان ذلك في قوله سبحانه: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٠٩).

﴿أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾(١)، في حلف نظّموه فيما بينهم في التعاون على الشر، ونصب العداء للإسلام ولحامل الرسالة التي جاء بها من عند ربه.

وقد شهد الله على ما هو حق لا مراء فيه، على هذا التحالف الإرهابي، والوعد الباطل الذي طمأن به المنافقون كفار بني إسرائيل بأنهم كاذبون، فلن يخرجوا معهم إذا أخرجوا، ولن ينصروهم إذا قوتلوا، كما هي عادة الأعمال الباطلة، وهذا ما بان بالحقيقة لّما نزل باليهود أمر الله.

٢- تكوين تحالف آخر محوره الشر وتنمية جذور ما يبثه اليهود لهذه الدعوة وحامل مقودها، محمد ﷺ؛ لأن اليهود هم محور الشر، ولا تهنأ نفوسهم إلا بتحريك أسبابه من فساد وفوضى، طمعًا منهم في توسيع هذه الدائرة، كما هو طبع اليهود فيما يرونه معينًا على تحقيق مآربهم.

فهل يعي زعماء أمريكا اليوم: أن محور الشر الذي يريدونه هم اليهود الذين أوضح عنهم حبهم للشر وسعيهم في الفساد؟

وحذر شعبه الأمريكي في عام ١٧٨٩م من خططهم ومكائدهم الرئيس بنيامين فرانكلين في خطبته بمؤتمر إعلان الدستور في الولايات المتحدة الأمريكية.

ولما كان المنافقون قد ظاهروا المسلمين باعتقادهم المزدوج، فإن طباعهم تلاقت مع طباع اليهود، فكانوا إخوانًا معهم في العمل والهدف بقدر ما يستطيعون من إرهاب وتخويف، وإثارة البلبلة ضد المسلمين؛ لأن الجنس مع جنسه تتلاقى طبائعهم ومقاصدهم، كما يروى لعمر بن الخطاب ﷺ قوله: نزلنا الكوفة بليل، فنزل الأخيار

---

(١) سورة الحشر، الآية (١٠).

علىٰ الأخيار، ونزل الأشرار علىٰ الأشرار، والمثل الشعبي عند أهل مكة يقول: «البيض الخارب يدحرج علىٰ بعضه».

ولما كان المنافقون يتمنون الشر، ويفرحون بحدوث ما يؤذي نبيّ الله محمدًا وأصحابه، أو يفتح ثغرة تضر بدين الله والمدافعين عنه الحريصين علىٰ نشره، كما فضحتهم سورة التوبة بأعمالهم الخفية، فقد التأم معهم اليهود لاتّفاق الطباع في الهدف، إفسادًا وبلبلة وإثارة، وسماهم الله إخوانًا ليتعاونوا في هذه الأخوة علىٰ إيقاد نار الفتنة ودواعيها بالطريقة التي تتلاءم مع كل عصر ومجتمع، وما يترك الأثر المسلط ذلك الأمر من أجله، ولا يتوانوا في هذا العمل الذي إن خَفَتَ من جانب، حرَّكه الجانب الآخر، رغبة في حصول النتيجة التي تضعف حماسة من وجه العمل ضده.

يقول سبحانه: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾[1].

لكن الجميع في أخوتهم العنادية، وأساليب عداوتهم الإرهابية، لم يتخلوا عن الأسس المتأصلة في نفوسهم، بل استمروا في مكائدهم وإرهابهم، فاستحق المنافقون الدرك الأسفل من النار، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾[2].

واستحق الكفار من أهل الكتاب الذين نصبوا من أنفسهم وأعمالهم عداءً مستحكمًا لنبي الله محمد ﷺ، كما روىٰ ابن كثير في «تاريخه»، وما حصل من اليهود لمّا علموا بوصوله المدينة، وكراهيتهم له عليه الصلاة والسلام، ولمن أسلم منهم

---

(١) سورة البينة، الآيات (١ - ٣).

(٢) سورة النساء، الآية (١٤٥).

كعبد الله بن سلام ﷺ وغيره - جزاءهم العاجل والآجل أشد عند الله، بل إن صفية بنت حيي بن أخطب ﷺ روت نموذجًا من ذلك العداء، قالت: لما قدم رسول الله قباء، غدا إليه أبي وعمي أبا ياسر بن أخطب مغلسين، فوالله ما جاءانا إلا مع مغيب الشمس، فجاءانا فاترين كسلانين ساقطين، يمشيان الهوينا، فهششت لهما كما كنت أصنع، فوالله ما نظر إليّ واحد منهما، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم! والله قال: تعرفه نعته وبصفته؟ قال: نعم والله، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت.

وذكر موسىٰ بن عقبة عن الزهري: أن أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله ﷺ المدينة، ذهب إليه وحادثه، ثم رجع إلىٰ قومه، فقال: يا قوم أطيعون فإن الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون، فاتّبعوه ولا تخالفوه. فانطلق أخوه: حيي بن أخطب وهو يومئذ سيد اليهود، وهما من بني النضير، فجلس إلىٰ رسول الله ﷺ، وسمع منه، ثم رجع إلىٰ قومه - وكان فيهم مطاعًا - فقال: أتيت من عند رجل، والله لا أزال له عدوًّا أبدًا، فقال له أخوه أبو ياسر: يا ابن أم، أطعني في هذا الأمر، واعصني فيما شئت بعده، لا تهلك، قال: والله لا أطيعك أبدًا، واستحوذ عليه الشيطان، واتّبعه قومه علىٰ رأيه.

فشرب حيي بن أخطب عداوة النبي ﷺ وأصحابه، ولم يزل علىٰ ذلك دأبه - لعنه الله - حتىٰ قتل صبرًا بين يدي رسول الله ﷺ يوم مقاتلة بني قريظة[1].

وهذا دأب من أضله الله من اليهود، فكان جزاؤهم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢١٢).

كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾[1].

٣ - ثم يصف الله سبحانه تعاون اليهود وتحالفهم مع المشركين في غزوة الأحزاب، وإرهابهم المسلمين بعددهم وعدتهم، وسعيهم كيدًا وإرهابًا، لكن من كان مع الله فلا يضره تحالف أهل الشر ولا إرهابهم، كما قال سبحانه: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾[2].

فلقد احتار المسلمون من هذه المكيدة المدبرة من اليهود وأعوانهم، ولكن الله فرج عنهم بنصره، فبعث علىٰ الأحزاب ريحًا وجنودًا لا يراها المسلمون، فدخل الرعب قلوب اليهود أولًا؛ لأنهم يعلمون الحق، وجزاء المعاند ومعهم المنافقون والأحزاب، فانصرفوا خائبين.

قال ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾، أي: الأحزاب، ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي: يهود بني قريظة الذين نقضوا عهدهم مع رسول الله وعاونوا المشركين عليه: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ أي: شدة الخوف والفزع[3].

٤ - ويكشف الله لنا نوايا اليهود؛ ليظهر ما أخفوه عندما جاءهم رسول الله ﷺ ليتفاهم معهم في نقضهم العهد، وممالأة المشركين والمنافقين ضد دعوة رسول الله ﷺ، ولكنهم دبروا مكيدة لقتله ﷺ وهو تحت جدار حائط لهم، وذلك بإنزال صخرة كبيرة عليه يحملها رجلان من اليهود لتسقط علىٰ رأسه الشريف ويقتلوه، فجاءه خبرهم من عند الله، فقام مسرعًا من لحظته، وذهب قافلًا إلىٰ المدينة، فأحسّ أصحابه بذلك،

---

(١) سورة البينة، الآية (٦).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (١٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٤).

وتبعوه إلىٰ داخل المدينة، فنزل حكم الله فيهم، وتشاور رسول الله ﷺ مع الصحابة فيهم، فقرّ الرأي بأن يجلىٰ عن المدينة فئة، وتقتل مقاتلة الفئة الأخرىٰ[(١)].

ولم تكن هذه هي الأخيرة، فقد حاولوا في خيبر قتله عليه الصلاة والسلام بالسم في عضد شاة، وحاول لبيد بن الأعصم من كبار اليهود سحر رسول الله ﷺ، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ عصم رسوله من شرورهم ومكائدهم، بما بيّنه سبحانه لرسوله الكريم.

٥ - أما عبد الله بن سبإ اليهوديّ الذي دخل في الإسلام محاولًا إفساده من داخله، فلم يستطع في عهد أبي بكر ﷺ، ولا في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، ولكنه عندما أحس بنقطة ضعف في خلافة عثمان بن عفان ﷺ أظهر رأسه فلم يجد من يعينه في إشعال نار الفتنة إلا أفرادًا بثّ فيهم سموم فكره لا يعول عليهم، فخرج إلىٰ الشام ليبثّ أكاذيبه وتلبيسه، وليحرك الناس ضد عثمان ﷺ، وكان الشام زاخرًا بالصحابة رضوان الله عليهم، فلم يجد لصوته صدًىٰ في القلوب، ولا معينًا أو أنصارًا تستفزهم أراجيفه كعادة بني جنسه الحاقدين علىٰ الإسلام.

فاتّجه إلىٰ مصر ليأتي بدعوته وتدبيره ما يريد من الفتنة، حيث وجد استجابة لما بيت من أمر، فحزَّب الأحزاب، وباض وأفرخ هو وأعوانه في تجسيم العيوب وإشاعة الأكاذيب والشبهات المغرضة، التي انتهت بقتل عثمان ﷺ، ووقعت أول نقطة من دمه علىٰ الآية الكريمة من المصحف المكشوف، وهو يقرأ فيه، وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾[(٢)].

فلم ينفتح بذلك باب الفتنة كما يُظن لينغلق بعد ذلك، ولكنه انكسر علىٰ مصراعيه،

---

(١) يراجع في هذا أخبار اليهود وعداوتهم لرسول الله ﷺ، عند ابن هشام في السيرة النبوية.

(٢) سورة البقرة، الآية (١٣٧).

كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ، وبدأت أعمال الإرهاب والعنف، والقتل والتخويف، والتكفير علىٰ أيدي الخوارج.

فقد خرجوا علىٰ ولاة الأمور، وكفّروا صحابة رسول الله ﷺ، وهم خير القرون، وكفّروا علي بن أبي طالب وهو من العشرة المبشَّرين بالجنة، وتآمروا عليه حتىٰ قتلوه، كما كفّروا معاوية وعمرو بن العاص، وجمعًا من الصحابة غفيرًا - رضي الله عن الجميع -، ودبّروا ساعة معينة لقتلهما، ولكن نجاهما الله، وابتدعوا في الدين ما لم يأذن به الله.

فقد خرجوا علىٰ علي رضي الله عنه، وتجمعوا في النهروان، وأراد التفاهم معهم ومعرفة أسباب خروجهم، فلم يستجيبوا، وتوقف عن قتالهم ورعًا وخوفًا من أن يكونوا من أهل القبلة، وأن يصيب دمًا حرامًا، لما يرىٰ من صلاتهم وصيامهم، وقيامهم الليل، وقراءتهم القرآن، وغير هذا من عبادات ظهرت عليهم، فصار يدعو ربه ويصلي ويقول: اللهم أرني فيهم آية.

ثم أرسل إليهم عبد الله بن خباب بن الأرت، فلما جاءهم للتفاهم ومعه زوجته وهي حبلىٰ، فناظرهم، وقالوا له: حدثنا بحديث سمعته من أبيك عن رسول الله، فقال: حدثني أبي أن رسول الله ﷺ قال: «**يأتي قوم حدثاء الأسنان، يحقر أحدكم صلاته إلىٰ صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم**»[(١)].

وفي رواية أخرىٰ: أنه قال لهم: حدثني أبي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي**»[(٢)].

فذبحوه كما تذبح الشاة، ثم جاءوا إلىٰ امرأته، فقالت: إني امرأة حبلىٰ، ألا

---

(١) يراجع جامع الأصول لابن الأثير، (الجزء ١٠/ صـ٣ - ٩٣)، الكتاب الثالث من حرف الفاء في الفتن والأهواء.

(٢) رواه البخاري، الرقم (٣٤١٤)، وتراجع أحاديث الخوارج عند البخاري رحمه الله.

تتقون الله؟ فذبحوها، وبقروا بطنها عن ولدها.

فطلب منهم علي ﷺ أن يعطوه قاتل عبد الله بن خباب ليقتص منه، فصاحوا جميعًا كلنا قتلناه، فما كان من علي ﷺ إلا أن استعان بالله وأجهز عليهم، فقاتلهم قتالًا مريرًا، أبادهم إلا من هرب، ولم يقتل من أصحابه غير تسعة، بعد أن استنفد منهم الحيل بوعظهم وبعث مجموعة من الصحابة لمعرفة ما عندهم لوعظهم وبيان خطإ ما قاموا من أجله، وكان من بين من أرسل عبد الله بن عباس، فلم يستجيبوا.

وبعد انتهاء المعركة ذهب نفر من أصحاب علي يبحثون في القتلىٰ، فوجدوا زعيمهم ذا الثدية - وهي لحمة تشبه ثدي المرأة في عضده - فأخبروا عليًّا عنه؛ لأن رسول الله ﷺ قد وصفه له، فسجد لله شكرًا أنه لم يقاتل إلا أصحاب الأهواء والضلال، وهم ممن تأثر بفكر عبد الله بن سبإ اليهودي - المعروف بابن السوداء - عليه من الله ما يستحق[1].

واتسع بعد ذلك نطاق الإرهاب في المجتمع الإسلامي، وتضاربت الأفكار، وجاء من كفر المسلمين وعلماءهم وقيادتهم، وكثر الهرج - وهو القتل -، وبدأ تفرق المسلمين إلىٰ طوائف، وبرزت الباطنية وما تخفي من معتقدات وأفكار، أغلبها مستمدة من اليهود فكرًا وتقليدًا.

وكان من أبرز أعمال الخوارج: اتفاق عبد الرحمن بن ملجم - لعنه الله - وصاحبيه علىٰ يوم محدد فيما بينهم من أيام شهر رمضان، علىٰ قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص ﷺ عند خروج كل واحد منهم لصلاة الفجر في ذلك اليوم المحدد، فقتل الأول ونجَّىٰ الله صاحبيه، عام ٤٠هـ.

---

(١) يراجع في هذا تاريخ ابن كثير البداية والنهاية في مسيرة عليّ للخوارج (٧/ ٣٤٤ - ٣٦٤).

وما قاتلهم علي ﷺ إلا بعدما عاثوا في الأرض فسادًا، بسفك الدماء، وقطع السبل، وتكفير أهل الإسلام، علماء وقادة وعامة، واستحلوا ما حرم الله، وهذا هو الإرهاب والتخويف، وبث الفوضىٰ في المجتمع الإسلامي(١).

٦ - ثم اتسعت دائرة الفتن بعد ذلك، وتفرقت الأمة إلىٰ شيع، في مقدمتها الفرقة السبئية، المنسوبة إلىٰ عبد الله بن سبإ اليهودي.

فاليهود بالخفاء هم الذين يغذون الشر والفتن، ويقسمون الطوائف، فيتبعهم أصحاب الأهواء والبدع في سير علىٰ شاكلة اليهود ووفق منهجهم، حيث تشبعوا بأفكارهم، ووالوهم فكانوا مثلهم، كما قال سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾(٢).

وتكاثر الباطنيون، وتسارع أهل البدع إلىٰ بدعهم، وجاء الجدال في الدين مع الأهواء وتعدد النِّحل، كما ذكر ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والنحل، والشهرستاني في كتابه الملل والنحل، وابن تيمية في فتاواه وفي منهاج السنة، وتعارض النقل والعقل، وما تعرض فيه للفتن والملل، وخلافهم مع أهل التوحيد: أهل السنة والجماعة.

وغير هؤلاء من علماء المسلمين ممن كتب عن الملل والنحل وتكاثرها في المجتمع الإسلامي، مصداقًا لحديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: «**افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ**

---

(١) ينظر لمن يريد التوسع قصة علي ﷺ مع الخوارج وقتالهم عند ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية (٧/ ٢٨٥ - ٣١٠)، وفي ذلك بعض من الأحاديث الواردة في الخوارج، وفي مكانة علي ﷺ، والمؤامرة علىٰ قتله وصاحبيه.

(٢) سورة المجادلة، الآية (٢٢).

وسبعين فرقة، وافترقت النصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: «من كان علىٰ ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[١]، حتىٰ إن ابن عذاري المراكشي في تاريخه البيان المعرب في تاريخ الأندلس والمغرب قال عن العبيديين الذين سمّوا أنفسهم بالفاطميين نسبة إلىٰ فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، كما اكتوىٰ الناس في الشمال الأفريقي بأعمالهم وتخريبهم، وقتلهم الأبرياء، ونهب الأموال، حتىٰ إن بعضهم قد ادعىٰ النبوة، ومنهم من تجرأ علىٰ الله بالدعوة إلىٰ نفسه بالربوبية[٢]، وما أزعجوا به راحة الناس، فقد قال: سئل أحد العلماء: هل هم ينتمون إلىٰ فاطمة الزهراء ﵂؟ فقال: إنهم لا يعلقون بها إلا كما يعلق الحمار بالبقرة، وإنما أصلهم من يهود اليمن، اتصل جدهم بابن الحلاج، وأخذ عنه هذا المذهب[٣].

وليس معنىٰ هذا أن اليهود ومن يشايعهم يدعون لإرهابهم وتخريبهم علنًا، ولا للفساد والإفساد، كما أخبر الله عنهم: بأنهم يسعون في الأرض فسادًا، سواء ضد النصارىٰ أو ضد المسلمين، لكنهم يبثّون فكرهم ويحرّكون ذوي النزعات بأساليب عديدة، منها: وضع الشبهات، وتزيين الخروج علىٰ ولاة الأمور، وتجسيم الأخطاء، والكذب والافتراء، وتحريك الضغائن، والتحكم في التعبير عن الفكر الإنساني، وبثّ الفوضىٰ في كل مجتمع، وتشجيع المظاهرات والأحزاب، ووضع الحوادث الواضحة، وهدم هيبة السلطة حتىٰ تعترف بأخطائها، والمد بالمال وبالفكر دون البروز، وغير هذا

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم.

(٢) يراجع تاريخه هذا وما توسع فيه من أعمالهم، وفي حوادث تدمير مدينة القيروان، عام ٤٤٩هـ.

(٣) تاريخ ابن عذاري البيان المعرب في توسعه بالحديث عن أصلهم وأعمالهم المخالفة للإسلام.

من الأساليب التي ذكروها في بروتوكولاتهم، وتجسيم الأمور إعلاميًّا لسيطرتهم على هذا المرفق، وهم يريدون بذلك تحريك الأمور مع تجسيمها، ثم رعايتها إعلاميًّا، حتى ينجذب إليها البسطاء في نظرتهم وفكرهم، ووعد الغوغائيين وتمنيتهم بتحقيق أشياء لم يحلموا بها، بل ولم تكن في معهودهم، والتمهيد لذلك بواسطة العملاء الذين سخّروهم، والأعوان الحاملين لهذا الفكر الموجه بما يجب عليهم عمله، بعد مدهم بالإمكانيات، فكرية أو مادية، أو معنوية، ومنها: الإعلام ورسم الخطط لهم لكي يسيروا وفق ما يريده المنظرون - من يهود أو أعوانهم -.

واليهود لخوفهم وما كتب الله عليهم من ذلة ومسكنة لا يحبون المواجهة، وإنما يتسترون، ويخفون أنفسهم، وينسبون ما يشاع إليهم.

يبين الله ذلك في مثل هذا القول الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾[1].

ذلك أن الإرهابي المحترف لا يظهر عمله، ولا يبرز مقصده في دعوته لما يريد، وإنما يسلك سبلًا يضلل بها الغافلين، وينشط بها فكر المتحمسين، ويجسم بها أخطاء العلماء المسئولين، بل يلصق بهم ما لم يكن بهم من باب التنفير وإسقاط مكانتهم في عيون الآخرين، وإنزال مكانتهم من القلوب؛ بقصد إيجاد النفرة بينهم وبين الناس.

ومن ثم مساعدة أعوانهم في الشر في ابتكار أوصاف وصفات منفرة من العلماء ومن المسئولين، توسع دائرة الظّن السيّئ بهم في وسائل الإعلام، وخاصة في «الإنترنت» تمهيدًا للتمرد عليهم، ومن الافتراء والظّن السيئ الذي ذمه الله سبحانه، وحذر منه الرسول الكريم، تكبير أمور صغيرة، أو لم تكن أصلًا؛ لتباعد العلماء وولاة

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١١٢).

الأمور عن مصادر الدين الإسلامي في معالجة القضايا الشرعية أو الاجتماعية، مما يظنه الجهلة وأهل الأهواء حقيقة تيسّر لهم ما قاموا من أجله، دون التروّي في كون هذا من الافتراء والكذب.

وذلك من أجل أن يكون صاحب الفكر المنحرف معينًا لمن أثّر فيهم بما يكون له صدًى في الإعلام والترويج بالتحسين والمطالب، ومن ثم تصوير شبهات هؤلاء الخارجين علىٰ السلطة بأنها عادلة؛ لأن ذلك المخطِّط الإرهابي عنده الغاية تبرر الوسيلة، كأن يقول للبسطاء الذين لوث فكرهم بعد أن اختلطت عليهم الأمور: إن عملكم هذا في العنف والتخويف والترويع والقتل هو الذي يرفع شهرتكم، ويوصلكم إلىٰ مقاصدكم - العادلة في نظره - ولا تتوانوا.

مع أن هؤلاء لو سئلوا عن هدفهم ومطالبهم وراء هذا العمل الذي سيقوا إليه لما عرفوه، فإذا هم كالأنعام الذين وصفهم الله سبحانه وتعالىٰ، بل هم أضل.

فإن حقق هؤلاء بعض المكاسب، اتّخذهم العدو أعوانًا له، يسيرهم كيفما يريد، أولًا: نحو الإسلام والمسلمين باسم المناهج الدراسية، وأن القرآن يعلم الإرهاب، وحقوق المرأة المهضومة، وبطلب حذف آيات الجهاد من القرآن، وما يتهمون به القرآن والسنة في مجال العنف والعداء ضد الأديان، ومحاربة السامية، وغير هذا من شبهات مرصودة عندهم يريدون التخلص منها تدريجيًّا، لا لشيء إلا لتخف مكانة الإسلام في قلوب أبنائه، فيبدؤوا بترك العبادات تدريجيًّا، وهذا من أهم مكاسب الأعداء التي يريدون تحقيقها بواسطة هؤلاء.

ذلك أن أعداء الله إنما يريدون من الجهلة وقاصري الإدراك من شباب المسلمين أن يكونوا مطيّة تركب، وأداة يهدمون بها عرىٰ الإسلام عروة بعد عروة؛ لأنهم يعتبرون

الإسلام عقبة كبيرة أمامهم، يهودًا أو نصارىٰ.

فإذا فسدت تعاليمه، وحرّفوها، وخف ميزان الإسلام من قلوب أبنائه، فإنه بذلك يسهل عليهم الاستحواذ علىٰ خيرات بلاد المسلمين؛ زراعيًا ونفطيًا ومعدنيًا واقتصاديًا، وغير هذا من المصالح التي يسهل أمرها بعدما يسيطرون علىٰ العقول، وتنجذب في حوزتها الأفكار، فما أعانوهم في فتنتهم التي أثاروها ببلادهم إلا لمصالحهم؛ لأن من خان أمته لا خير يرجىٰ من ورائه.

وكما أفسد اليهود من قبل تعاليم دينهم، وحرّفوا فيها فضلوا وأضلوا، فإنهم دخلوا علىٰ النصارىٰ فأفسدوا عليهم تعاليم دينهم أيضًا، فاتفق الطرفان علىٰ مبدإ: أنا وابن عمي علىٰ البعيد، والبعيد في نظرهم الإسلام الذي يعتبرونه عدوًّا مشتركًا، يخافون منه، ويخشون تغلغله في قلوب أبنائهم، فيغزونهم في عقر دارهم.

ولذا فإنهم جميعًا لن يرضوا عن المسلمين حتىٰ يدخلوا في دينهم، ورسول الله ﷺ لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾(١)، سئل: يا رسول الله، هل يعود المسلم إلىٰ الكفر، بعد أن أنجاه الله منه؟ قال عليه الصلاة والسلام: «**لا، إلّا أن يعود اللبن إلىٰ الضرع**»(٢).

وما ذلك إلا أنهم يدركون عدم استطاعتهم النفاذ في المجتمع الإسلامي، ومن ثم التأثير فيه بنقض عرىٰ الإسلام عروة عروة، إلا بواسطة أمثال هؤلاء من العملاء، وقاصري الإدراك الذين تبنّوا فكرهم ووجّهوهم ليسعوا في تحقيق مآربهم من حيث يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، ولو كانوا صادقين فيما اتّجهوا إليه من هدف لتقدموا في

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٢٠).

(٢) رواه الترمذي في فضائل الجهاد، والنسائي في الجهاد.

المواجهة؛ لأن القائد أسوة لجنوده، ولم يتركوا هؤلاء الشباب البسطاء في إدراكهم ليكونوا كبش الفداء.

لقد أخذ أعداء الله هذا الطريق من مفهوم المستشرقين لحديث رسول الله ﷺ، الذي غفل عن فهم دلالته بعض المسلمين، بينما الأعداء يخططون بموجبه، الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام: «**سألت ربي ثلاثًا، فأعطيت اثنتين ومنعت الثالثة: سألت ربي ألا يهلك أمتي بسنة عامة كما أهلكت الأمم من قبل، فأعطيت إيّاها، وسألت ربي ألّا يسلط عليهم عدوًّا من غير أنفسهم، فأعطيت إياها، وسألت ربي ألا يجعل بأسهم بينهم، فمنعت إياها**»(١).

فالعدو بما يبثه من أفكار، وما يحركه من نعرات، وما يجسمه من ضغائن، وبما يدعو إليه من وسائل إرهابية، وما يحسّنه من فكر منحرف تنقلب به الحقائق ويبث العداوات إنما يريد هذا العدو من وراء ذلك – وأعداء المسلمين كثير – أن يدسّ أنفه ليجعل بين المجتمعات الإسلامية وفق المفاهيم الخاطئة التي يريد تصويبها، وبين ولاة الأمر والعلماء، وفق المفاهيم الشرعية التي يُرَاد تحقيقها حمية لله ولدينه، بأسًا شديدًا وهوة عميقة يتسبب بها أنواع من الفتن، ويدعو إلىٰ الصراع والفرقة واختلاف القلوب.

وفي العرف الهندسي من المعلوم أن الخطين المتوازيين لا يلتقيان، نأخذ نموذج ذلك من مثل:

١ – ضباط المخابرات الإسرائيلية من الموساد يهربون كميات من المتفجرات المعدّة، لهجمات إرهابية في إندونيسيا، ومثلها في الفلبين وفي نيوزيلندا.

ماذا يعني هذا العمل الإجرامي الإرهابي؟ هل جاءت ليتقوىٰ بها المسلمون علىٰ

---

(١) رواه مسلم والترمذي ومالك في الموطإ، ينظر جامع الأصول لابن الأثير (٩/ ١٩٨) وجاءت بروايات أخرىٰ.

عدوهم؟ إنما الجواب ما ذكرته الصحف، ونشر فيها يوم الأحد، الأول من جمادىٰ الآخرة عام١٤٢٥هـ؛ ليفجر كل هذا في تلك البلاد الإسلامية المذكورة، سواء بواسطة هؤلاء الضباط العاملين في المخابرات الإسرائيلية، المتخصصين في مثل هذا العمل، أو عن طريق عملاء بثّتهم المخابرات اليهودية، وكل هذا من أجل إلصاق التهمة بالإسلام والمسلمين؛ ليكونوا كبش الفداء في إعلام ودعايات هذه المخابرات؛ ليثبت ما رسخوه من تهمة بأن الإسلام وتعاليمه إرهاب، وأن المسلمين يبثّون الإرهاب[1].

٢ - ما حصل في غزة يومي الثلاثاء والأربعاء ٣، ٤ جمادىٰ الآخرة عام ١٤٢٥هـ من صراع بين الفصائل الفلسطينية، نتيجة خلاف بين القيادات، دفع إسرائيل كما ذكرت صحف ذلك اليوم، ووكالات الأنباء - وهي التي تحارب الفلسطينيين بضراوة - إلىٰ تهريب السلاح للطرفين، هل ذلك حبًّا في الشعب الفلسطيني ليتقوىٰ به علىٰ العدو المشترك؟ أم رغبة في تسكين الشحناء التي برز رأسها؟.

لقد بيّنت الصحف ووكالات الأنباء السبب، وهو أن يستمر فتيل القتل مشتعلًا بين الفصائل فيقتل الأخ أخاه في فتنة يشعلها الإرهاب الإسرائيلي، حتىٰ تتفرج علىٰ قتال إخوة الأمس أعداء اليوم، بما تغذيه مخابرات اليهود... وهي تتفرج لأن الأمر لصالحها... إذ متىٰ صار الذئب يسرح في الغنم ولا يعتدي عليها؟[2].

ونماذج ذلك في كل فتنة يبرز رأسها في منطقة الشرق الأوسط، وفي الدول العربية القريبة في حدودها مع دولة العدو الإسرائيلي.

بل امتدّ إرهاب اليهود في إسرائيل ومخابراتهم الموساد إلىٰ دول أفريقيا، وكل مكان

---

(١) انظر مثلًا: صحيفة الوطن التي تصدر بأبها ١/ ٦/ ١٤٢٥هـ، ص(٥) الأحد ١/ ٦/ ١٤٢٥هـ.

(٢) تراجع تفاصيل الخبر في الصحف السعودية، ليومي الثلاثاء والأربعاء٣، ٤/ ٦/ ١٤٢٥هـ.

فيه إسلام، تمدَّ وتشجع وتخطط؛ حتىٰ يثبت اليهود للعالم أن الإسلام بتعاليمه وبرجاله هم أساس الإرهاب، ومحركوا الإرهاب.

بينما اليهود المحركون والمخططون، وهم الذين يمدون الطرفين بالأسلحة والتدريب والمتفجرات؛ ليثبتوا للعالم ما يبثونه إعلاميًّا، بربط الإرهاب بالإسلام، وأن مناهج المسلمين تعلّم الإرهاب، وأن القرآن يدعو المسلمين للإرهاب، وهذا فيه قلب للحقائق، ومن باب رمتني بدائها وانسلّتْ.

وما رصد اليهود لإعلامهم في العامين الماضيين، أكثر من ٦٠ مليار دولار مع أزماتهم المالية، إلا لكي يؤثّروا في الآخرين، ولكي يطغىٰ إعلامهم في تحسين أعمالهم، وللتّستير علىٰ مؤامراتهم، ورمي الإسلام والمسلمين بما هم منه براء، وإن استدلوا ببعض أفراد من شباب المسلمين خارج عن القاعدة العامةِ، فإن الشاذ لا حكم له... كما يقال في الحكمة.

❃ ❃ ❃

٨- غموض الإرهاب

الإرهاب: هذا الشبح المخيف لدىٰ كثير من أمم الأرض، حكامًا ومحكومين، لا يزال يكتنفه الغموض، من حيث الهدف والغاية، ومن حيث المؤثرات والدعوة إليه، ومن حيث طبيعة الأداء لهذا العمل والهدف منه، فقد يقوم به أفراد لا هدف لهم، أو لغايات غامضة، وقد يكونون مستأجرين لهذا العمل، ومنهم من يدرب علىٰ أعمال وأسلحة علىٰ أنه في مهمة مشروعة، حسب الاعتقاد، ديني أو مصلحي أو سياسي أو مالي... أو حزبي.

وغير ذلك من أمور أخفيت عليه مقاصدها وأماكنها، وحتىٰ زمانها ومسرح أحداثها.

بل قد يكون من غموض هذا الإرهاب أن يجهز المستأجرون لأداء هذا العمل، أو المغرر بهم بأسماء وفئات مبهمة عنده، إمعانًا في الخفاء، وقد يطلب منه عند تنفيذ العملية الموكولة إليه، أن يتخفىٰ في لباسه وحركاته، وفي مقر سكنه وفي مركبه... وفي اسمه ولقبه، كما لوحظ هذا حسب الحوادث.

فتارة يكون بلباس امرأة حتىٰ لا ينكشف، وأخرىٰ ملثم، وثالثة بلباس فئة من البشر خارج المنطقة التي هو فيها، وغير هذا من أنواع الاختفاء والتمويه، ومرّة بلحية، وأخرىٰ بدونها، أو بلباس إفرنجي.

وفي التنقلات يبيحون لأنفسهم سرقات سيارات الآخرين، إما بالحيلة أو بقوة السلاح والتهديد، كما يغمض الهدف بين وقت وآخر، بين سياسي وديني واجتماعي وعاطفي وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وغير هذا من مبررات تتغير كما يحلو لهم؛ لأن الموجه لذلك الفكر غير متزن، ولغاية غير واضحة في عمومها، فهي إثارة بلبلة ولفت

النظر، ومحاولة لإرضاء من وراء هذا العمل، والمخطط هو الذي يغطي الحديث إعلاميًّا، بما يحلو له من شيء يراه مثيرًا فقط؛ ولذا يجد المتابع تناقضًا في الأحداث والغايات.

ومن هنا نجد الحكومات والأفراد والهيئات البحثيّة والعلمية قد تباينت في إعطاء وصف للإرهاب، وفي تسمية واضحة للإرهاب، وعن تحديد الغرض من الإرهاب.

فقد جاء في الموسوعة العربية العالمية هذا التعريف عن الإرهاب، ووصف أعماله وغاياته، الذي ينص علىٰ: إن الإرهاب استخدام العنف أو التهديد به؛ لإثارة الخوف والذعر، ويعمل الإرهابيون علىٰ قتل الناس أو اختطافهم، كما يقومون بتفجير القنابل، واختطاف الطائرات، وإشعال النيران، وارتكاب غير ذلك من الجرائم الخطيرة، غير أن أهداف الإرهابيين عامة، أهداف تختلف عن أهداف المجرمين المعروفين، الذين يرتكب معظمهم جريمته بغية الحصول علىٰ المال، أو غير ذلك من الفوائد الشخصية الأخرىٰ، كما أن معظم الإرهابيين يرتكبون جرائمهم لدعم أهداف سياسية معنية[١].

والإرهابيون يكون عملهم منظمًا تحت قيادة تمونهم وتوجههم، فبينهم وبين عصابات الإجرام وقطّاع الطرق تشابه، من حيث الإخافة وتحليل ما حرم الله في المال والنفس والغيبة والنميمة، وفي الاختفاء عن السلطة والاحتماء عنها، وفي إخافة الناس وإثارة الرعب، لكنهم يختلفون في الغاية، فعصابات الإجرام قد يكون عملهم محرمًا كالخمور والمخدرات، وقطاع الطرق لصوص محترفون تحركهم قيادة منهم، يهاجمون بالسلاح أو الحيلة قوافل التجارة أو الحجاج؛ لسلب الأموال، ولا يقاتلون إلا من يقاتلهم.

بينما الإرهابيون في الغالب لا يهاجمون قوة تكافئهم أو أقل منهم، وإنما يأخذون الغرة في هجومهم علىٰ الهدف، فهو عنف قد يكون بدافع سياسي، وتدمير من أجل

---

(١) الموسوعة العربية العالمية (١/ ٥٢٩).

الإثارة، وبدون الحاجة إلىٰ مكاسب مالية، فقد جاء في مجلة الأمن هذا التعريف بالإرهاب: الإرهاب في تعريفه يمثل إشكالية قانونية وسياسية بالغة التعقيد؛ لاختلاف وجهات النظر حيال الفعل الواحد، حيث يعتبره البعض إرهابًا، وينظر إليه الآخرون باعتباره عملًا من أعمال النضال الوطني، وقد أخفق المجتمع الدولي في الوصول إلىٰ تعريف للإرهاب، والذي يتابع مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة في اللجنة السياسية والقانونية السادسة منذ عام ١٩٧٣م وحتىٰ الآن يستطيع أن يتبين بوضوح مدىٰ اختلاف وجهات النظر عند الدول نحو الإرهاب، والتي تتوقف علىٰ النظرة المصلحية للدولة بصرف النظر عن المبادئ والقيم والأخلاق[١].

ولما كان دين الإسلام يشدد في النيل من الضرورات الخمس للإنسان: دينه، دمه، ماله، عقله، عرضه، بأي نوع من التعدي أو التخويف، ورسول الله ﷺ نهىٰ عن تخويف المسلم بجد أو بهزل، وشدد فيمن يغشىٰ مجامع الناس ومعه سلاحه، وأن عليه أن ينكسه ليكون السهم إلىٰ أسفل؛ حتىٰ لا يخيف الناس، أو ينطلق منه شيء فيضرهم، فإنما ذلك لحماية الإنسان وبيان حرمته ومكانته.

كل هذا خوفًا من أن يتعمد إنسان عملًا فيه ضرر للآمنين في مجامعهم، أو بيعهم وشرائهم، حيث يمر مرورًا غامضًا والناس في غفلتهم ليعمل ما يرهبهم ويضرّ بهم... وهذا من حرص الإسلام في حماية الفرد والمجتمع من أصحاب الفكر المنحرف، والنزعات الخاطئة والفئات الضالة التي تعمل في الخفاء؛ لأنها نزعة شر في نفوسهم، يعبرون عنها بما فيه ترويع وإضرار وبغموض وخفية.

وقد جاء تعريف الإرهاب في معجم أجنبي هو قاموس: «لاروس بأنه: مجموعة

---

(١) مجلة الأمن، تصدر بالرياض، العدد (٧٧) ص(٣١).

أعمال العنف التي ترتكبها مجموعات ثورية أو الحكومة[١].

أمّا علماء الشرع: فإن لهم نظرة في هؤلاء الإرهابيين الذين يقومون بتلك الأعمال المشينة؛ من تفجير وتدمير وإخافة وقتل وترويع، فقد دُرِسَتِ الحالة في المجامع الفقهية بالمملكة وغيرها، وصدرت فيها آراء من منطلق شرعي بدليله تغاير ما صدر من منظور سياسي أو اقتصادي، فقد أصدر مجمع الفقه الإسلامي بجدة المرتبط بالأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي المنبثق عن المؤتمرات الإسلامية التي تناقش القضايا الإسلامية.

وهذا المجمع به أعضاء يمثلون الدول الإسلامية، فقد كان من اجتهاده في أعمال الإرهابيين ما صدر عنه بتاريخ ١٠/ ١/ ٢٠٠١م، في بيان عن الإرهاب في أعقاب الحوادث التي برزت علىٰ الساحة وأفسدت وروعت الآمنين، ودمرت وقتلت الأبرياء، فكان مما جاء في بيان المجمع هذا القول الذي ربط بالنصوص الشرعية من كتاب الله الكريم:

الإرهاب: هو العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول، بغيًا علىٰ الإنسان: دينه، دمه، ماله، عقله، عرضه، ويشمل صنوف التخويف والأذىٰ والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد يقع تنفيذًا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلىٰ إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أموالهم للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[٢].

والإرهاب هو بغي بغير حق، يقول الله سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا

---

(١) يراجع الإرهاب في القانون الجنائي، للدكتور: محمد مؤنس، ص (٧١ – ٧٤).

(٢) سورة القصص، الآية (٧٧).

بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [١].

وإن من غموض الإرهاب ما صدر من عشرات التعريفات، ولكنها جميعًا لم تحقق الهدف، ولم تتفق عليها الدول والهيئات؛ لعدم القناعة بتلك المسميات، أو أن من وزراء ذلك من يريد جعل التسمية والتوصيفات عائمة؛ حتىٰ لا يدانون بشيء يقيدهم أو يفضح أعمالهم، وخاصة الدول الكبرىٰ والمدعومة فيها؛ لأنها في ذاتها تمارس الإرهاب، وتدعو إليه، وتدعمه.

فقد نشرت صحيفة الجزيرة عن هذا الموضوع مقالًا جاء فيه: وإذا عرفنا أن مؤلفًا قانونيًّا عرض في كتاب له عن الإرهاب السياسي مائة تعريف وتسعة تعريفات (١٠٩) من وضع علماء متنوعين في جميع فروع العلوم الاجتماعية بما في ذلك علم القانون.

إذا عرفنا هذا تبين لنا صعوبة وضع تعريف جامع مانع كما يقول علماء المنطق، وقد أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية نشرة لها عن الإرهاب في ٣٠ إبريل عام ٢٠٠١م أقرت فيه أنه لا يوجد تعريف نال الاعتراف العالمي، وكان تعريف الإرهاب في النشرة الأمريكية كالتالي:

الإرهاب يعني عنفًا بدافع سياسي يرتكب ضد غير المنازعين أو غير المخاصمين، موجه بواسطة مجموعات قومية أو وكلاء خائنين، وهذا العنف عادة يهدف إلىٰ التأثير علىٰ مُسْتقبِليه[٢].

ولكن لم يصدر حكم شرعي علىٰ الإرهابيين، وما يحدثونه من فساد وقتل وتدمير حتىٰ الآن، حتىٰ يزول بعض الغموض... سواء عوملوا معاملة أهل الحرابة كما في

---

(١) سورة الأعراف، الآية (٣٣).

(٢) تراجع جريدة الجزيرة، عدد (١٠٧٣٧) ص(٢٤)، تاريخ ٨ ذو الحجة ١٤٢٢هـ.

سورة المائدة، أو من تسبب عمله علىٰ القتل، هل يعتبر عملًا يقتاد به... أو دية ومن يؤديها؟.

ثم من يكلف بالتعويض في عملية الفساد وتدمير المباني والممتلكات؟ وفي سرقة السيارات والأموال، هل تقطع فيها اليد إذا ثبت أنها في حصن مثلها؟.

أشياء كثيرة من الأسئلة عن الأحكام الشرعية التي كفلها الإسلام، ضمن الضرورات الخمس وما أنزل الله من أحكام وزواجر.

خاصة وأن في بعضها ينعدم الفاعل بعينه؛ إما لأنه عمل جماعي، أو لأن الفاعل انتحر بتفجير نفسه، أو يكون احترق في الانفجار، أو جهل حيث لم يتبين الفاعل، ولم يبرز من أعانه حتىٰ يعرف المسبب، هذه الأشياء لا شك أنها من فقه النوازل المستجدة في المجتمع الإسلامي، حيث لم تعرف بمثل وضعها الإرهابي السائد علىٰ الساحة اليوم... نسأل الله العافية.

ويدخل في غموض الإرهاب ما يصاحبه من أعمال تقترن بالفتن التي حذر منها رسول الله ﷺ، وأنها تعصف بالمجتمع الإسلامي، كما جاء في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وأحاديث أخرىٰ في كتب الحديث كالبخاري ومسلم وغيرهما.

وهي كثيرة، وأشكال ما يحصل فيها متنوعة، منها هذا الحديث الذي جاء فيه: **«يُقتَلُ القتيل، ولا يدري لماذا قتل؟، ويَقْتُلُ القاتل ولا يدري لماذا قَتَل؟»**[(١)].

فهذا الحديث يبين من دلالة لفظه بروز معناه، بأن القاتل إما أن يكون مستأجرًا للقتل، وهيئت له أسبابه، فيأتي إلىٰ فرد أو جماعة ليرهبهم، ويروعهم بأي مادة قاتلة تحت نفوذه وتسلط يده؛ ليفجرها في المجتمعات السكنية أو الفنادق وغيرها، أو يسقط

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة، ونصه: قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتىٰ يأتي علىٰ الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل، ولا المقتول فيم قتل». الحديث رقم (٢٩٠٨).

طائرة، أو غازًا سامًّا يفجره، أو يبعث بالبريد نماذج من البودرة؛ لتنشر مرض الجمرة الخبيثة، أو غير ذلك من أساليبهم المتنوعة ليقتل به، أو يؤذي به مجموعة آمنة، مسلمة أو غير مسلمة، قد لا يعرفهم الفاعل، ولا ذنب لهم إلا أنه نفذ أمرًا يرضي به من أمره ومن خطط له.

فهو في هذه الحالة، وإن كان فاعلًا وساعيًا في القتل والترويع والإخافة، لا يدري لمَ هذا قتل هذا أو هؤلاء؟.

ثم يأتي دور المقتول الذي لم يقترف ذنبًا، ولم يتعرض لأحد بأذىٰ، وليس بينه وبين القاتل ولا من دفعه لهذا العمل الإجرامي أي مبرر أو معرفة.

كما حصل في نفق المعيصم بمنىٰ في الحج منذ سنوات، الذي قتل فيه خلق كثير، وصوّب وروع أكثر منهم بكثير، وهم حجاج بيت الله الحرام، جاءوا من بلادهم البعيدة متجهين بقلوبهم إلىٰ الله، ومخلصين لربهم في العبادة بصدق وإيمان، غافلين عما يدور في المجتمعات من حسد وتخويف وانتهاك حرمات، مبين في طريقهم رمي الجمرات: لبيك اللهم لبيك، فقطعت اليد الآثمة تلبيتهم وتكبيرهم في عمل إجرامي، يراد منه إرهاب وإخافة حجاج بيت الله الحرام.

ولهذا نظائر كثيرة في كل وقت، وبدون سبب ظاهر، نستلهم تحقق معجزة من معجزات النبوة، حيث أخبر ﷺ بأنه: يأتي زمان يكثر فيه الهرج، قيل: يا رسول الله، وما الهرج؟ قال: «**الموت**»، وفي رواية: «**القتل**»[(١)].

فمثل هذه الأمور، سواء كان المقتول فردًا أو جماعة، فإنهم لا يعرفون لماذا قصدهم المجرمون، وانتهكت حرمتهم زمانًا ومكانًا، مع حرمة دم المسلم التي تتضاعف مع حرمة مكة وحرمة شهر الحج، الذي كان عبدة الأصنام في الجاهلية يحرمونه؟، فيأتي من

---

(١) رواه البخاري في الأدب، وابن ماجه في الفتن، وجاء عند أحمد بن حنبل في مسنده بأكثر من رواية.

يدعي الإسلام باستباحة هذه الحرمات الثلاث ليتضاعف الإثم وتشتد الحرمة.

ثم يأتي هؤلاء الإرهابيون المغرر بهم؛ ليقعوا في هذا المستنقع الذي لا يتجرأ عليه إلا من طبع الله علىٰ قلبه، وجعل علىٰ بصره غشاوة.

إن هذا من نماذج الغموض في العمل الإرهابي، سواء لليد الآثمة المسخّرة لهذا العمل التي ما تدري سببه، ولا كنهه، ولا الهدف منه، ولا من هي الجهة التي ترعاه، أو للنفس المغدورة الغافلة التي لم تقترف مبررًا يبيح للمعتدي أو للآمر عمله، أن يبيح لنفسه التعدي عليها.

ويدخل في هذا الأطفال والنساء والعجائز الذين نهىٰ رسول الله ﷺ عن قتلهم، وقد دمرت بيوتهم علىٰ رؤوسهم، فماتوا وهم آمنون فيها بلا ذنب، مع أن رسول الله ﷺ أعطىٰ للمحاربين في فتح مكة من قريش أمانًا، فقال: «**ومن دخل بيته فهو آمن**»، أو للمستأمنين الذين لم يرفعوا راية قتال وعداوة ضد المسلمين، جاءوا لهذه البلاد للاستفادة من خبراتهم وعلمهم، ولعلهم يتفقهون في دين الله، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم[1]؛ ليوضحوا لهم الإسلام بعد معرفتهم بتعاليمه السمحة، وإدراكهم احترامه لمكانة الإنسان وحقوقه، حيث جاء في القرآن الكريم قول الله تعالىٰ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾[2].

بل أعظم أمر في ذلك: ما هو الأثر العكسي الذي تركه عمل هؤلاء الإرهابيين حول الإسلام والمسلمين؟ فإنهم خدموا بعملهم الغامض هذا أعداء الله وأعداء شرعه أكثر مما تخدمه جيوشهم وقواتهم ومعداتهم.

---

(١) يراجع تفسير الآية (٢٢)، من سورة «التوبة».

(٢) سورة الكافرون، الآية (٦).

فإشراقة الإسلام في الغرب بدأت تنطفئ، وأعداء دين الله أظهروا رؤوسهم علانية، والمنافقون ومن في قلوبهم مرض من المنتمين للإسلام وجدوا مجالًا للتنفس والطعن في تعاليم الإسلام، بتمكين شبهات العداء التي لم يكن لها حظ بالبروز في البيئة الإسلامية إلا علىٰ أكتاف الموالين لهم.

وقد تحدث **الأديب الراحل**: إدوارد سعيد، أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة كولومبيا الأمريكية في صحيفة الوطن الكويتية، يوم ٤/ ٣/ ١٩٩٧م، معلقًا علىٰ كتاب الخطر الإسلامي لجوديث ميللر، ومما قال: رغم أن الدول العربية والبلدان الإسلامية في عصرنا تعاني من الفقر المدقع، والاستبداد والعجز العسكري، بل إن معظم البلدان القوية نوعًا ما متحالف مع الولايات المتحدة، ويدور في فلكها، إلا أنه يهم ميللر، وصموئيل هنتنجتون، ومارتن كرامر، وبرنارد دوليس، ودانيال بايبس، وستيفين أمرسون، وباري روبين، بالإضافة إلىٰ مجموعة من الأكاديميين الصهاينة، يهمهم جميعًا وصم الإسلام بالإرهاب والعنف، والتأكيد علىٰ الخطر الإسلامي ضد الغرب؛ حتىٰ يبدو مخيفًا بشكل غير معقول، حتىٰ يضمنوا لأنفسهم استشارات مفيدة وإبرام عقود لكتبهم، وظهورًا متواترًا علىٰ شاشات التلفاز.

- هذه الأمور وأمثالها تجعلنا نؤكد نظرًا للغموض الذي يكتنف الإرهاب، بأن الاسم الأكثر التصاقًا بأصحاب هذا العمل هو أنهم فئة ضالة، إذ وصف الله جل وعلا كل من وقف ضد الرسالة المحمدية، وضد الدعاة إلىٰ دين الله، بأي أسلوب من مشركين ويهود ومنافقين ونصارىٰ بأنهم ضالون... وهؤلاء فئة ضالة.

❊ ❊ ❊

٩- فيم يلتقي الإرهاب مع الخوارج؟

تتنوع الفتن التي حذر منها رسول الله ﷺ، أسبابها والدوافع إليها التي في الغالب تكون غامضة ولا يبرزها أصحابها... لكن كما يقول الشاعر:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفىٰ علىٰ الناس تعلم

والمحلل لكل مشكلة اجتماعية تظهر ولكل فتنة تحل بالأمة، فإنه يجد أشياء تعطيه ملامح لهذه المشكلة ومظاهر تنبئ عما يكنه محركو تلك الفتنة؛ ليستيقن بذلك، وحتىٰ يربط شيئًا بشيء من دوافع وأعمال وغايات ووسيلة.

ومن المجريات التاريخية والدراسات الشرعية نجد حادثتين مرتا بالمجتمع الإسلامي، متشابهتان في بعض الأهداف والصفات، مختلفتان في الزمن وأسلوب التنفيذ.

الأولىٰ: فتنة الخوارج التي بدأت بعد وقعتي الجمل وصفين، اكتوىٰ بنارها الرعيل الأول من هذه الأمة، خير القرون في تاريخ الإسلام، وهم صحابة رسول الله ﷺ، وما أحدثت من الفرقة والقتل والتكفير والترويع، وكانت هذه الفتنة قاصرة علىٰ المسلمين فيما بينهم.

والثانية: فتنة هذا العصر التي أطلق عليها بعضهم الإرهاب، ظهرت، وكبر حجمها منذ ٣٠ عامًا، وما زالت تتضخم، وتنتشر اتساعًا، حتىٰ طال شرها بلاد الحرمين، أقدس بلاد الله في الأرض، حيث الحرمان الشريفان، ومقصد المسلمين في كل مكان، يوميًّا تتجه قلوبهم ووجوههم خمس مرات إلىٰ مكة في صلاتهم، وطوال العام الوافدون يتقاطرون حجًّا وزيارة وعمرة.

فجاء المخربون بفكرهم المنحرف، الضالون في معتقداتهم المسمومة؛ ليخربوا ويفسدوا، وليحققوا حلم أعداء الله وأعداء دينه بإخافة المسلمين، وتدمير ممتلكاتهم،

وقتل الأنفس البريئة، بقصد بث الفوضىٰ وزعزعة الأمن.

فما أوجه اللقاء بين هاتين الفئتين اللتين أهمّتِ المسلمين في كل مكان؟... ولن نتعرض لما بينهما من فتن وبلاوي مرت بالمسلمين عبر تاريخهم، وعلىٰ اختلاف مواقعهم.

ولكنها فتن يمتحن الله بها إيمان المسلم؛ حتىٰ يراجع نفسه ويتفقد المسئول حسب موقعه مجتمعه، فيعرف من أين أتي هذا المجتمع؟ لعله بذلك يتعرف علىٰ الخلل ليعالجه، والنقص ليتداركه؛ حتىٰ لا يفتح علىٰ أمته ثغرة ينفذ منها العدو المتربص، وما أكثر أعداء المسلم المحيطين به في نفسه وبيته ومجتمعه ومن حوله، فضلًا عن العدو البعيد الذي يحرك ويترقب.

وما ذلك إلا أن الأعداء من وراء الجميع متهيئون كالقط، عندما يجد شخصًا يشوي اللحم يجذبه ريح الشواء، فيهيئ نفسه بغفلة من الشاوي؛ لينقضّ بسرعة، ويختلس قطعة يهرب بها بعيدًا فيهنأ بها.

فإن أومأ عليه الشاوي للحم بحجر أو عصا هرب قليلًا، يترقّب شيئًا فشيئًا، وهو يدنو، فمع يقظة الرجل وحرصه يرجع القط خائبًا بدون أن ينال من الشواء غير الرائحة التي أطمعته.

ألم ينهنا سبحانه بقوله الكريم: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾[1]. يعني أن الله جلت قدرته يبتلي بالفتن التي يختبر بها إيمان عباده، وثباتهم عليه، ودفاعهم شر هذه الفتنة.

ويقول جل وعلا: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (٣٥).

يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾(١).

تدل هذه الآية علىٰ أن الله سبحانه، يرسل آيات للإنسان كلما غفل عن ربه في الكون، أو في النفس، أو بمصائب ليتداركها ويتوب إلىٰ ربه، الشاهد سبحانه علىٰ أعماله صحيحها وفاسدها، وميزان العقل في هذا الموقف يجب أن يعتدل لجانب الخير؛ حتىٰ يرفع الله الشر، ويرجع حامل لوائه خاسرًا لم ينل شيئًا مما عمل من أجله، أو خطط وبذل لتحقيقه، وفق قوله تعالىٰ: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾(٢).

وسوف نمر بنقاط الالتقاء بين الخوارج وبين هؤلاء المنحرفين في فكرهم، الضالين في أعمالهم، هداهم الله، وأعادهم إلىٰ التوبة التي لا يزال بابها مفتوحًا، ويقول ﷺ: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»، كما مر بنا آيات وأحاديث في مكانة التوبة وفضلها، ولا تتشبهوا بقوم فتكونوا مثلهم.

ومن النقاط التي ظهرت للمتابعين لحال هؤلاء، وما عرف عن الخوارج - نسأل الله العافية - ما يلي:

١ - الخوارج كفروا صحابة رسول الله ﷺ وحكام المسلمين، كعلي رضي الله عنه، ومعاوية رضي الله عنه، وعمرو بن العاص رضي الله عنه، فهم حكام وفقهاء، وغيرهم ممن شهد موقعتي الجمل وصفين.

٢ - وهؤلاء كفّروا خير علماء المسلمين، الذين شهد لهم البعيد والقريب في هذا الزمان، كالشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ الألباني، وجميع مشايخ هيئة كبار العلماء، وكفّروا حكام المسلمين، ورجال الأمن في المملكة، وأهدروا دماءهم.

٣ - الخوارج مع تكفيرهم لعلي، دبروا قتله علىٰ يد مجرم آثم هو عبد الرحمن بن

---

(١) سورة فصلت، الآية (٥٣).

(٢) سورة الأنفال، الآية (٣٦).

ملجم، وحاولوا قتل معاوية، وعمرو بن العاص، ولكن لم ينجح المتآمران، أما معاوية فقد ضرب بالسيف وسلمه الله، وأما عمرو فقد كان مريضًا ذلك اليوم، وقتلوا في بداية أمرهم الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٤ - وهؤلاء دبروا أعمالًا كثيرة للقتل والتخريب، ولكن الله سلم ولاة الأمر والعلماء وحماة الأمن، إلا أنهم تسببوا في قتل مجموعة من رجال الأمن ضباطًا وصف ضباط وجنودًا.

٥ - الخوارج: نساك عباد، وليسوا أصحاب فسق ومجون، كما أخبر عنهم رسول الله ﷺ: «**يحقر أحدكم صلاته، مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم**»[(١)]، وكما وصفهم عبد الله بن عباس عندما ناظرهم، فمنهم المعاند، ومنهم المستجيب[(٢)].

٦ - وهؤلاء لم يظهر لنا حتىٰ الآن شيء في أمر عبادتهم، لكن جيرانهم بعد ما عرفت مساكن بعضهم يذكرون أنهم لم يروا منهم أحدًا في المسجد، وقد تاب منهم أشخاص، منهم الذين كانوا يفتونهم الثلاثة، وتاب وسلم نفسه غيرهم، وبقي المعاندون المصرون، فلقي بعضهم جزاءه فكانوا من المقتولين والقاتلين لأنفسهم ولزملائهم، نسأل الله السلامة والعافية.

٧ - الخوارج كما جاء في الحديث: حدثاء أسنان، سفهاء أحلام، وليسوا بعلماء.

وهؤلاء بان لنا عن بعضهم أنهم حدثاء أسنان، سفهاء أحلام، فاشلون في الدراسة، عاطلون عن العمل، متمردون علىٰ ذويهم، أغلبهم لم يكمل المرحلة المتوسطة.

وبعدما تاب مفتوهم، حقدوا عليهم، وسبوهم، وذموهم، وانتدبوا مفتيًا لم يوفق

---

(١) رواه البخاري، برقم (٣٤١٤).

(٢) يراجع كتاب: المعرفة والتاريخ ليعقوب الفسوي، ص(٥٢٢ - ٥٢٤)، والبداية والنهاية لابن كثير.

في عمله كمدرس فاستقال، وآخر زاول القضاء ففشل فيه... ووجدا في صحبتهم تعويضًا عما فقداه في المجتمع.

٨ - كما بان لنا عن بعض هؤلاء أنهم حدثاء أسنان، سفهاء أحلام، فاشلون في الدراسة.

٩ - الخوارج يتبعون قيادتهم، ولا يخالفونهم بما يملون عليهم من باطل؛ لأنهم لا علم عندهم، ويغلب عليهم الجهل والهوىٰ.

١٠ - وهؤلاء يطيعون قيادتهم طاعة عمياء، وينفذون أوامرهم؛ لعدم علمهم مع ما هم فيه من جهل وأدمغة مغسولة وضلال فكر منحرف، فكانوا يقلبون لهم الحق باطلًا والباطل حقًّا، ويخفون عنهم ما يدور في المجتمع، بل حتىٰ أهليهم ورسائلهم تعمّىٰ عليهم.

١١ - الخوارج أباحوا دماء المسلمين، وسفكوها في حرب معلنة سموها: جهادًا، واعدين أنفسهم بالجنة والشهادة، وقتلوا زوجة عبد الله بن خباب، وبقروا بطنها ليخرجوا جنينها.

١٢ - وهؤلاء سفكوا في تفجيراتهم دماء المسلمين، رجالًا ونساءً وأطفالًا، وقتلوا المستأمنين الذين لم يرفعوا راية علىٰ المسلمين، واعتبروا عملهم جهادًا، وقتلوا بجوار المرور طفلة كانت في بيت أهلها تلعب مع فراخ الدجاج آمنة مطمئنة.

ونشروا في وصايا من انتحر منهم كلمات يضلل بها غيره، يبشرهم بما حقق من شهادة وبالجنة... فمن ضمن ذلك لهم؟ والمسلمون وخاصة أهل السنة والجماعة لا يشهدون لأحدٍ بجنة ولا نار، إلا من شهد له رسول الله ﷺ، ويقولون لمن مات: قدم علىٰ رب عادل لا يظلم أحدًا شيئًا، إن شاء رحم، وإن شاء عذب.

وهؤلاء لا يدري هل تلك الوصية منه، أم مكذوبة لغاية في النفوس، وخداع للآخرين؟

١٣ - الخوارج يظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حتىٰ يستميلوا الناس.

١٤ - وهؤلاء تقول دعاياتهم في «الإنترنت»: أنهم ما قاموا إلا لإنكار المنكر، كلمة يستعطفون بها الناس، بينما أعمالهم كلها منكر، تخالف شرع الله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝﴾[1]، فالمؤمن الذي يخاف الله، يراقبه سبحانه في السر والعلن، ويكون صادقًا مع الله ومع نفسه، ولا يجعل للحفظة الكرام حجة عليه فيما يرصدونه من أعمال، إذ لا يخفىٰ علىٰ الله شيء صغر أو كبر.

١٥ - الخوارج يضعون النصوص في غير مواضعها؛ ليبحثوا عما يوافق هواهم ومعتقدهم.

١٦ - وهؤلاء كذلك يحرفون الكلم عن مواضعه، ويريدون للنصوص أن تميل معهم، إما في اللفظ عندما يؤولون فيه، أو بانحراف المعنىٰ والدلالة بما تصف الألسن، ويلذ في الأسماع، ويكذّبون من يقول في دعوته لهم، وهو ناصح شيئًا يخالف ما انطوت عليم نفوسهم وما وجهوا إليه، وكأن ابن عباس رضي الله عنهما عناهم بقوله لما بدأت الفتن تبرز: أنتم تستبطئون المطر، وأنا أخاف من الحجارة تنزل عليكم من السماء، أقول: قال الله، وقال رسوله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر.

وعملكم هذا من تحريف الكلم عن مواضعه، وتغليب الهوىٰ علىٰ طاعة الله، وتكبير القلوب علىٰ ولي الأمر الذي قرن الله طاعته مع طاعته سبحانه وطاعة رسوله ﷺ في آية واحدة.

١٧ - الخوارج لم يتلقوا العلم الشرعي عن العلماء المعتبرين وهم الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الوقت، وإنما اعتمدوا علىٰ فهمهم القاصر، وما يقوله لهم زعماؤهم الجهال، فضلوا وأضلوا، فكانوا فئة باغية ضالة أطاعوا سادتهم وكبراءهم.

---

(١) سورة الصف، الآية (٣).

١٨ - وهؤلاء مثلهم، فلم نعرف منهم من جلس في حلقات العلماء المعتبرين، كابن باز، وابن عثيمين وغيرهما، ممن حلقاتهم زاخرة بطلاب العلم، ولم نعرف لأيّ واحد منهم جهدًا علميًّا مطبوعًا، إلا من قيل عنه بأنه: ألف في العقيدة؛ لينسخ ويبطل ما كتبه ابن تيمية وابن رجب وابن عبد الوهاب، وغيرهم ممن ألف في التوحيد، واهتم بصفاء العقيدة، فكان عمله ذلك كمسجد الضرار، يريد به شهرة وعلمًا، فكان فضيحة عليه، انتقده أقرب الناس إليه؛ لأن حصيلته العلمية من أمريكا، وهم نصارىٰ أجهل الناس بعقيدتهم، فكيف بعقيدة الإسلام؛ لذا نراه يحوّل العقيدة إلىٰ سياسة ومطالب دنيوية، ولما كان البقاء للأصلح، فقد انطفأ نور مصباحه مبكرًا وبدأت شجرته تذبل في أذهان الناس.

١٩ - الخوارج رفعوا سلاحهم علىٰ رقاب المسلمين، ولا مورد لهم ينفقون منه إلّا بما استباحوه من أموال المسلمين نهبًا وسلبًا، ومعلوم حرمة مال المسلم ودمه وعرضه، حيث لم يراعوا ذلك، فكان مكسبهم حرامًا.

٢٠ - وهؤلاء من أين تأتيهم الأموال والسلاح؟ لابد أنها من طرق غير مشروع؛ لأن من خرج علىٰ ولي الأمر، استهان بحرمة العهد، وضيّع البيعة والأمانة، فإنه يستسلم لأعداء الأمة ومن فارق الجماعة الذي أخبر عنه ﷺ أنه: «يموت ميتة جاهلية»، فيهون عليه أن يمد يده لأعداء الله أعداء دينه الذين يفرحهم هذا، وهم أيضًا لا يعطون إلا بثمن وتنازلات.

والظاهر لنا والأيام ستبرز ما خفي بعد توثقه من الجهات المختصة، لكن ثبت عنهم سرقة سيارات عباد الله وأخذوها من أصحابها بقوة السلاح والتهديد، وتدميرها هي أو غيرها من الممتلكات، وسرقوا تبرعات أهل الخير لإفطار الصائم ورعاية

الأيتام، وغيرهما من سبل الخير التي يجود الناس بالعطاء لها، فأين أنتم من التحذير والتشديد من ترويع المسلم وأخذ ماله بغير حق؟

٢١ - الخوارج يستخفون عن الناس، ويختفون عن الأنظار، ولا يظهرون أنفسهم (كالخفافيش).

٢٢ - وهؤلاء تصفهم وسائل الإعلام بالخفافيش المختبئة في جحورها، وما ذلك إلا أنهم يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله؛ لأن الله لا يخفىٰ عليه شيء، كما قال سبحانه: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾[1]، لمعرفتهم بأن جرمهم كبير وعملهم شنيع فيختفون عن الأنظار، ويتلوّنون بصور شتىٰ، فترة بملابس نسائية، وأخرىٰ بتغيير الشكل واللباس واللحية، وأخرىٰ بملابس باكستانية أو أفغانية أو رياضية أو إفرنجية، كما بان من مخلّفاتهم بأوكارهم، ورسول الله ﷺ قال: **«من تشبه بقوم فهو منهم»**[2]، وقال: **«لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»**[3].

٢٣ - الخوارج انتهكوا حرمة مكة والمدينة عندما وصلوا إليهما، وأظهروا باطلهم، وروعوا حجاج بيت الله، وزوار مسجد رسوله، وسعوا في الإفساد فيهما.

٢٥ - وهؤلاء صمموا علىٰ أمر منكر في مكة، عندما كشف الله ما أرادوه ضرارًا ووكرًا في شقة الخالدية بمكة القريبة من الحرم، وتعاونوا مع من دبر الأمر والمكيدة بولي العهد سمو الأمير عبد الله بن العزيز، وبالمسلمين المتعبدين في حرم الله، فهؤلاء هل

---

(١) سورة الكهف، الآية (٤٩).

(٢) رواه أحمد وأبو داود والطبراني في الكبير عن ابن عمر، كشف الخفاء (٢/ ٢٤٠).

(٣) رواه أحمد، وابن ماجه، وأبو داود، كشف الخفاء (٢/ ١٤٤).

أدخلوا تلك الأسلحة لتكون لهم معينة علىٰ طاعة الله؟ والاعتكاف بها في الحرم بشهر رمضان أم كان وراء ذلك خطّة مدبرة من وراء الحدود؟ قد انكشف فيها ما يخزي الدافع للمال، والمعين بالتدبير، والأُجَرَاء المغرر بهم في وضع الخطوات المعينة علىٰ التنفيذ، خاصة وأنهم قد هيئوا «ترامس» للتمعية، الله أعلم ماذا يريدون عمله بها في الحرم، ولكن الله جل وعلا كشف عوارهم، وأنقذ الأمة من كيدهم، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[1].

٢٥ – الخوارج: ظهر من فتاواهم بعدما كفىٰ الله المسلمين شرهم تحريمهم القول برؤية الله، مع أنه ثابت بنص القرآن الكريم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[2]. وقوله سبحانه: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[3]، فسّر العلماء الزيادة: النظر إلىٰ وجه رب العزة والجلال، علاوة علىٰ الأحاديث الشريفة في إثبات الرؤية لله يوم القيامة وفي الجنة.

وتخليد صاحب الكبيرة إذا مات ولم يتب في النار، وغير هذا من الفتاوىٰ التي خالفوا فيها نص الكتاب والسنة، وغيرها مما فيه العجب.

٢٦ – وهؤلاء لم تنكشف غالبية فتاواهم، نسأل الله أن يهدي ضالهم، وأن يعيدهم إلىٰ جادة الصواب.

لكن مما ظهر أوضحناه فيما سبق، وهم متفقون فيه مع الخوارج بالخروج علىٰ ولي الأمر، وتكفيرهم لولاة الأمر، والعلماء ورجال الدولة وسبهم، والافتراء عليهم،

---

(١) سورة فاطر، الآية (٤٣).

(٢) سورة القيامة، الآيتان (٢٢، ٢٣).

(٣) سورة يونس، الآية (٢٦).

وغيبتهم، وإباحة قتلهم، ولا عهود لهم ولا أيمان.

وهذا هو أوسع باب في الفتنة وبث الفوضىٰ في المجتمع، وتيسير دخول الأعداء علىٰ المسلمين، ونشر العداوة والبغضاء في مجتمع الأمة... مما يتيح الفرصة لشياطين الإنس والجن بأن يبثوا سمومهم، ويحققوا مآربهم؛ لأن هؤلاء فتحوا لهم الباب.

٢٧ - الخوارج: حكموا علىٰ قتلاهم في الفتن أنهم في الجنة، كما زينوا للثلاثة الذين تآمروا علىٰ قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص ﷺ بأنهم في الجنة أيضًا، كأن عندهم بذلك من الله عهد وميثاق، وهذا من الافتراء.

٢٨ - وهؤلاء كتبوا عمن قتل منهم شهادة - بغير حق - أنه شهيد وأنه في الجنة، فهل كانت الجنة بمثل هذه السهولة؟ فإذا كان الإيمان ليس بالتّحلي ولا بالتّمني، فإن الجنة لا بد لها من عمل، ولا بدّ لها من ثمن يدفعه المرء طاعة لله ولرسوله ولولاة الأمر، ويصدق ذلك العبادة المخلصة مع الله، والبراءة من حقوق الخلق.

وليس بغريب عندكم حديث المتشاحنين في مشهد من مشاهد يوم القيامة، يقول الله: «**دعوهما حتىٰ يصطلحا**»، إن كنتم تقرءون حديث رسول الله ﷺ.

ومشهد آخر في الحساب، حيث يقتص بعضهم من بعض، حيث لا يوجد دينار ولا درهم، ولكنها الحسنات والسيئات، ليؤخذ لصاحب الحق من حسنات المعتدي عليه، فإن انتهت، أخذ من سيئات هذا المعتدىٰ عليه وتعطىٰ هذا الظالم، فتزيد إثمه إثمًا، ويذهب به للنار، كما جاء في الحديث الشريف.

ويرفع الله درجات صاحب الحق في الجنة بما جاءه من حسنات من اعتدىٰ عليه، وبما خفف من سيئاته أيضًا؛ لتزيد سيئات المعتدي جزاءً وفاقًا ولا يظلم ربك أحدًا.

٢٩ - الخوارج يأخذون بالمتشابه من الآيات والأحاديث، ويتركون المحكم، كما

هي طريقة أهل الزيغ والأهواء.

٣٠ - وهؤلاء يحاكونهم في هذا المأخذ، بل زادوا عليهم باعتبارهم مع ظلمهم وتعديهم علىٰ شرائع الله، حيث يعتبرون عملهم هذا أمرًا مشروعًا إعلاميًّا، وجرأة علىٰ الله ببذاءة اللسان والحق لا يتبع الهوىٰ، ولا بتزييف الحقائق، بل ولا موالاة من حاد الله ورسوله من المشركين والكفرة واتخاذهم أعوانًا يزينون لهم بالباطل، ويفتحون لهم وسائل إعلامهم؛ لينشروا أكاذيبهم وبهتانهم، ويعينوهم في مداخل الشر والفساد، والكافر لا ينصح للمسلم في رأي أو مشورة، فكيف تحبونهم وتوالونهم فيما حرم الله؟

كما أن هؤلاء شابهوهم في السرية بكلامهم واجتماعاتهم وحياكة أمورهم، وتدريباتهم البعيدة عن الأنظار.

فإذا عرفت أيها القارئ الكريم ذلك عنهم، وعن تقليدهم لأهل الضلال المعروفين في بداية تاريخ دولة الإسلام مع الفتن، فاعلم أنهم بإصرارهم قد أشربوا الفتنة وخاضوا فيها.

ويدل علىٰ ذلك أن بعض النماذج التي بين يديك تقرب حالة بحالة، بدون تجنٍّ، ولكنها الحقيقة بالمقارنة والمماثلة، كما يقال في المثل: وشبه الشيء منجذب إليه، وبهذا ينجلي الغبار، وينكشف الغطاء، ليعتبر منه من يريد الوصول للحقيقة، كفىٰ الله بلادنا وقيادتنا وعلماءنا شر الأشرار، ونصر بهم دينه، وأيد بهم كلمة التوحيد التي بها يحقق الله النصر، وينخذل من في قلبه مرض، ونسأل له سبحانه أن يعيذنا من شر الفرقة، وتسلّط الأعداء[1].

---

(١) استعنت ببعض نقاط جاءت في رسالة للأخ: جمال الحارثي، التي قدم لها فضيلة الشيخ: صالح الفوزان عن الخوارج صـ(٢٤، ٢٥)، الطبعة الأولىٰ عام ١٤٢٥هـ، دار المنهاج، القاهرة.

كما نسأله سبحانه لضال المسلمين حسن التوبة، والرجوع إلى الحق، فمن تاب تاب الله عليه، يقول سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾[1].

❋ ❋ ❋

(١) سورة الزمر، الآيتان (٥٣، ٥٤).

١٠- صفات اليهود الإرهابية : (المقيمين بين المسلمين)

اليهود فئة من البشر لا يحلو لهم استقرار وهدوء في المكان الذي يقيمون فيه، ولا يهنأ بال لقياداتهم ما لم يحركوا ما سكن في ذلك البلد الذي أحسن إليهم.

ذلك أن اليهود لما عُرِفَ من نكرانهم الجميل يبادلون الإحسان بالإساءة، ولا يرتاحون إلا علىٰ تعكير الصفو... مع أنهم في تاريخهم الطويل لم ينعموا بالاستقرار، وتيسير السبل إلا في ظل دولة الإسلام.

فكان منهم من وصل إلىٰ بلاط الخلفاء في الدولة العباسية وفي الأندلس طبيبًا، أو تاجرًا، أو مستشارًا، أو في عمل من الأعمال الكبرىٰ.

لقد استعان المأمون برجال منهم في شتىٰ المعارف بعدما فتح دار الحكمة، وكان ابن بختيشوع طبيبًا ومستشارًا لأحد الخلفاء العباسيين، ومثله إسحاق بن حنين، ودخل كثير بيوت الخلفاء وأعمال التجارة.

لكن هل صدقوا وأخلصوا، ورعوا النعمة، وزانوا المرتبة العالية، والحظوة التي تبؤوها؟ الواقع ينفي ذلك... فإنهم تبرز بصمات الخيانة والغدر كلما زاد الإحسان إليهم... إذ نراهم يعملون في الخفاء؛ ليكونوا سوسًا ينخر الدولة.

ويكفي في هذا ما وصفهم الله به سبحانه في كتابه الكريم بشدة عداوتهم للمسلمين، ولمن آمن بالله وصدق ما جاء عن رسول الله ﷺ وأنهم أشد عداوة من الكفار عبدة الأوثان، يقول سبحانه: ﴿۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ

مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾[(١)].

وعداوتهم للمؤمنين مستترة، فكلّما وجدوا فرصة عملوا جهدهم في الكيد والإضرار بهم وفق ما تنطوي عليه طباعهم المتأصلة في العداوة والحرص علىٰ الإضرار.

إذ لما طغىٰ الموالي علىٰ الدولة العباسية، وكان فيهم من تولىٰ الرئاسة والقيادة، بدت من بعضهم خيانات مالية، أو ضد أمن الدولة فيتضح عندما يعاقب ذلك المولىٰ التركي أو التركماني أن الذي حرك أمره بعض من اتصل به من اليهود.

ولما طُبع في خصائصهم من الجبن؛ لأن الله سبحانه ضرب عليهم الذلة والمسكنة، فإنهم لا يحبون أن يبرزوا في المواجهة، ولا يظهرون شيئًا من أساليبهم الإرهابية، إلا عندما يحسون بضعف في جانب الدولة التي عاشوا في ظلها، أو خلخلة في الجهاز الإداري، فإنهم يأخذون قسطًا من المصالح والفوائد، ذلك أن اليهود تدور أعمالهم مع الأمم الأخرىٰ وفق ما رسخ في أذهانهم عن التوراة المحرفة، حيث توصي أتباعها بصفات سيئة هي بعيدة عن التوراة الأصلية، التي جاءت عن الله سبحانه؛ لأن ما يأتي عن الله فهو خير، ويدعو إلىٰ الخير، وما جاء عن البشر فهو مما تبرز فيه سمات الشر والعداوة، وحب الطمع والأثرة.

فالتوراة المحرفة توصي أتباعها بأن لا يعرفوا رحمة ولا إنسانية، ولا شهامة ولا أخلاقًا للفتك بخصومهم، وهذا سر الإرهاب المتأصل فيهم، ومستقر الفساد والإفساد، الذي أخبر الله سبحانه أن اليهود يسعون فيه.

يقول اللواء المتقاعد سعيد بن عطية الزهراني في كتابه: القيم الأخلاقية في الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب: إن الصفات التي جاءت في التوراة المحرفة، وأوصت

---

(١) سورة المائدة، الآية (٨٢).

بها أتباعها تظهر سر قوة اليهود العالمية، وسر مصائبها أيضًا عبر أجيال التاريخ كله.

ذلك أن الشر يستجلب الشر، والخدعة إذا نجحت مرة أو مرات، فإنها ستؤدي عاجلًا أو آجلًا إلىٰ ردة فعل، تنفجر فيها بطون الذين نالهم من هذا الغدر اليهودي الماكر أذىٰ متلاحقًا في أحقر وسائل المكر والحيلة والخديعة[١].

وهذا ما حصل من جانب اليهود في الدولة الإسلامية، فأساليب مكرهم تتواصل في كل موقع حلّوا فيه، واعتقادهم بأن أعمالهم وحبائلهم التي يترصدون بها «القوييم»، وهم من ليس يهوديًا، ويعنون بـ«الأمّيين» الذين قال الله عنهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٢]، العرب خاصة.

فالأميون كما قال ابن كثير في تفسيره: يعني بها اليهود: العرب، وإنما حملهم علىٰ جحد الحق أنهم يقولون: ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأميين، وهم العرب، فإن الله قد أحلها لنا[٣].

وأساليبهم الإرهابية في المجتمع العربي والإسلامي الذي حلوا فيه يتمثل بأنواع: استباحتهم أموالهم، والتسلط عليهم، والتعاون في الشر والإفساد مع من يريد بالمسلمين إساءة بالأسلوب المناسب حسب القوة والضعف، وتحيّن فرص الغفلة بالكيد والإضرار بالمسلمين.

ففي بلاد الرافدين أيام الدولة العباسية فتحوا المجال مع الشعوبيين بالإعانة وحبك الخطط؛ للعبث بمقدرات الدولة، ثم كلما جاء عدو مدّوا أيديهم معهم تعاونًا

---

(١) القيم الأخلاقية، نشر دار ابن حزم، الطبعة الأولىٰ عام (١٤٢٤)هـ صـ (١٢٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٧٥).

(٣) تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٢٢).

وإبانة عن نقاط الضعف في الدولة.

وتوثقت صلتهم بالباطنيين وخاصة ابن العلقمي وزير آخر خليفة عباسي، فتمالئوا مع التتر في تقويض دعائم الدولة العباسية، حتىٰ حصلت الكارثة الكبرىٰ بسقوطها إلىٰ الأبد.

وفي بلاد الشام كانوا يدًا ممتدة إلىٰ الصليبيين؛ لتثبيت دعائمهم في ديار الشام كافة، وفي فلسطين خاصة، فكانوا لهم نعم المتكإ والمعين... في سبيل إضعاف مكانة الإسلام هناك، وكلما ابتعد المسلمون عن دينهم، وكثرت معاصيهم، قويت شوكة اليهود وفسادهم عقابًا عاجلًا من الله.

وفي مصر كانوا مع النصارىٰ، يناصرونهم ويتعاونون معهم، ولما جاء القائد الفرنسي: نابليون بونابرت، تقرّبوا إليه وساعدوه في مسيرته وفي تقدمه العسكري في دمياط ورشيد، ويمدونه بالمال والرأي خفية؛ حتىٰ وصل إلىٰ المنصورة ثم القاهرة، إذ كان المركز المالي بأيديهم، وصناعة الذهب والمحلات الكبرىٰ يمتلكونها، ومعلوم أن صاحب رأس المال يتخذ بماله نفوذًا للحاجة إليه، فكسبوا أكثر مما خسروا، ثم جاءوا بعد حرب العراق ليطالبوا بمئات الملايين عن ممتلكاتهم في مصر، بعد خروجهم منها.

وفي الأندلس كان لهم دور كبير في إضعاف العرب عندما تصارعوا علىٰ السلطة، فساعدوا هذا تارة، وبسطوا أيديهم مع الآخر تارة أخرىٰ... في سعي متواصل لإضعاف الجانب الإسلامي، ينطبق بشأنهم القول المأثور: من عصاني وهو يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني، في الوقت الذي ساعدوا القشتاليين حتىٰ أزاحوا العرب من الأندلس، وطرد آخر ملوكهم محمد بن عبد الله بن الأحمر من الأندلس إلىٰ المغرب الأقصىٰ... فعاش فيها طريدًا يندب مكانته السابقة؛ لتقول له أمه: ابك كما تبكي الثكالىٰ علىٰ ملك ضيعته.

فقد ضيعه بتعاونه مع اليهود الذين اتخذ منهم بطانة، وهم يحفرون ما تحت قدميه ليسقط، ولطلبه المدد من ملك قشتالة بمشورة سيئة، ليعاونوه علىٰ أخيه، فكانت النتيجة أن كان من يشير عليه هم أعداؤه حتىٰ تمكنوا منه وأزاحوا ملكه عنه، وسحب الفردوس المفقود من تحت أقدام الحكام المسلمين من ذلك التاريخ، حيث انتهت حضارة الإسلام وما بناه العرب طيلة وجودهم في الأندلس، بما عمله فرديناالد ملك قشتالة وزوجته إيزابيلا بإحراق تلال من الكتب، ليقولا: انتهت حضارة العرب إلىٰ الأبد، وقد انتقدهما مفكرو أوربا علىٰ هذا العمل، كما ذكر ذلك محمد عبد الله عنان، وحسين مؤنس، وغيرهما ممن كتب عن الأندلس وسقوطها، ثم عن حضارتها التي لا تزال قائمة آثارها.

وقد أراد اليهود أن يثبتوا أقدامهم مع الإفرنج، ويستمروا في حيلهم وأساليبهم، لكن ملوك الأندلس من الإفرنج طردوهم، وصادروا بعض أموالهم، وأبعدوهم عن الجزيرة...؛ لأنهم ما حلوا في مكان إلا أفسدوه.

- وفي تركيا تعاون اليهود مع العلمانيين بإنشاء حزب تركيا الفتاة والترقي الذي كان فكرًا يهوديًّا محضًا، وكان هذا التعاون بإيعاز من دول الغرب، ونكاية بالدولة العثمانية التي تمثل الخلافة الإسلامية، التي بدأ الضعف يدب في أوصالها منذ بدأت حرب البلقان التي كان شعارها: لا نريد إسلامًا في أوربا، وهو نفس الشعار الذي تردد أيام حرب البوسنة والهرسك، ومع الصرب.

وكان ليهود الدونما بتركيا دور كبير في تعاونهم مع العلمانيين، بإنهاء ما تبقىٰ من شعار للدولة العثمانية التي شاخت، ونقموا أكثر علىٰ السلطان عبد الحميد، الذي امتنع بشدة عن الموافقة علىٰ إسكان اليهود بفلسطين حسبما وعدهم بذلك: «بلفور» وزير

خارجية بريطانيا.

فما كان من بريطانيا في عام ١٩٢٥م، إلا أن مدت نفوذها علىٰ فلسطين، بعد سقوط دولة الخلافة الإسلامية: «الدولة العثمانية» فكبر عند اليهود الأمل بتسليمهم فلسطين بعد ذلك وهذا ما حصل.

- ومن عام ١٩٤٨م حيث قامت دولة اليهود الصهاينة في فلسطين بتعاون من الدول الكبرىٰ في الغرب، وإسرائيل تزداد يومًا بعد يوم في الإرهاب عملًا وتخطيطًا ومؤامرات تحاك وحرب إبادة علىٰ شعب فلسطين من مجرم بعد مجرم، حتىٰ وصلت قيادتهم لأكبر الإرهابيين المجرمين: شارون، فأصبحت إسرائيل التي جعلت موطنًا لليهود من أنحاء العالم مقرًّا رئيسيًّا للإرهاب العالمي، تحاك المؤامرات، وتدبر الفتن، وإشعال نارها من جهازي المخابرات الصهيونية اليهودية: الموساد والشاباك.

وما الإرهاب الذي اتسع نطاقه في العصر الحاضر، وامتد أثره إلىٰ المملكة العربية السعودية إلا دسيسة من اليهود في إسرائيل، وبتعاون مع الأعداء، بما تبذله سرًّا من إعانات للمخربين الضالين بالسبل المتعددة: ماديًا ومعنويًّا وتخطيطيًّا.

وقد برزت أصابع الاتهام من جديد إلىٰ دور الموساد اليهودي، في حياكة هذه الأعمال رغبة في إثارة الزعازع، وعدم الاستقرار في المملكة العربية السعودية، خاصة بعد معرفة سمو ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز بذلك في شرم الشيخ، وحماسة سموه لقضية فلسطين وقضية السلام فيها، مما جعل صحيفة في أوربا في الصيف قبل الماضي، حسبما نقلت عنها صحيفة عكاظ توضح بأن الموساد الإسرائيلي كجزء من الإرهاب، وراء تهريب الأسلحة إلىٰ المملكة، لتصل إلىٰ أيدي المخربين ليتسع باب الإرهاب، واعتماد مفتٍ لهم من أصل فلسطيني هو المعروف بأبي قتادة.

وأعمال اليهود وأياديهم الملوثة بالعمل السيئ والمؤامرات وبث الإرهاب في ديار المسلمين كثيرة، يبادلون بها رحابة صدور المسلمين وتعاونهم، وطيب الوفادة عندهم، بالإساءة والإفساد الإساءة المتعمدة وتشجيع الفتنة، حسدًا من عند أنفسهم، كما أخبر الله عنهم، بأنهم يسعون في الأرض فسادًا، والله سبحانه لا يحب الفساد ولا المفسدين.

وسوف نورد نموذجًا واحدًا بيهود الدونمة في تركيا: فقد أسس هذه المنظمة السرية «سباتاي زيفي» اليهودي الأسباني الأصل، تركي المولد والنشأة ففي عام ١٦٤٨م، أعلن أنه مسيح بني إسرائيل ومخلصهم الموعود.

اعتقلته السلطات العثمانية وناقشه العلماء في ادعاءاته بعد تأسيسه يهود الدونمة، وهم جماعة من اليهود، أظهروا الإسلام، وأبطنوا اليهودية للكيد للمسلمين، تحت زعامته، وأسهموا في تقويض الدولة العثمانية، وإلغاء الخلافة عن طريق انقلاب جماعة الاتحاد والترقي، ولا يزالون يكيدون للإسلام، لهم براعة في مجالات الاقتصاد والطب والثقافة والإعلام؛ لأنهم يرون هذه الأشياء هي وسائل السيطرة علىٰ المجتمعات.

ولما عرف «سباتاي زيفي» هذا أنه قد تقرر قتله بعد مناقشة العلماء، أظهر رغبته في الإسلام وزار مكة والمدينة وكثيرًا من ديار المسلمين، ثم واصل دعوته من موقعه الجديد، كمسلم وكرئيس للحجاب، وأمر أتباعه بأن يظهروا الإسلام، ويبقوا علىٰ يهوديتهم في الباطن، وطلب من الدولة العثمانية السماح له بالدعوة في صفوف اليهود، فسمحت له بذلك، فعمل بكل خبث، واستفاد من هذه الفرصة العظيمة، للنيل من الإسلام.

واتضح للحكومة العثمانية بعد أكثر من ١٠سنوات، أن إسلام «سباتاي» كان خدعة، فنفته إلىٰ ألبانيا ومات فيها عام ١٦٧٥م.

ومن أهم معتقداتهم: أنهم يحاربون تعاليم الإسلام سرًّا، ولا يصومون ولا يصلون،

ولا يغتسلون من الجنابة، وقد يظهرون بعض الشعائر الإسلامية في بعض المناسبات، كالأعياد إيهامًا وخداعًا، ويهاجمون حجاب المرأة ويدعون إلىٰ السفور والتحلل والتعليم المختلط؛ ليفسدوا علىٰ الأمة شبابها.

وما يتحلون به من عقيدة يهودية صرفة، فإنهم ثابتون علىٰ خصال اليهود الأساسية: كالخبث والمراوغة والكذب، والمكر والجبن والغدر، مع ذكاء وعداوة يستعملونهما في ضرب الإسلام من داخله، لا يزال غالبيتهم في تركيا، ولهم نفوذ إعلامي واقتصادي، وساهموا في علمنة تركيا وسخّروا كثيرًا من شباب المسلمين المخدوعين لخدمتهم في أغراضهم التدميرية[١].

وطريقة «سباتاي زيفي» هذا مماثلة لما قام به اليهود كعبد لله بن سبإ اليهودي، الذي دخل الإسلام في عصره الأول، واليهود بطبعهم اليهودي، وبغضهم للإسلام وأهله، كانوا سببًا في فتح باب الفتنة بالإسلام ونشوء الفرق الباطنية، التي أغلب زعمائها ينتمون إلىٰ اليهود عقيدة وفكرًا، وفي المقدمة ابن سبإ.

كما دخل النصرانية عدد كبير لنفس الغرض، نشروا في الغرب المنظمات السرية التي وراءها اليهود والصهيونية العالمية تأسيسًا ودعوة وتنظيمًا، برغبة تشويه صورة الإسلام والكيد له.

وصدق الله العظيم في إخباره عن بني إسرائيل بالفساد، ونشره والسعي في سبيله بكل طاقاتهم ووسائلهم، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص (٥٩٩ - ٥٦١).

شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾(١).

وهي سنة الله فيهم، أنه كلما زاد طغيانهم، وكلما تصوروا أن يكونوا بإرهابهم وتخويفهم، قد سيطروا علىٰ مقاليد الأمور، واغتروا بما يغرسون من فكر، ظنوا بذلك تمسكهم بمقاليد البشر فكريًّا وماليًّا وتنظيمًا سريًّا يخدم مصالحهم.

فإن الله سبحانه يوهن عزائمهم، ويسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب، كما بينه سبحانه في محكم التنزيل بقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾(٢).

فاليهود بجذورهم التاريخية: فكرية وسياسية واقتصادية ودينية، لديهم عنصرية متطرفة، إذ يعتقدون أنهم العنصر الممتاز في البشرية كلها، وهذا العنصر يجب أن يسود ويتحكم في كل الشعوب الأخرىٰ، الذين هم خدمهم وفي مصالحهم، وأن أقوم النبل لحكم العالم هو إقامة الحاكم يعنون حكومتهم التي يسعون لإقامتها، كما توضحه بروتوكولاتهم، علىٰ أساس التخويف والعنف، وتوسيع الاضطرابات والفوضىٰ في المجتمعات، وتسكين العامة بالمظاهرات والثورات والشعارات.

فيجب أن يدرك كل مسلم أن اليهود قوم جبلت قلوبهم علىٰ الضغينة والحسد علىٰ المسلمين، وأعمالهم علىٰ حب الفساد والسعي في العنف لتحقيق مآربهم، حسدًا علىٰ أهل الإسلام، وأنه كلما سعىٰ اليهود لإبعادهم عن دينهم بفكر ملوث، وتكبير الشبهات

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان (٤، ٥).

(٢) سورة المائدة، الآية (٦٤).

أمام بعض المسلمين، وإشاعة الفساد الخلقي، وابتعاد المرأة عن تعاليم دينها، حتىٰ يفسد الشباب والشابات، فإن الله يبعث لدينه أنصارًا.

فإنه لا خلاص للمسلمين من فكر اليهود الذي يقود لأعمال سيئة كثيرة، إلا بالرجوع إلىٰ دين الله والتمسك بتعاليم شرع الله؛ لما في ذلك من الحصانة، والسد المنيع دون نفوذ اليهود وما تحمل قلوبهم من البغضاء والحقد، يتحقّق كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها... وأولها صلح بالإسلام وآخرها لن يصلح إلا بحرص أبناء الإسلام علىٰ تعاليمه تطبيقًا وفهمًا ونهج حياة وعمل.

ويأتي من صفات اليهود الإرهابية اهتمامهم بزعزعة القاعدة الأساسية عند المسلمين، وهذه أشدّ أنواع الإرهاب، فقاعدة المسلم الدين الذي أكرمه الله به، والإنسان كما يقال: لديه عاطفة دينية ورابطة عقدية، فقد تكون ديانة سليمة وهي الإسلام، وقد تكون فاسدة لا يقبلها الله، فقاعدة وركيزة المسلم الدين الصحيح، وعماده مرجعًا وتطبيقًا: كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ.

ونجد أكثر شعوب الأرض تتجاذبهم عوامل البيئة والنشأة والتقليد، كما حكىٰ الله سبحانه عن المشركين في جميع العصور، ويجادلون رسلهم بهذه الحجة: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1]، مقولة يرددها جهال العرب تقليدًا لليهود والنصارىٰ، ولم يناقشوا أو يحكّموا العقل فيما إذا كان آباؤهم علىٰ حق أو باطل، فاليهود مثلًا أفسدوا دينهم وعصوا أنبياءهم، فلا ترتاح نفوسهم حتىٰ يجذبوا الآخرين إلىٰ منحدرهم، فقد أفسدوا علىٰ النصارىٰ قاعدتهم الدينية، وأرهبوهم بتحريق كنائسهم.

ثم دخلوا مع المسلمين بداية بعبد الله بن سبإ اليهودي، وغيره من اليهود كثير، إلا

---

(١) سورة الزخرف، الآية (٢٢).

من رحم الله ممن صدق في إسلامه وأخلص في محبته للإسلام، ممن تسموا بالإسلام لمصلحة في نظرهم، هي الإخلال في العقيدة، والتشكيك في تعاليم الإسلام بالجدل - الذي حذر الله منه مع بني إسرائيل -، وبالشبهات وبالتعريض، وغير هذا من أساليبهم الملتوية، ينطبق عليهم ما روي عن واحد منهم تخفىٰ باسم الإسلام ليحقق هدفًا ضد الإسلام، فقال:

صـلىٰ المـصلي لأمـر كـان يطلبـه فلـما انقـضىٰ الأمـر لا صـلىٰ ولا صـام

فقد حاول اليهود التعديل في طبعات القرآن الكريم بألمانيا، جاءوا للآية الكريمة: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[1]، حذفوا (غير) فانقلب المعنىٰ، ولأن الله سبحانه قد حفظ هذا القرآن وصانه، فقد كشف هذه الطبعة شخص في موريتانيا... فكان الاحتجاج علىٰ تلك الدار الناشرة، ولهذا نظائر وإن قيل: إن هذه جزئيات قد تحمل علىٰ الأخطاء الطباعية. لمن يريد أن يدافع عنهم، فإن أشد من ذلك مما لا يمكن تغطيته، ما صدر حديثًا عن دارين للنشر في أمريكا باسم: الفرقان الحق المزعوم، الذي وزع في الكويت علىٰ الطلبة في المدارس الثانوية الأجنبية مع غزو العراق، جعلوه مصحفًا يضاهئون به كتاب الله: القرآن الكريم، طباعة وتبويبًا وتنظيمًا وتوزيعًا في السور، يريدونه مصحفًا للأديان الثلاثة: اليهودية والنصرانية والإسلام - قاتلهم الله أنىٰ يؤفكون -.

يقع كتابهم هذا - كما ذكرت مجلة الفرقان الكويتية، عدد (٢٨٣) الإثنين ١٧ محرم عام ١٤٢٥هـ في ٣٦٦ صفحة من القطع المتوسط، ومترجم إلىٰ اللغتين: العربية والإنجليزية، ويوزع في الكويت علىٰ الطلبة المتفوقين من أبناء الكويت وغيرهم، في المدارس الأجنبية الخاصة التي أصبحت مرتعًا خصبًا للمنصرين، لبث روح الاستسلام

(١) سورة آل عمران، الآية (٨٥).

وثقافة الاتباع لأهل الكتاب، الذين لن يرضوا حتىٰ يردوهم عن دينهم إن استطاعوا، وقد جعلوه علىٰ هيئة سور القرآن، ويتألف من ٧٧ سورة مختلفة، ومن أسماء السور التي وضعت افتراء علىٰ الله: الفاتحة، المحبة، المسيح، الثالوث، المارقين، الصلب، الزنىٰ، الماكرين، الرعاة، الإنجيل، الأساطير، الكافرون، التنزيل، التحريف، الجنة، الأضحىٰ، العبس، الشهيد، إلخ.

ويفتتحونه بالبسملة التي كلها كفر وضلال، حيث قالوا: بسم الأب الكلمة الروح الإله الواحد الأوحد، مثلث التوحيد، موحد التثليث ما تعدد... كلمات متناقضة تدعو للشرك بالله، ويدل علىٰ أن اليهود لهم دور في هذا الكتاب المزعوم أن كل ما ذكر الله عن اليهود من مناقب وطغيان، وما فضحهم الله جل وعلا به: من كذب وقتل للأنبياء وتحريف للكلم عن مواضعه، وما رد الله عليهم في قولهم عليه عَزَّوَجَلَّ بالبهتان والافتراء علىٰ رب العزة والجلال وأنبيائه، والمواضع التي لعنهم الله فيها، كل هذا حذفوه أو زوّروه بما يوافق أهواءهم في الكفر.

ولذا ألحقوا بذلك آيات الجهاد التي حذفوا منها ما يريدون، وحرفوا المعنىٰ في بعضها بما يوافق أهواء اليهود... حيث سمت المجلة ذلك العمل: آيات شيطانية جديدة.

وقد أوردت صحيفة الفرقان نماذج كثيرة ووصفًا لما جاء في ذلك الفرقان المزعوم، في خمس صفحات كل صفحة فيها ثلاثة أعمدة، مما يجب علىٰ كل مسلم الاطلاع علىٰ ما جاء في هذه المجلة، واستملاء ما ظهر لهم من طغيان وفساد... رغبة من اليهود في إفساد أبناء وبنات المسلمين؛ ليتمردوا علىٰ دينهم، ويكونوا لهم سندًا ضد أبناء الإسلام ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾[1].

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٣٠).

فأي إرهاب أشد من هذا؟ عندما يطعن المسلم في قلبه وموطن إحساسه، بالتعدي علىٰ كتاب الله والعبث بآياته.

وقد جعلوا لهم بابًا علىٰ «الإنترنت» يواصلون فيه نشر هذا الفرقان المزعوم علىٰ حلقات متتابعة، حتىٰ ينشروه كاملًا ويعلقوا عليه، وفتحوا بابًا للحوار وطرح الأسئلة، للإجابة علىٰ التساؤلات، بخبث ومجادلة وقلب للحقائق.

في الوقت الذي لم نجد من يتصدىٰ لهم، سواء علىٰ موقعهم «الإلكتروني»، أو كتابيًّا يفند فيه مواطن الافتراء والكذب، وإن كان كله كذب وافتراء علىٰ الله، حتىٰ لا ينجذب إليهم من أبناء المسلمين من قلت بضاعته أو قصر فهمه[١].

وحتىٰ نزيل الهم عن كاهلك أخي المسلم بهذا الإرهاب الديني، الذي يراد منه صد المسلمين عن دينهم، وتبديل كلام الله بما يحلو لليهود وأعوانهم، فإن كل مسلم مدعو لأن يتحمس لدين الله، ويحمس غيره للتصدي لهذا الغزو المعلن في أعز ما يملك المسلم وهو كتاب الله الذي يريدون كيدًا وعنادًا وحسدًا أن ينالوا منه، إمعانًا في الفساد والإفساد، والله حافظ كتابه لكنه ابتلاء وامتحان.

يقول العارض لهذا الكتاب في مجلة الفرقان بعد أن أورد نماذج مما جاء فيه: والله ما زدت حرفًا علىٰ ما ذكروا افتراء علىٰ الله، وزورًا في كتابهم المزعوم، وما ازددت إلا حنقًا وغضبًا وحقدًا علىٰ هؤلاء الكافرين، واهتز كياني واقشعر بدني وتزلزلت أركاني وأنا أقرأ مضطرًّا تلك الآيات الشيطانية، علىٰ عكس ما زعموا في سورة المحرضين بقولهم:

---

(١) تراجع صحيفة الفرقان الكويتية الإثنين ١٦محرم ١٤٢٥هـ الصفحات، (١٢ - ١٧)، وردنا علىٰ هذا الفرقان الكاذب في صحيفة الجزيرة العددين (١١٥٣٠، ١١٥٣٧) ليوم الجمعة ٤ ربيع الأول والجمعة ١١ربيع الأول عام ١٤٢٥هـ ص(١١)، وص(١٣).

ومن يقرأ الفرقان الحق نجعل بينه وبين الذين كفروا حجابًا مستورًا، وننزل السكينة في قلوب المؤمنين[١].

- هذا طفح من إرهابهم للمسلمين، الذي أظهروا فيه حقدهم الدفين وعداوتهم السافرة لدين الله الحق.

- أما نموذج العمل الفردي لعلماء المسلمين الذي لقنوا إياه من الصغر، ليصبح عقيدة راسخة فيهم، يعملون جهدهم في تحقيق ما أرضعته أمهاتهم نحو الإسلام وعلمائه، فتوضحه هذه الحكاية:

فقد روي أن أبا حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ، كان له جار يهودي قد سلط بيت الماء عليه، وأحدث فيه فتحة علىٰ بيت أبي حنيفة مدة تزيد علىٰ عشر سنوات، وتحمل أبو حنيفة هذا الإيذاء، وقد مرض أبو حنيفة، فجاء اليهودي يزوره مجاملة مع الناس، وقد شم الرائحة الكريهة، لكن أبا حنيفة لم يذكر له شيئًا، ولما أراد الخروج بعد مشافاته لأبي حنيفة وضع كمه علىٰ أنفه تعبيرًا عمّا شمّ، ظانًّا بأن أبا حنيفة لم ينتبه، ثم قال له: منذ متىٰ وهذه الرائحة عندكم؟ فرد عليه أبو حنيفة قائلًا: منذ جاورتنا... صدم من هذا الجواب، وانتظر أيامًا نتيجة العقاب، لكن لم يرفع الأمر أبو حنيفة بعد ذلك، فلم يسع اليهودي إلا أن جاء مسلمًا ومعتذرًا، وقال: لقد رُبِّينا علىٰ أن نسيء للإسلام والمسلمين، ولكنني الآن مسلم بهذا التعامل الحسن، وتنسب أيضًا «للتستري».

وبعض الباطنية يعملون هذا العمل، وهذه التربية التي ينشأ عليها اليهود أصبحت سجية تنمو وتتأصل مع الأفراد، وتكبر مع الجماعات، وكل فرد منهم يعمل بجهده وبشتىٰ الأساليب في المكيدة لمن لم يكن منهم، بحيل وأنواع لم تخطر علىٰ البال، والتواطؤ

---

(١) نفس المجلة صـ(١٦) العمود الأول.

مع من يماثلهم في العداء للإسلام ورموزه تخطيطًا وعملًا عداوة وحسدًا.

فقد روىٰ ابن عباس رضي الله عنهما حسب ما أُثْبِتَ ذلك عنه رضي الله عنه قال: كان الذين حزّبوا الأحزاب من قريش، وغطفان، وبني قريظة: القبيلة اليهودية[1]: حيي بن أخطب، وسلام بن الحقيق، وأبو رافع، والربيع بن أبي الحقيق، وأبو عامر، ووَحْوَح بن عامر، وهودة بن قيس، وكان سائرهم من يهود بني النضير، فقالوا لما قدموا علىٰ قريش في مكة: هؤلاء أحبار يهود، أهل العلم بالكتب، فاسألوهم أديننا خير أم دين محمد؟!.

فسألوهم، فقالوا: دينكم خير من دينه، وأنتم أهدىٰ منه وممن اتبعه، فأنزل الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾[2].

فهذا التكتل والحركة التجمعية من اليهود في المدينة هو إرهاب جماعي، حزّب فيه يهود بني النضير، ومعهم كعب بن الأشرف من زعماء وأثرياء يهود المدينة، بحصنه المشهور حتىٰ اليوم، ألّب فيه هؤلاء قبائل العرب، ومعهم المنافقون، وكل من في قلبه مرض، بعد أن خان اليهود العهد ونقضوه، كل هذا محاربة لله وضد رسوله الكريم ﷺ وأصحابه، في رغبة منهم بإسكات صوت الحق، وإطفاء نور الله بأفواههم في مؤامرة مبيتة، يشبه ما نراه اليوم من تكتل اليهود وتحزبهم في أمريكا ضد أي عمل لا يحقق مصلحة اليهود، وهم الذين لا يرضيهم اليسير، فتعاون الجميع في حرب معلنة ضد

---

(١) كانت قبائل اليهود في المدينة ثلاثًا: بنو النضير، وبنو قريظة، وبنو القينقاع، وقد آذوا المسلمين وأرهبوهم، حتىٰ خلّص رسول الله ﷺ المسلمين منهم، وطهّر المدينة من رجسهم.

(٢) سورة النساء، الآيتان: (٥١، ٥٢).

الإسلام وأهله في كل مكان، وبجرأة لم يسبق لها في التاريخ مثيل.

فهي نفثات تعرف عن اليهود قديمًا وحديثًا، ضد شرائع الله وأوامره جل وعلا، لا يرفعون رؤوسهم إلا إذا وجدوا حبلًا من الناس يتعلقون به، وأعمال تأصلت في طبائع اليهود، كما يقال في المثل: شنشنة نعرفها من أخزم.

❋ ❋ ❋

١١- اليهود يرهبون النصارى

اليهود أهل غدر وكذب، وبهت ومكر، فإن عبد الله بن سلام - وكان زعيمًا عندهم - بعدما أسلم سأل رسول الله ﷺ أن يواريه ويحضر كبار اليهود، ويسألهم عنه، ففعل عليه الصلاة والسلام، فأثنوا علىٰ عبد الله بن سلام، ومما قالوه: إنه كبيرنا وابن كبيرنا وذو الرأي والمشورة فينا، فخرج عبد الله بن سلام عليهم، فقال: يا قوم، والله إنكم لتعرفون أن هذا رسول الله حقًّا، وإنكم تجدون صفته ونعته عندكم في التوراة، فآمنوا به خيرًا لكم، وإنني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. فسبّوه وقالوا لرسول الله: إنه من شرارنا، ولا رأي له عندنا(١).

- وعداوة اليهود هي عداوة دينية، فمنذ بعث الله عيسىٰ بن مريم وعداوة اليهود قائمة ولم تقعد مع النصارىٰ، وتدبير الكيد والرعب مستمر، فإن وجدوا مجالًا للقوة أظهروه وإلا زاولوه بالسرّ، بدأت العداوة والإرهاب بالطعن في نزاهة مريم عليها السلام، عندما ولدت عيسىٰ من غير أب، فاتّهموها بالزنا وبيوسف النجار، وهذا من البهتان العظيم الذي ذكره الله عنهم في كتابه الكريم.

- وتدبيرهم قتل عيسىٰ عليه السلام فأنجاه الله من مؤامرتهم، وما عملوه من إرهاب لعيسىٰ ومن معه من الحواريين في خطّتهم التي دبّروا، ثم ألّبوا ملك اليونان الوثني في وشاية ضد عيسىٰ، وكذب عليه عليه السلام، حتىٰ انتهىٰ الأمر برفعه إلىٰ السماء، وقُتِل وصُلِب الشّبيه.

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره للآية ١٥٧ من سورة النّساء روايات متعدّدة في مسير

---

(١) تراجع ترجمة عبد الله بن سلام وقصة إسلامه في أسد الغابة لابن الأثير في تراجم الصحابة.

هذه المؤامرة، وأطال في الموضوع[1]، وكل حكاية تدلّ علىٰ نذالة اليهود وسوء طباعهم، وبغضهم لعيسىٰ وأتباعه، بل ولكل أنبياء الله عليهم السلام.

وفي هذا ذكر ابن إسحاق قال: حدثني رجل كان نصرانيًّا فأسلم: أن عيسىٰ عليه السلام حين جاءه من الله أني رافعك إليّ قال: يا معشر الحواريّين، أيكم يحبّ أن يكون رفيقي في الجنة، حتىٰ يشبه للقوم في صورتي فيقتلوه في مكاني؟ قال سرجس: أنا يا روح الله. قال: فاجلس في مجلسي... فجلس فيه، ورُفِعَ عيسىٰ عليه السلام، فدخل اليهود عليه، فأخذوه فصلبوه، فكان هو الذي صلبوه، وشبه لهم به، وكان عددهم حين دخلوا مع عيسىٰ معلومًا، قد رأوهم فأحصوا عدّتهم، فلما دخلوا ليأخذوه، وجدوا عيسىٰ وأصحابه فيما يرون، وفقدوا رجلًا من العدّة فهو الذي اختلفوا فيه، وكانوا لا يعرفون عيسىٰ، حتىٰ جعلوا لـ«يودس زكريا يوطا» ثلاثين درهمًا علىٰ أن يدلّهم عليه، ويعرّفهم إيّاه، فقال لهم: إذا دخلتم عليه، فإنني سأقبله وهو الذي أقبّل، فخذوه. فلما دخلوا المكان وقد رفع عيسىٰ، ورأىٰ «سرجس» في صورة عيسىٰ، فلم يشك أنه هو، فأكبّ عليه فقبّله... فأخذوه وصلبوه، ثم إن «ليودس زكريا يوطا» ندم علىٰ ما صنع، فاختنق بحبل حتىٰ قتل نفسه، وهو ملعون عند النصارىٰ، وقد كان أحد المعدودين من أصحابه، وبعض النصارىٰ يزعم أن «يودس» هذا هو الذي شبه لهم فصلبوه، وهو يقول: إني لست بصاحبكم، أنا الذي دللتكم عليه، فلم يصدّقوه وصلبوه... والله أعلم.

فمؤامرتهم علىٰ عيسىٰ، وبهتانهم والدته: مريم العذراء الصدّيقة، وما عملوا في هذا السبيل؛ هو أول عمل إرهابي مع النصارىٰ، وأعظم ترويع للحواريين ثم ملّة النصارىٰ كلها.

- ولم يكن هذا العمل مع النصارىٰ إلّا بداية العمل الإرهابي، فإن الإنسان لا

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٩٢ - ٤٩٦).

يترك طبعه، ولا يتزحزح عما جبلت عليه نفسه، بل نراه يتحيّن الفرص، ليضرّ خصمه، ولو بأبسط الأشياء، المهم أن يشعر نفسه بأنه عمل أذيّة، وأنه حرّك مضرّة وفسادًا، وهذا هو واقع اليهود مع جميع أجناس الأرض، ومع النصارىٰ في الدرجة الأولىٰ، ثم مع المسلمين؛ لأنها عداوة دينية كما قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

كــل العــداوة قــد تُرْجّــىٰ مودّتهـا   إلا عــداوة مــن عــاداك في الــدين

ولذا انتشرت عداوتهم للنّصارىٰ في الدين، كما أخبر الله عنهم في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾(١).

فكان ابتداء التجهيل من اليهود ضد النصارىٰ، فردوا عليهم بمثل قولهم؛ لأنهم لا يعلمون الحقيقة.

فاليهود كما ضلّوا حرصوا بأن يُضِلُّوا النصارىٰ ويفسدوا عليهم دينهم، فلجهلهم يتبعونهم، ولكن اليهود هم البادئون، كما في الوحدانية مع الله، وإفساد التّوحيد، بحيث يجعلون لله شريكًا، نلمس هذا في مثل هذه الآية الكريمة، وما تحمل من دلالة الشّرك بالله، فكانت اليهود هي البادئة، وسيطروا علىٰ النصارىٰ فتبعوهم لجهلهم تقليدًا، يقول سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾(٢).

ومن فسد في أيّ مجال كان فإنه يهمّه أن يتبعه الناس علىٰ طريقه الأعوج، وهذا ما حصل بين اليهود والنصارىٰ، حتىٰ أفسدوا علىٰ النّصارىٰ دينهم، ثم ما حاولوه مع

---

(١) سورة البقرة، الآية (١١٣).

(٢) سورة التوبة، الآية (٣٠).

رسول الله ﷺ، ليفسدوا دين الإسلام، حتىٰ جاء اليهود لرسول الله ﷺ بقصد فتنته عن دينه، في تآمر منهم علىٰ دينه، فقالوا: إن بيننا وبين بعض قومنا خصومة، فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم، ونؤمن بك ونصدّقك، فنحن أحبار اليهود وأشرافهم وسادتهم، ومتىٰ آمنّا بك تبعنا كل اليهود ولم يخالفونا، فأبىٰ ذلك رسول الله، فأنزل الله: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ۝٤٩﴾[1].

وقد حاولوا السيطرة علىٰ النصارىٰ بتضليلهم وإرهابهم: دينيًّا وعقديًّا واقتصاديًّا ونفسيًّا وتخويفًا وإفسادًا.

بدءوا بإحراق الكنائس، وتدمير المعابد، ثم بالأعمال السرِّية: كالماسونية، والروتاري وشهود يهوه، والليونز والروحية الحديثة، والصهيونية،... وغيرها من الأعمال السرية التي يرون أنها لا تفضح خفايا نفوسهم، وتحقق مأربهم في التَّسلُّط، وهذا لا يتم إلا بمرادف للأعمال السرية وهو الإفساد ومحاولة الإضرار بالآخرين، وإرهابهم بأعمال لها ما وراءها... ولكن تلك الأعمال تنفضح مهما حاول اليهود إخفاءها، ومهما وضعوا من أساليب ومسمّيات، يقول الشاعر:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفىٰ علىٰ الناس تعلم

- ففي مجال إحراق معابد النصارىٰ يذكر الدكتور: حامد أحمد الرفاعي في كتابه: الإسلام والنظام العالمي الجديد: يقول الدكتور معروف الدوليبي، علىٰ قصة أصحاب الأخدود في سورة البروج: وهذا «ما دكان» قد دعا فريقًا من اليهود في نجران، وبتشجيع من يهود فلسطين المضطهدين فيها من قبل النصارىٰ، أن قام ملك اليمن

(١) سورة المائدة، الآية (٤٩). ويراجع في هذا تفسير ابن كثير، وسيرة ابن هشام (٢/ ٢١٦).

المتهّود «ذو نواس» في مطلع القرن السادس الميلاديّ بتحريق كنيستهم علىٰ أصحابها أولًا، ثم بتحريق آلاف النصارىٰ، وذلك في وادٍ معروف ومشهور أيضًا حتىٰ اليوم في جزيرة العرب.

وقد جمعوهم فيه، وحرقوهم علىٰ مشهد عظيم من الناس، في أول محرقة جماعية مشهودة ومعروفة في تاريخ الأديان، كما هو معروف في تاريخ كل من اليهود والنّصارىٰ، في عداء كل منهما للآخر.

وخاصّة فيما كان سجّله الإسلام بعد ذلك أيضًا في وحي القرآن الكريم في سورة البروج[1].

- ومثل هذه الحالة التي تنبئ عن عداء مستحكم في الناحية الدينيّة، نجد في الرصد التاريخي أن تسلّط اليهود علىٰ النصارىٰ بالعنف وإفساد دينهم عليهم جعل النصارىٰ يضيقون بهذا العمل، ويبحثون لهم عن مخرج، فاجتمع عدد كبير من علمائهم وقساوستهم، وعقدوا مؤتمرًا في مدينة «نيقيا» في آخر القرن الرابع الميلادي ليتخلّصوا من تبعيّة اليهود، من أجل العداء، وما يحصلُ منهم عليهم من تعنت وإرهاب، ولجهلهم خرجوا، ولرغبتهم في البعد عن اليهود، بوصايا عديدة منها:

- اليهود يختتنون، يجب أن نمنع الاختتان.
- اليهود يعدّدون الزوجات، يجب أن نمنع ذلك ونقتصر علىٰ واحدة.
- اليهود يطلّقون زوجاتهم، يجب أن نحرم الطلاق.
- اليهود يحرمون الخنزير، يجب أن نبيحها ونأكلها.
- اليهود يحرمون شرب الخمر، يجب أن نحلّلها ونشربها. وهلم جرًّا.

---

(١) ص(١٥).

– أضاف اليهود في التلمود ما يؤصل العداوة مع النصارىٰ، فجاء فيه مثلًا عن المسيح عيسىٰ بن مريم: إن يسوع الناصريّ موجود في لجان الجحيم بين القار والنار، وأنّ أمه مريم أتت به من العسكري «باندارا» عن طريق الخطيئة، وأن كنائس النصارىٰ هي بمثابة القمائم والقاذورات، والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة[١].

– ومن عداء النّصارىٰ مع اليهود وخوفهم من مكائدهم أن المسلمين لمّا فتحوا الشام بقيادة أبي عبيدة بن الجراح ووصلوا إلىٰ بيت المقدس طلبوا من أبي عبيدة حضور قائد المسلمين الأعلىٰ، فإن وجدوا صفته فيه، وإلّا لن يسلّموا ولن يستطيع المسلمون الاستيلاء عليهم، فلما جاء عمر ﷺ عرفه بطريرك النّصارىٰ، وسلّمه مفاتيح بيت المقدس، وأجلىٰ المسلمون الرومان منها، إلّا من أسلم، وذلك في عام ١٢ من الهجرة، وفتحت فلسطين وديار الشام، وقد اشترط كبير البطاركة في القدس علىٰ المسلمين ألّا يسكن المدينة أحد من اليهود؛ لما بينهم وبينهم من العداوة، ولما يعلمون عن اليهود من مكائد وعنف ضد النّصارىٰ[٢].

– والمذابح والعداوات بين اليهود والنصارىٰ مستمرة، ففي عام ١٨٧٢م قامت مذابح كبيرة ضد اليهود في روسيا بمساعدة القيصرية في روسيا وتشجيعها، وتدبير الكنيسة، انتقامًا من اليهود وكيدهم المستمر ضدّ النصارىٰ، وردّ فعل لما يقومون به من عداء سافر للنصارىٰ.

– ولما نشطت الصّهيونية، وهي منظمة يهودية سرّية، كان من خبث اليهود أن

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ندوة الشباب الإسلامي ص(٥٧٢)، وانظر: ص(١٧١-١٧٢) من هذا البحث.

(٢) المصدر السابق، وفتوح البلدان للبلاذري: فتح الشام وبيت المقدس.

جذبوا إليها من النّصارىٰ أعضاء ومشجعين للتّستير علىٰ مآربهم وجيلهم، وكانت لهم اغتيالات سرية للشخصيات البارزة عند النصارىٰ، وحرق للكنائس النصرانية، ولما استقرت وانتمىٰ إليها شخصيات مالية وسياسية من الغرب، أقام «هرتزل» اليهوديّ، أول مؤتمر صهيوني عام ١٨٩٧م، لتثبيت مبادئ الصهيونية ومكانتها في الأعمال التي تخدم اليهود سريًّا... وقد نشأ عن هذه المنظمة، فروع سرّية متعددة لأغراض ظاهرة، وأعمال باطنة سرِّية.

- فهم في منظماتهم ونواديهم السرِّية: مثل الماسونية والروتاري، والليونيز، التي انتشرت في بلاد الغرب: أوربا والأمريكيتين وأستراليا أولًا، ثم بدأ يتّسع نشاطهم بفتح فروع في بعض البلدان العربية وغيرها.

- نراهم يحرصون علىٰ تنويع النشاطات، ومنها الخيرية حتىٰ لا ينكشف أمرهم، وكلما ظهر للناس معرفة بالمهمة الأساسية لكل نادٍ، عمّوا الأمر بتأسيس غيره بهدف جديد، يغاير الهدف الذي تراءىٰ لهم انكشاف بعض أسراره.

- هذه المنظمات والنوادي هي التي جعلها اليهود أوكارًا تبثّ آراءهم وأفكارهم المغايرة لمن يتعاملون معهم، فإن كانوا مسلمين جاءوهم بأسماء جديدة تعني التطور والديموقراطية وحرية المرأة وحقوقها، التي تنقض عرىٰ الإسلام واحدة بعد الأخرىٰ بمعسول القول، لدىٰ من اقتنع بفكرهم ليخدمهم في بيئته ومع أمّته، ويعينونه إعلاميًّا وتشجيعًا وماليًّا، ولا ينجذب إليهم إلا من كان جاهلًا، ويدبرون بهذه المنظمات السرّية الاضطرابات والمؤامرات، وإن كانوا نصارىٰ دخلوا عليهم من جانب الناحية الدينية، وما جاء في التوراة وربطها بأناجيلهم، معتبرين ما في العهد القديم مقدمًا علىٰ العهد الجديد، وناسخًا لما في أناجيلهم من تشريع، فيميل معهم الجاهل، كما حصل في

البروتستانتية التي هي من ابتكار اليهود، لتكون ضد الكاثوليكية التي يراها اليهود متعصبة... وهذا من خبث اليهود لإفساد ديانة النصارىٰ علىٰ أهلها، ثم أخرجوا لهم البروتستانتية الجديدة.

وأذكر بالمناسبة في إحدىٰ الرحلات لأميركا أننا كنا نسير علىٰ طريق سريع يخترق مجموعة من المدن والقرىٰ، حيث يمرّ من وسطها، وفي إحدىٰ المدن الصغيرة لفت أنظارنا أن مجموعة من العجائز والنساء قد أخرجن أثاث منازلهن عند الأبواب، وقمن بمظاهرة صغيرة، ومن حب الاستطلاع أوقف السائق - وهو طالب في أميركا - السيارة جانبًا، وترجّل ليعرف السرّ، وليأتينا بالخبر، وبعد أن عاد قال: إن هذه البلدة كل سكانها كاثوليك، سكنت عندهم عائلة بروتستانتية، وما عملته العجائز والنساء ما هو إلّا احتجاج حتىٰ ترحل عنهم هذه العائلة، أو يهدّدن بالانتقال كلّية من هذه البلدة.

- بعد إقامة «هرتزل» مؤتمره السابق سعىٰ في أمر أكثر المهتمين به يهود، بعدما اعتقد نجاح المؤتمر، وذلك بأن جمع دهاة اليهود، وذوي الرأي فيهم، وصدر عن ذلك الاجتماع أخطر قرار تاريخي لليهود، ألا وهو: كتاب يحمل أفكار اليهود ونواياهم بالنصارىٰ أولًا، ثم ببقية شعوب العالم، هذا الكتاب هو: «بروتوكولات حكماء صهيون»... فأحدث ردود فعل وضجة كبرىٰ في أوربا كلها، حيث بانت نواياهم في قراراتهم هذه، برغبة اليهود في حكم العالم كله، وبنيتهم السيطرة علىٰ مقاليد الأمور في العالم وفي مقدمتها: المال الإعلام، وتدبير الاغتيالات لمن يناوئهم، وبث الرعب والعنف في كل مكان، حتىٰ تصفو الأمور تحت سلطتهم، ويدير الأمور ملكهم الذي يتوجونه، ومعه مستشاروه السريون.

فهم يريدون إفساد العالم بأساليب شتىٰ: أخلاقية وفكرية، وفوضىٰ سياسية، حيث

يرون هذا أهم عامل للسيطرة علىٰ مقاليد الأمور، ولا يتحقق لهم هذا إلا بأساليب متنوعة من الإرهاب والرعب وتضليل الأفكار، وصرف الأنظار عن نواياهم.

ولم يغفلوا جانب السرية في منظماتهم التي يرون توسيع فروعها في بلدان العالم لتقوم بدور التجسس وجمع المعلومات في كل بلد، وجعلوا من شعار الليونز، وهي من إحدىٰ المنظمات السرية المنبثقة من الماسونية، وشعارها: «الدين لله والوطن للجميع»، وهذا الشعار تبنته القيصرية الروسية لامتصاص غضبتهم ضد اليهود، فكان هذا الشعار عندما خرج في روسيا «دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله». وقد ألف كثير من مؤلفي الغرب كتبًا في خطر اليهود علىٰ النصارىٰ، وأساليبهم في تنفيذ ما يريدون، هذه الكتب كثيرة، وفيها وقائع وحقائق تهم الباحثين والمهتمين.

- أما الماسونية: فهي سيف مسلط علىٰ رقاب الأعضاء، وهم في الغالب من كبار الشخصيات في العالم، ومراتبها (٣٣) ثلاث وثلاثون مرتبة، كما ذكرها الدكتور محمد الزعبي في كتابه: حقيقة الماسونية، وبين كيفية الإرهاب في التنقل من مرتبة إلىٰ مرتبة، وما يسلط علىٰ كل فرد من أساليب تخوفه إذا لم يطع من هو أكبر منه مرتبة طاعة عمياء، وإلا فإن السيف والرمح اللذان يهددانه عند القسم: إن كان مسلمًا فعلىٰ نسخة من القرآن، وإن كان مسيحيًّا فعلىٰ الصليب، وإن كان يهوديًّا فعلىٰ نجمة داود، وإن كان بوذيًّا أو هندوسيًّا أو غيرهما، فعلىٰ ما يقدس في ديانته، يخوفونهم بهذا كعقاب من حيث لا يدرون من نفذه فيه.

وإن أي عدم التزام يخبرونه عنه بأنه إذا توانىٰ فإنه يفقد حياته، ولا يدري من يفعل ذلك به، ولا متىٰ، ولا أين؟ كما أنه لا يدري عمن هو أكبر منه درجة في الماسونية إلا بالرموز والإشارات.

إنها أساليب إرهابية، حتىٰ يكون طوعًا لهم، يدرك أسلوبها من قرأ ما كتب عن الماسونية، وخاصة كتاب الدكتور الزعبي، الذي كاد أن يكون ضحية لهم - لو لا أن الله سلم -، وذلك بعدما خرج من الماسونية التي أدرك أن الدرجات الكبرىٰ لا تمنح إلا لأناس لا ينظر إليهم في المجتمع؛ لأنهم أصحاب أعمال ووظائف دونية جدًّا، ولا يلفتون النظر، حتىٰ يندسوا في كل مجتمع، وفي الأسواق ومع العامة، ليعرفوا دقائق ما يدور في المجتمع، ويخبروا من وراءهم بهذا... ومن ثم يزودونهم بما يجب إبلاغه لزيد أو عبيد، وهم من المسئولين في ديارهم، ويديرون دفة الأمور في مواطنيهم.

وفي حفلات الكوكتيل وخاصة الدبلوماسية يندسون بينهم، ومنهم من يكون خادمًا في هذا الحفل، وكل مرتبة لها رمز يختص بإدراكها العارفون؛ ليتعارفوا في مثل هذه الحفلات أو النوادي، حيث يلقي حسب المرتبة الكبيرة ما لديه من تعليمات علىٰ صاحب المرتبة الأدنىٰ في مراتب الماسونية، لكنه في العمل الرئيس له مركزه ونفوذه فيما يخدم الماسون، الذي لا يحيد عما يلقىٰ إليه.

هذا نموذج من نماذج اليهود الكثيرة، وهي إرهابية وشديدة التعصب للعمل اليهودي الخفي، حتىٰ سمّاهم بعضهم: بالحكومة الخفية، وذلك من أجل تحقيق هدفهم بالسيطرة علىٰ العالم: فكرًا وعملًا وتعاطفًا، وخاصة كبار الشخصيات والمثقفين في العالم، كفىٰ الله شرهم، وهي أساليب دقيقة ومنظمة وسرية ملتوية إمعانًا في الخفاء.

- وقد صدر عن المجمع الفقهي في مكة المكرمة - في دورته الأولىٰ بتاريخ ١٠ رمضان ١٣٩٨هـ - قرار بين فيه أن مبادئ حركات الماسونية والليونز والروتاري تتناقض كليًّا مع مبادئ وقواعد الإسلام.

- كما أن مجمع الكنائس في الفاتيكان قد أصدر قرارات عديدة منها ما هو بصالح

اليهود، حسب نفوذهم في داخل المجمع وعند البابا في الفاتيكان، ومنها ما هو ليس بصالحهم.

- ولما كان النصارىٰ قد أعلنوا من قديم مطالبتهم بدم المسيح عيسىٰ عليه السلام لأنهم صدقوا ما صدقه اليهود، بأنهم قتلوا المسيح، فأكذبهم الله جميعًا في هذا الاعتقاد اليهود والنصارىٰ بأن اليهود ما قتلوه وما صلبوه، ولكن شبه لهم.

- ثم في السنين الأخيرة أصدر الفاتيكان براءة اليهود من دم المسيح، فخف العداء بين الطرفين، واستغل هذا اليهود بخبثهم في المجتمع النصراني، وسعوا جاهدين ليفسدوه من داخله من حيث لا يشعرون، وقد فطن كثير من المفكرين النصارىٰ وعقلائهم لهذه المكيدة، ونبهوا بني جنسهم، كما عمل الرئيس الأمريكي: فرانكلين بنيامين، والزعيم الروحي الأمريكي: مارتن لوثر، وغيرهما كالرئيس كندي، كما ألف كثير من مفكري النصارىٰ في أوربا خاصة، وبأمريكا عامة، عن خطر اليهود ودسائسهم والتحذير منهم.

وإرهاب اليهود يلاحق كل من يتعرض لهم ولأعمالهم كشفًا أو انتقادًا، حيث تعمل أياديهم الخفية الملوثة، كما حصل في قضية (أزولد) وتلبيس عمله المخطط له حبكًا وإحكامًا الشاب الفلسطيني (بشارة سرحان)، فصار «اللوبي الصهيوني» في أمريكا وأوربا دور كبير في الإرهاب وتجسيم من يعترض مصالح اليهود، أو يمس دولتهم إسرائيل.

هذا اللوبي الذي يسيطر بأساليبه علىٰ كثير من مقاليد الأمور في أمريكا خاصة، وفي غيرها بصفة عامة، عن طريق تغيير مجريات الأمور لما يخدم الكيان اليهودي الصهيوني: إما بالوعد والوعيد، أو بالتهديد والرشوة، أو غير هذا من أمور، حيث إن الوسيلة

عندهم تبرر الغاية، ولكل حالة ما يلائمها.

- ومن أساليب اليهود الإرهابية سيطرتهم علىٰ الأعمال السحرية، واستخدامهم السحر بأسماء متنوعة: كالطب أو تحضير الأرواح أو التنويم المغناطيسي أو الألعاب السحرية أو التنجيم أو البخت، أو غير هذا من أساليب عديدة تدور في نفس الفلك.

- حتىٰ إن صحيفة غربية كتبت قبل سنوات موضحة أن المستشارين اليهود الذين يتعاطون السحر قد اتسع نطاقهم لدىٰ المسئولين الغربيين وقرّبوهم.

وأذكر بهذه المناسبة أنني كنت عائدًا من أمريكا في شهر يناير منذ أكثر من عشر سنوات، وقد جعلت مسير الرحلة عن طريق المملكة المغربية؛ لأن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ حملني رسالة للشيخ الدكتور: تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ، فكان عندي متّسع من الوقت زرت فيه مدينة مراكش التاريخية الصحراوية الموقع، وهي صغيرة الحجم، ومررت عند مدخل القصبة بفندق فيه مؤتمر وحركة دائبة، فساقني الفضول إلىٰ أخذ مطبوعات هذا المؤتمر، فإذا بحوثه عن السحر والسحرة وإنجازاتهم وأخبارهم، ومقابلات صحفية في نشرة المؤتمر عن شخصيات مرموقة حضرت هذا المؤتمر من أنحاء العالم، فساءني منه ما أشادوا فيه بجهود كبار اليهود، وتشجيعهم لهذا المؤتمر ماليًّا ومعنويًّا، حيث يقام في كل عام في مطلع السنة الجديدة كما جاء بنشرتهم.

تذكرت في هذا الميدان ما توسع فيه الشيخ: جلال السيوطي في تفسيره: الفرقان، وما ذكر عندما مر بآية السحر: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾[1].

وما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ في ربطه تفسير هذه الآية بين السحر واليهود الذين لهم صولة

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٠٢)، وتفسير السيوطي لها، وتفسير ابن كثير أيضًا: (١/ ١١٩ – ١٣١).

وجولة قديمًا وحديثًا، وشر اليهود في هذا المجال واضح قديمًا وحديثًا.

وهذا اللون لا تنمو شجرته، ويكثر العاملون فيه والمؤثرون، إلا عندما يضعف الوازع الإيماني من القلوب، واليهود بأعمالهم لا إيمان عندهم، إلا من هداه الله للإسلام، وما أكثرهم بحمد الله، عندما يستيقظ الوعي في قلوبهم، وترقّ لذكر الله وما نزل من الحق أفئدتهم.

وقرار الثأر المشهور يبرز أثر اليهود في الحقد علىٰ النصارىٰ وإرهابهم، هذا القرار الذي اتخذه اليهود قاعدة ضد أسبانيا والبرتغال، يقول شوقي عبد الناصر في ترجمته لكتاب بروتوكولات حكماء صهيون: لا إنكار لصحة وحجّية قرار عام ١٤٩٢م، حينما قيل: إن شيمو حاخام أسبانيا الأكبر، كتب لحاخام القسطنطينية الأكبر، يسأله النصح حين يتعرض شعبه لخطر صدور قانون بطردهم أو اضطهادهم، وقد قيل: إن هذا الرد الانتقامي قد وجد في أرشيف «توليدو» بأسبانيا، وهذا نصه:

قرار الثأر:

يا أبناء موسىٰ الأعزاء، لقد تسلمنا خطابكم، إن نصيحة الحاخامات والأحبار هي ما يأتي:

١- فيما يتعلق بما تقولونه من أن ملك أسبانيا يضطرّكم إلىٰ اعتناق المسيحية، افعلوا ذلك ما دمتم لا تستطيعون أن تفعلوا شيئًا آخر.

٢- فيما يتعلق بتجريدكم من أملاككم، اجعلوا أولادكم تجارًا، حتىٰ يجردوا المسيحيين من أملاكهم، شيئًا فشيئًا.

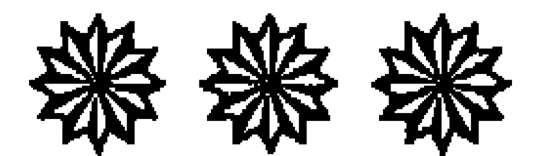
٣- فيما يتعلق بمحاولة قتلكم، اجعلوا أولادكم أطباء وصيادلة، لعلهم يقتلون المسيحيين.

٤-فيما يتعلق بهدم معابدكم، اجعلوا أبناءكم كهنة وإكليريكيين لعلهم يهدمون كنائسهم.

٥-فيما يتعلق بالمضايقات الكثيرة الأخرىٰ التي تشكون منها، رتّبوا أموركم بحيث يصبح أبناؤكم محامين، واعملوا علىٰ أن يتصلوا بشئون الدولة، ويتولوا مناصبها دائمًا، وبوضعكم المسيحيين تحت حكمكم قد تحكمون العالم وتنتقمون منهم.

٦-لا تنحرفوا عن هذا النظام الذي نعطيه لكم؛ لأنكم ستجدون بالتجربة أنكم علىٰ الرغم مما أنتم فيه من مهانة، فستصلون إلىٰ «القوة الحقيقية»[١].

فهل يدرك النصارىٰ هذا المخطط الإرهابي؟، وما يدفع اليهود إلىٰ التحكم في مصالح النصارىٰ ومصائرهم؛ لأنهم أهل غدر ولا وفاء عندهم.



(١) بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود، ترجمة شوقي عبد الناصر ص (٢١٠).

١٢- ماذا أفرز العداء؟

إن من إفرازات إرهاب اليهود للنصارىٰ أن اليهود لمّا كانوا لا يبرزون رؤوسهم في أي أمر علانية؛ لجبنهم، ولِمَا ضرب الله عليهم من الذلّة والمسكنة وما باءوه به من غضب الله، فإنهم يبتكرون بمكرهم وإرهابهم أشياء مثل:

- التبرئة من دم المسيح: ليحققوا نصرًا يمتصّون به غضب النصارىٰ.
- وإيجاد **شعار باسم**: عداء السامية، مع أنهم ليسوا وحدهم الساميين.
- **وإبراز حركة باسم**: التدبيرية.
- وغير هذا من الأسماء والشعارات التي تبرز بين حين وآخر.
- وتعني هذه الحركة القناعة بأن الله قد دبّر هذا الكون، ودبر ما فيه، وأن الأمور ماضية وفق هذا التدبير، ومن هذا التدبير معركة «هرمجدون»[1]، التي ابتكرها اليهود ضمن أكاذيبهم؛ لتكون ضد ما ورد عن رسول الله ﷺ في نزول عيسىٰ عليه السلام، وفي قتال اليهود في فلسطين وإبادتهم، ليسيطروا علىٰ عقول النصارىٰ، وقلبوا الأمور لصالحهم بأن قالوا: إن هذه المعركة ستكون فاصلة بين اليهود وأنصارهم «وهم النصارىٰ»، وبين أعدائهم وحلفائهم وهم المسلمون، وأنها ستنتهي بإبادة أغلب من علىٰ وجه الأرض، ويقدر حاليًّا المنتمون إلىٰ هذه الحركة المتأثرون بفكر وضلالات اليهود - حيث جذبوهم إلىٰ صفهم - أكثر من ١٠٠ مليون، وكلهم من «البروتستانت» الجدد، نصفهم في أمريكا.

ويرون بهذا الفكر «التدبيري» أن المخلص - ولم يسموه المسيح لأن عداوتهم له

---

(١) موقع في فلسطين.

باقية مهما برئوا من دمه - ينزل فيقتل الأشرار وهم المسلمون، وينصر الدين وأهله، ويعنون بهم اليهود والمتحالفون معهم من النصارىٰ «البروتستانت»، وهذه حركة صهيونية، وفكر صهيوني من ابتكارات اليهود، فتغلغلت هذه الأفكار بين النصارىٰ لجهلهم - كما وصفهم الله سبحانه في الفاتحة - وخاصة «البروتستانت» في أمريكا، حيث انساقوا لما يمليه اليهود من فكر كاذب ضال، وكما هي عادتهم في الكذب علىٰ الله وعلىٰ رسله، فإنهم يتمادون في الكذب؛ ليجعلوا أنفسهم علىٰ حق وغيرهم علىٰ الباطل، ولو كان من عند الله.

وقد أوجد ذلك العمل مفكرو اليهود؛ ليخدم غاياتهم، ونكاية بالكاثوليك الذين لم تهدأ عداوتهم لليهود حتىٰ الآن، ولم يركنوا إلىٰ اليهود للعداوة السابقة الأصيلة منذ فكروا في قتل المسيح عيسي بن مريم عليه السلام، وسعوا في ذلك وقتلوا وصلبوا شبيهه، كما أخبر الله سبحانه عن هذه الحالة في القرآن الكريم. مع أن الكاثوليك يؤمنون بأنهم قتلوه وصلبوه، حسب ادعائهم، وما نقل عن اليهود بأنهم قتلوه وصلبوه، والقرآن الكريم أكذب الجميع.

وقد تأثر «مارتن لوثر» الأمريكي في حركته التصحيحية بتلك الفكرة كما يسمونها - ولكنها خاطئة مبنية علىٰ ما يريده اليهود في البروتستانتية التي ابتدعوها تجديدًا في الدين والمعتقد النصراني.

وهذه «البروتستانتية» هي المطية التي دخل بموجبها اليهود الكنيسة المسيحية لترسيخ قاعدة أساسية أصبحت راسخة فيما بعد: بأن الشرط في عودة المسيح ونزوله إلىٰ الأرض هو: قيام دولة إسرائيل.

وهكذا نراهم يخلطون ما له أساس من الصحة - كما جاء في كتب أهل الكتاب،

وصدّقه القرآن الكريم - بما يدور في خلد اليهود ويحقق مآربهم حسب أحلامهم وأمنياتهم وأطماعهم.

لقد تأسست الحركة «التدبيرية» وتأصلت بين النصارىٰ منذ قرنين من الزمان تقريبًا، وجعل اليهود في أسس هذه الحركة وفكرها أن أساس الأديان وأولها: اليهودية، فاهتم المفكر الأمريكي: «مارتن لوثر» بعد تبني هذا الفكر بإعادة الاعتبار لليهود والتوراة؛ لتأثير اليهود المحيطين به بفكرهم بعد قناعته بما جاء في هذه الحركة.

وقد نمت هذه الحركة منذ سبعين سنة، وصارت تكبر تدريجيًّا بين الزعماء الأمريكيين، فصارت تسيطر علىٰ أفكار قادتها.

ولا يجب أن ينسىٰ المتابع أن وراء ذلك أمور، منها: رشاوىٰ اليهود، وأصواتهم الانتخابية، وتهديداتهم، وإعلامهم المتغلغل في أذهان الأمريكان وسيطرته، فكانوا إرهابًا فوق الإرهاب، وهناك عامل آخر بثّه «البروتستانت»: وهو اعتقادهم أن الإنجيل ناقص، وأن التوراة هي التي تمده وتعطيه أسسه، فيكون تكملة للتوراة، ولذا يجب أن تكون التوراة جزءًا من عقيدة المسيحي ودينه؛ ليكون المسيحيون تبعًا لليهود في القيادة الفكرية والدينية.

ولهذه الحركة جذور يهودية، من تسلط اليهود علىٰ الكنيسة وعدائهم مع النصارىٰ، حيث هزمت من قبل اليهود منذ القرن السادس عشر عندما عصىٰ ملوك أوربا أمر الكنيسة في تحريم الربا، ولأن اليهود الذين لعنهم الله في كتابه هم المرابون، فقد وجد ملوك أوربا في إقراض اليهود بواسطة أول بنوك أسست في أوربا - «بنوك أسرة روتشلد اليهودية» - ما يعينهم علىٰ إدارة دولهم وتمويل نفقاتهم وحروبهم، حيث إنه من ذلك الوقت: تغيّر العداء إلىٰ ولاء لليهود أصحاب رؤوس الأموال، ونلخص آثار

العداء بين اليهود والنصارىٰ السابق لهذه المودة التي تأثر بفكرها «مارتن لوثر» في بعض النقاط بإيجاز:

١-كان النصارىٰ كما مر بنا يكرهون اليهود ويبغضونهم، ويضطهدونهم طوال القرون الماضية، حيث ينظرون إليهم علىٰ أنهم قتلة المسيح: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾(١).

٢-كان النصارىٰ يرون اليهود من أشد الأمم التي قامت بتعذيب واضطهاد تلاميذ المسيح عليه الصلاة والسلام والنصارىٰ الأوائل، وأنهم ممن يثير الفتن ويرهب القساوسة، ويدنس معابد النصارىٰ ويحرقها في أنحاء العالم.

٣-بعد انتصار القشتاليين النصارىٰ علىٰ دول الطوائف في الأندلس، واسترجاعهم الأندلس من المسلمين في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، بانت لهم خفايا من اليهود، فطردوهم وطردوا المسلمين، وأقام الأسبان محاكم التفتيش لليهود المستترين نفاقًا ومداهنة باسم النصارىٰ، فكشفوهم في سنوات طويلة حتىٰ أخلوا أسبانيا منهم بعد طردهم بقوة.

٤-وإبان الحروب الصليبية بين المسلمين والنصارىٰ كان العداء بين اليهود والنصارىٰ علىٰ أشدّه لخياناتهم ورغبتهم الإضرار بالنصارىٰ، وعبر عن ذلك المحاربون الصليبيون بمذابح لليهود وهم في طريقهم إلىٰ فلسطين... وامتد هذا الأثر حتىٰ انتهت بأعمال (هتلر) زعيم ألمانيا النازية ضد اليهود، ورأيه فيهم، ورأي كثير من المفكرين الغربيين أيضًا.

٥-أما بريطانيا التي ناصرتهم في تثبيتهم في فلسطين كما هو وعد بلفور، فإنها تضمر لليهود الحقد والعداوة بسبب إرهابهم، وقد طردتهم من بريطانيا، ومنعتهم من دخول

---

(١) سورة النساء، الآية (١٥٧).

بريطانيا مدة ثلاثة قرون، بدءًا من أول القرن الثالث عشر وما وعد «بلفور» لهم بالهجرة إلىٰ فلسطين إلا من أجل التخلص منهم، وليجعلوهم شوكة في نحور المسلمين.

٦- وحذت فرنسا حذو بريطانيا، حيث أدركت مكائدهم وخياناتهم وإرهابهم الخفي للشعب الفرنسي وخاصة رجال الكنيسة، والإضرار بهم، فاضطر لويس التاسع عشر إلىٰ طردهم من بلاده، وإحراق تلمودهم، وقال كلمته المشهورة، التي تمثل بها القائد الفرنسي: (نابليون بونابرت) حين قال: أفضل حجة مع اليهودي أن تغرز خنجرك في معدته[١].

- فهي سجية في نفوسهم، وطبائع تمكنت من قلوبهم: الحقد والحسد والعداوة والإرهاب، كلما وجدوا مجالًا لذلك، مع سعيهم في الفساد والإفساد كما بين الله في كتابه الكريم عنهم من صفات متأصلة فيهم، وينمونها في أعقابهم جيلًا بعد جيل.

يقول الله سبحانه في أول سورة الإسراء: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾[٢].

وللمفسرين رحمهم الله آراء عدة في من سلطه الله عليهم في المرّتين كلّما عصوا الله، وسعوا في الأرض فسادًا، وأثاروا الفتن[٣].

---

(١) يراجع في هذا صحيفة النور المغربية، العدد (٤٣٩) رجب عام ١٤٢٥هـ ملف العدد ص (٩ - ١٤).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٤ - ٧).

(٣) يراجع في هذا تفسير ابن الجوزي، زاد المسير جـ(٥)، وتفسير ابن كثير وتفسير السيوطي في تفسير الآيات هذه.

ذلك أن طبائع اليهود التي جبلت عليها نفوسهم، وما وقع عليهم من غضب الله ولعنته، أنهم ما قدروا إلّا وظلموا، وما تنفّذوا إلا وأفسدوا، وما اغتنوا إلّا ورابوا، كما قيل عنهم قديمًا وحديثًا، ﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة النساء، الآية: (٥٢).

١٣- الرابطة بين اليهود والمنافقين

لم يكن بين اليهود والعرب في الجزيرة ارتباط ولا تعامل، إلا بعدما انتقل اليهود لبعض المدن: المدينة «يثرب» وخيبر ونجران، وذلك طمعًا منهم بأن يكون آخر نبي منهم، وهو الذي يجدون صفته ومكانته، وصفة البلدة التي يهاجر إليها ذات نخل وحرار. فجاءوا الجزيرة العربية لهذا الغرض، وتلمسًا لما يتوقعونه مكان هجرته وبلده.

فلما بعث الله محمدًا عليه الصلاة والسلام، وتحقق لهم أنه عربي هاشمي قرشي، لم يكن منهم إلا أن ناصبوه العداء، وحرضوا عليه أهل مكة والمنافقين في المدينة والعرب قاطبة، وعندما هاجر عليه الصلاة والسلام إلىٰ المدينة زادت عداوتهم، ووجد اليهود من ناصرهم في العداوة للرسالة ولرسول الله ﷺ، من قبل المشركين عباد الأصنام، والمنافقين وسماهم الله إخوانهم؛ لأن أخوتهم تتمثل في إظهار المودة فيما بينهم، وإبطان العداوة لمحمد ﷺ والرسالة التي جاء بها من عند ربه جل وعلا.

ومن التعريف لكل منهما حسب نظرته لدين الله ولرسوله ﷺ تتضح الرابطة بينهما:

وقد بين الله في كتابه الكريم حال كل من المنافقين واليهود... عملًا في الدنيا وجزاء في الآخرة.

أولًا: من حيث التعريف: فالمنافق هو: من يظهر الإسلام ويبطن الكفر... قال ابن منظور: والنفاق الدخول في الإسلام من وجه، والخروج عنه من وجه آخر مشتق من نافقاء اليربوع... وقد نافق منافقة ونفاقًا، وقد تكرر في الحديث ذكر النفاق وما تصرف منه: اسمًا وفعلًا، وهو اسم إسلاميٌّ لم تعرفه العرب بالمعنىٰ المخصوص به، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه.

والمنافق إنما سمي منافقًا؛ لأنه نافق كاليربوع، وهو دخوله نافقاه، وله جحر آخر يقال له: القاصعاء، فإذا طلب قصع فخرج من القاصعاء، فيقال: هكذا يفعل المنافق، يدخل في الإسلام، ثم يخرج من غير الوجه الذي دخل فيه[(١)].

والمنافقون يطلق عليهم: الباطنية؛ لإخفائهم في صدورهم وبطونهم، ما لا يظهرونه بألسنتهم وأعمالهم في مجال العقيدة والإيمان.

وأما اليهود: فهو عَلَمٌ علىٰ القبيلة، والأصل فيها: يهوذ، فعرب بقلب الذَّال دالًا، وقالوا: اليهود. فأدخلوا الألف واللام فيها علىٰ إرادة النسب يريدون اليهوديين، قال ابن الأعرابي: هاد إذا رجع من خير إلىٰ شر، أو من شرٍّ إلىٰ خير، وأنشد قول علي بن سليمان النَّحوي:

فَـرَّت يهـود وأسـلمت جيرانهـا ... صَـمِّي لمـا فعلـت يهـود صـمام

قال يعقوب: معنىٰ صمي اخرسي يا داهية، وصَمام: اسم الداهية عَلم مثل قطام، ومنهم من قال الضمير في صمي يعود علىٰ الأذن؛ أي: صمي يا أذن لما فعلت يهود من الكفر[(٢)].

ومن باب المقارنة نورد الصفات والطبائع التالية باختصار:

١ - المنافقون فضحتهم سورة التوبة، وبيّنتْ نوايا قلوبهم، وأنبأت عنهم بأفعالهم من مثل هذه الدلالة: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾[(٣)]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾[(٤)]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٤/ ٢٤٣ - ٢٤٤).

(٢) لسان العرب لابن منظور (١٥/ ١٥٦).

(٣) سورة التوبة، الآية (٤٩).

(٤) سورة التوبة، الآية (٦١).

رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾(١).

وفي آيات كثيرة يذكرهم جل وعلا بصفات عرفوا بها، وطبائع تأصلت في نفوسهم تباعدهم عن دين الله وعن اتباع رسول الله إلىٰ الناس كافة، حتىٰ سماها بعض العلماء: الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين بصفاتهم، وعرتهم بعيوبهم... دون ذكرهم كأشخاص، تنزيهًا لله سبحانه ولكتابه الكريم عن ذلك.

٢- واليهود بحجاجهم وجدالهم وتعاليهم عن قبول الحق يأتي ذكرهم في القرآن الكريم إما بالضمير؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ﴾(٢).

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٣).

وجاءت صفاتهم ونعوتهم في آيات كثيرة من كتاب الله؛ منها ما جاء في سورة البقرة، وفي سورة آل عمران، وفي سورة المائدة وغيرها... ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾(٤).

٣- المنافقون يأتي ذكرهم في كتاب الله ، مقرونًا ببيان مخادعتهم وكذبهم، وبعدائهم لدين الله ، وبغضهم لنبي الله ﷺ. حتىٰ يعرفهم الناس، ويحذروهم، **ويقول سبحانه في سورة النساء:** ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ

---

(١) سورة التوبة، الآية (٥٨).

(٢) سورة المائدة، الآية (٤٩).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٧٧).

(٤) سورة النساء، الآية (١٤٢).

﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[(١)].

٤ - واليهود يأتي ذكرهم في كتاب الله مقرونًا بدلالة أنهم أهل كتاب منزل من عند الله، ولكنهم عاندوا وكابروا، وعصوا الله عن علم ومعرفة، يقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾[(٢)].

٥ - المنافقون حاولوا قتل رسول الله ﷺ في مؤامرة خططوا لها، عندما يمر بمضيق في جبل، وأحكموا أمرهم بخفاء ولثام علىٰ وجوه من سيقومون بالعملية النكراء، وذلك في طريق عودة رسول الله ﷺ من غزوة تبوك[(٣)]، وجاءت إشارة في كتاب الله دون تصريح، وبانت المؤامرة في كتب التاريخ بالتفصيل.

٦ - واليهود في إصرارهم علىٰ قتل عيسىٰ عليه الصلاة والسلام بعد أن قتلوا ما شاء الله من أنبياء الله الذين بعثهم الله إليهم لينيروا لهم طريق الفلاح والهداية، ولكن شقاوة نفوسهم تأبىٰ عليهم إلا أن يلاحقوا خير البشر وهم الأنبياء ليقتلوهم، كما قال رسول الله ﷺ: «**شر الناس من قتل نبيًّا أو قتله نبي**»، بل إن اليهود لمَا جاءهم رسول الله يناقشهم في إخلالهم العهد ومعاهدتهم للأحزاب، دَبروا حيلة لقتله عليه الصلاة والسلام، وذلك برمي حجر كبير عليه وهو تحت جدار لهم، فجاءه الوحي بخبرهم[(٤)].

٧ - المنافقون حملوا راية الفتنة والرغبة في الإساءة إلىٰ بيت النبوة في قصة الإفك في عائشة رضي الله عنها، واتِّهامها برجل من فضلاء الصحابة، ممن ليس له إرب في النساء، ولا

---

(١) سورة النساء، الآية: (١٤٢).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٤٦).

(٣) تراجع غزوة تبوك عند ابن هشام.

(٤) يراجع ابن هشام في ذلك.

رغبة في التطلع إليهنّ وهو صفوان بن المعطَّل. كما وضّحت ذلك آيات من سورة النور في آيات الإفك، وما توسَّع فيه المفسرون توضيحًا مقرونًا بالشواهد.

٨ - واليهود آذوا مريم العذراء عليها السلام ورموها بالفاحشة؛ لأن الله أكرمها بأن ولدت عيسىٰ عليه السلام بمعجزة من الله سبحانه بعد أن نفخ جبريل عليه السلام في فرجها، فحملت بعيسىٰ عليه الصلاة والسلام، فأقام اليهود البهتان والفتنة، ليسيئوا إلىٰ بيت النبوة بما تصف الألسن، ووضعوا عيوبًا في أطهر بيوت بني إسرائيل، رغبة في الإساءة والإضرار.

٩ - تأتي آيات كريمات فيها فضائح لأعمال وتصرفات المنافقين، ليبين الله جلت قدرته جزاءهم في الآخرة بالعذاب الأليم، والعذاب العظيم والنار والخلود فيها، والبشارة بالمصير الذي أوردتهم إياه أعمالهم وتصرفاتهم وكذبهم، يقول سبحانه: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ١٠﴾[1]، والمرض هو مرض النفاق.

١٠ - واليهود لعنادهم ومعصيتهم الله سبحانه علىٰ بصيرة ومكابرة، فإنهم، يتجاوزون الحد، ويكذبون علىٰ الله، ويقتلون كل من خالفهم في باطلهم، في محاولة لطمس نور الله بأفواههم، يبَين الله ذلك في آيات كثيرة، منها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١﴾[2].

في الآيتين لم يذكر الله سبحانه اسم المنافقين أو اليهود بالنَّص، وإنما ذكروا بصفات متأصِّلة فيهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٢١).

وكل من المنافقين واليهود كان جزاؤهم (العذاب الأليم)، فاتفقا في الصفة، وفي الجزاء عند الله سبحانه يوم المعاد، وهذا الجزاء يتلاءم شدة مع أعمالهم السيئة فكان موحدًا وملائمًا للإصرار ضد الحق، وضد ما يصادم شرع الله.

١١ - والمنافقون قد نهىٰ الله رسوله ﷺ أن يطيعهم، أو أن يميل إلىٰ ما يريدون؛ لأن رغبتهم هذه تخالف الحق الذي هو من عند الله؛ لأنهم يريدون أن يضلُّوه عن سبيل الله، سواء جاءوا بشبهتهم صريحة، أو حاولوا إيذاء الرسول ﷺ حتىٰ يركن إليهم، يقول سبحانه بشأن المنافقين الذين اتّفقت طباعهم ومطالبهم مع الكافرين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾[1]، فهم يتفقون مع اليهود بالكذب وحسد رسول الله والمؤمنين علىٰ النبوة والهداية.

١٢ - واليهود وهم أهل الكذب والبهتان والمعاندة وطرح الشبهات لن يرضوا عن رسول الله ﷺ حتىٰ يَتبع ملتهم؛ ليتساوىٰ معهم في الإثم والعدوان، كما قال سبحانه: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾[2].

ويحذِّر الله الفئة المؤمنة بالله وبرسوله ﷺ من طاعة فئة من أهل الكتاب، وهم أهل الكفر والضلال من اليهود، الذين كانوا يزينون للمشركين، ويصفون الشبهات والتلبيس؛ لأنهم لا يضمرون لهم إلا الشَّر، فيقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ

---

(١) سورة الأحزاب، الآيات (٤٥: ٤٨).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٢٠).

فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾[1].

١٣ - المنافقون بأعمالهم الخبيثة وإضمارهم الشَّر في مؤامرة ضد دين الله الحقّ استحقوا غضب الله ولعنته، فكان جزاؤهم هذا وعيد من الله بأربعة جزاءات، كل واحد أشد من الآخر، حيث قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾[2].

١٤ - واليهود اتفقوا مع المنافقين في خصال عديدة، يبغضها الله سبحانه، ولذلك استحقوا لعنة الله وغضبه عليهم في آيات كثيرة من كتاب الله، مما يُبيِّن شناعة أعمالهم، وخبث نواياهم، وفساد ما تضمره قلوبهم، ومن ذلك قول الله سبحانه: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾[3].

ولم تلعن فئة من البشر أو أمة من الأمم بالاسم بمثل ما جاء في كتاب الله سبحانه من لعن صريح لليهود، مقترنًا هذا اللعن في كل حالة بصفة من الصفات التي التصقت بهم: قولًا وعملًا واعتقادًا، فجاء اللعن في القرآن الكريم للمنافقين كذلك؛ لأنهم استقوا من اليهود وتشبهوا بهم، ومن تشبه بقوم فهو منهم...

واللّعن معناه: هو الطرد من رحمة الله، ويقترن بغضب الله، ومن غضب الله عليه فلا ناصر له.

١٥ - ذكر الله المنافقين والمنافقات في كتابه الكريم قرابة الأربعين مرة، كل حالة

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٠٠).

(٢) سورة التوبة، الآية (٦٨).

(٣) سورة المائدة، الآيتان (٧٨، ٧٩).

مقرونة بعمل من أعمالهم الباطنية الباطلة، أو تصرف ضدّ الإسلام ودين الله الحق ومن يدافع عنه، إمَّا بالقول أو بالتدبير أو بالمكر والمخادعة والتناصر في ذلك الباطل مع الكفار واليهود.

فيقرن سبحانه كثيرًا من تلك الأمور بالعقاب الذي ينتظرهم؛ لأن الله سبحانه يمهل ولا يهمل، في مثل هذه الآية الكريمة: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾[1].

قال ابن كثير: أيعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين، بل سيوضحه ويجَليه، حتىٰ يفهمهم ذوو البصائر، وقد أنزل الله سبحانه في ذلك سورة براءة فبَين فضائحهم، وما يعتمدونه من الفعال الدالَّة علىٰ نفاقهم، ولهذا تسمىٰ الفاضحة[2].

والمنافقون موجودون في كل عصر وبكل مجتمع، ممن يميلون مع الأعداء فكرًا ومحبة وتقليدًا، وسعيًا في الإيذاء لأهل الحق، وإعانة لمن يريدون بالمجتمع الآمن شرًّا، وإيقاظًا للفتنة، والإرهاب في البيئة: تكفيرًا لولاة الأمر من حكام وعلماء، وبلبلة في المجتمع وإضرارًا بالدِّين بمعاضدة إخوانهم اليهود.

١٦ - واليهود جاء ذكرهم في كتاب الله فيما يقرب من مائة مرة باسم اليهود، والذين هادوا، وأهل الكتاب، مقترنة إما بالبيان فيما اختلفوا فيه، وإما بصفاتهم وعنادهم، كالكذب وتحريف الكلم، أو بأعمال قاموا بها وحاولوا الكيد لرسول الله ﷺ والمؤمنين معه، أو تدبير المؤامرات وخيانة العهد، وغير ذلك من الصفات، ومن ذلك قوله تعالىٰ:

---

(١) سورة الفتح، الآية (٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٨٠).

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾[1].

١٧ - يعَدد الله جلا وعلا في مطلع سورة البقرة صفات المنافقين، وما يخادعون به الله سبحانه، والمؤمنين، ولكن خداعهم يكشفه الله سبحانه، ويرتدّ عليهم، وهي صفات مستمدة من تلبيس اليهود عليهم، كما بين سبحانه صفات أخرىٰ في سورة سميَت باسمهم «المنافقون».

ومن تلك الآيات قول الله سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾[2].

قال ابن كثير في تفسيره: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ يعني: إذا انصرفوا وذهبوا وخلصوا إلىٰ شياطينهم، وقال السدي عن أبي مالك: خلوا يعني: مضوا، وشياطينهم: سادتهم وكبراؤهم ورؤساؤهم من أحبار اليهود ورؤوس الشرك والمنافقين - رؤساؤهم في الكفر -، وقال ابن عباس: إلىٰ شياطينهم: من يهود الذين يأمرونهم بالتكذيب، وخلاف ما جاء به الرسول ﷺ[3]، وما ذلك إلَّا أن اليهود هم المعلمون لهم أسلوب الكيد، وهم الطارحون أمامهم الشبهات، فوافقت - لجهلهم - هوىٰ النفس، ورغبة في القلب المريض.

١٨ - واليهود يتّخذون آيات الله هزوًا، ويصنعون الشبهات والحيل للمشركين

(١) سورة البقرة، الآية (١٠٩).

(٢) سورة البقرة، الآيتان (١٣، ١٤).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٥١).

والمنافقين، التي بها يكَذبون ما جاء من الحقِّ في مكيدة ليصدوا الناس عن اتِّباع ما جاء به رسول الله حسدًا من عند أنفسهم، واستهزاء بكتاب الله، وسخرية بالمؤمنين، في تلازم بين ما يعمله اليهود، بما يصدر عن المنافقين، حتىٰ يكونوا كتلة واحدة في صفٍّ موحّد ومنتظم ضد الهدىٰ الذي جاء من عند الله بالخير، ليبثُّوا الشَّكَّ عند المؤمنين، فيخبر الله عن هذا الشعور من اليهود بقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾[1].

١٩ - والمنافقون في كل مجتمع، وبأيٍّ زمن من الأزمان، من صفاتهم الفساد والإفساد؛ لأن أعمالهم دائمًا فيها سوء ومكر، قال الإمام مالك: المنافق في عهد رسول ﷺ هو الزنديق اليوم. والفساد هو ضد الصلاح، سواء بأنفسهم وهم لا يشعرون بالمعاصي التي تزَين لهم، أو بأعمالهم السيئة في المجتمع وإضرارهم بمن حولهم من المؤمنين بقدر ما يعملون.

يقول سبحانه في نموذج من صفات المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾[2].

قال ابن كثير في هذه الآية: فالمنافق لَمَّا كان ظاهره الإيمان، اشتبه أمره علىٰ المؤمنين، فكان الفساد من جهة المنافق حاصل؛ لأنه هو الذي غرَّ المؤمنين بقوله الذي لا حقيقة له، ووالىٰ الكافر علىٰ المؤمنين[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان (٧٢، ٧٣).

(٢) سورة البقرة، الآيتان (١١، ١٢).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٥٠).

٢٠ – اليهود الذين هم من أهل الكتاب قد ذمهَم الله بالفساد، وسعيهم في الأرض فسادًا، وفسادهم جاء بأنواع عديدة؛ لأنه من لوازمهم المتأصلة فيهم، وما وسّع الله عليهم إلَّا وغَيروا نعمة الله بالمعاصي والإفساد، كما في أول سورة الإسراء، ذلك أن الله سبحانه يمقت الفساد ولا يحبُّه، ويدعو الفئة المهتدية المؤمنة به سبحانه علىٰ نبذه، لكن عصيان اليهود وطغيانهم يدعوانهم إلىٰ التلذُّذ بالمعاصي والإفساد في الأرض، وسعيهم في الإثم والعدوان وأكلهم السحت، يقول سبحانه عن اليهود: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾[١].

وهكذا لو سرنا مع آي الذكر الحكيم تتبعًا لما يشترك فيه المنافقون مع اليهود من صفات وأعمال، وما يتصدىٰ فيه الطرفان لدين الله وأوليائه سبحانه من أعمال كيدَية، وحيل شيطانية، يريدون من ورائها الوقوف في صفٍّ مترابط، يصدُّ عن الحقِّ، ويقف دون مسيرة الدعوة إلىٰ دين الله، ووحدة الأمة خلف قيادتها، وفق أمر الله سبحانه بطاعة الله وطاعة رسوله وطاعة ولي الأمر، ودون إثارة للشحناء، والبغضاء وفق هذا النصِّ الكريم الذي يخاطب الله فيه المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[٢]. فإننا نجد مع ترابط هاتين الفئتين أن الصفات القديمة هي ذاتها الصفات الحديثة، وأن ما يربط اليهود بالمنافقين والعكس قديمًا: في المحَبة والعمل والسعي في

---

(١) سورة المائدة، الآية (٦٤).

(٢) سورة النساء، الآية (٥٩).

خلخلة الصف ومحَبة إثارة الفتنة هو ما يدور حديثًا، وصدق الله الذي جعل في القرآن الكريم نبراسًا لذوي العقول، وهداية لمن أنار الله قلبه بالتصديق إلىٰ طريق الهداية؛ ليكشف بذلك سرَّ التقارب والتَّعَاطف بين الفئتين مع بعد الديار، واختلاف الألسن، ولكنه تلازم في الهدف، ورابطة في الإضرار بالمجتمع الإسلامي، ومحاولة لإثارة الفتنة الناتجة، ومن تشبه بقوم فهو منهم.

وما الفتن والاضطرابات في أطراف الدنيا، وما تبع ذلك من إرهاب، وإضرار بالأفراد والممتلكات، إلا من هاتين الفئتين المتلازمتين في حبِّ الشَّر والسعي في إيقاد جذوته، وإثارة الفتن تخطيطًا وتشجيعًا وعملًا بالخفاء، وتوريطًا للآخرين بأعمال ودعايات شتَّىٰ.

❊ ❊ ❊

١٤- الرابطة بين اليهود والباطنيين

مرَّ بنا التعريف باليهود وبالمنافقين، وأوردنا بعض الآيات الكريمات في صفات وأعمال كل من الطرفين، والتي بموجبها تبرز الرَّابطة بين اليهود والمنافقين الظاهرة، التي أبانها الله جلَّ وعلا، ويتجانسان في العمل، حيث يحتذي المنافقون منهج اليهود، ويترَسمون خطاهم في تلك الأمور الكثيرة، الواضحة في القول والعمل والشبهات، والتي يلبسون بها علىٰ الآخرين.

ولمَا كان قد ورد آنفًا في تعريفات بعض العلماء أن المنافقين يطلق عليهم: الباطنيين. أخذًا من التعريف بأن المنافق من يظهر الإسلام ويبطن الكفر؛ فإن ما سوف نلمُّ به هنا في هذه الرابطة، هو: الأعمال السِّرية، والمؤامرات الخفية، التي يتعاون فيها الطرفان، إذ المنافق يختلف عن الباطني ببعض الأعمال الظاهرة التي جاء ذكر بعض منها في القرآن الكريم، ولما كان الله جلَّ وعلا قد أبان في آيتين نوعًا من الأخوة الباطلة؛ لأنها أخوة في الشر، والوسيلة إليها معصية الله سبحانه... وهاتان الآيتان يتضمّن مضمونهما الأخوة السِّرية التي تقود إلىٰ الأعمال الخبيثة.

واليهود والباطنيون يربطهما العمل الخفيّ، الَّذي لا وضوح فيه، والمضمر فيه: سعيًا وعملًا يخالف ما يراه الناس، ولكن الله لا يخفىٰ عليه شيء.

الآية الأولىٰ: في أخوة اليهود مع المنافقين، يقول سبحانه: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾﴾[1].

---

(١) سورة الحشر، الآية (١١).

والآية الثانية: في الباطنيين الذين يريدون حظَّ الدنيا ليتعاونوا مع الأعداء، فيكون الشيطان هو المعين لهم في المعصية لله بالعمل ضد المؤمنين من قومهم، وخيانتهم والتعاون مع العدوِّ فيما يكيد ويضرُّ بالمؤمنين، عن علم وببرهان يكون حجَّة عليهم، فتكون أخوتهم للشيطان، الذي أخذ عهدًا علىٰ نفسه بأن يضلَّ عباد الله ويجلبهم لمنحدره، إلَّا عباد الله المخلصين، فليس له عليهم سبيل، يقول سبحانه في دلالة عن أخوة الباطنيين للشيطان - لطاعتهم له في معصية الله -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾[1].

ففي هاتين الآيتين من سورة الأعراف مفارقة بين فئتين: الذين اتقوا: يحاول الشيطان أن يمَسَّهم، فيتذكرون ما أمروا به بالبعد عن نزغات الشيطان، فيتوبون إلىٰ الله، ويسألونه البعد عن الشيطان ومكائده وأعوانه... وما يدعونهم إليه من الخطيئة والتعاون علىٰ الشرِّ.

والباطنيون: الذين طمعهم في حظِّ الدنيا، فكانوا إخوانًا للشياطين، تمدّهم الشياطين في الغيِّ، وتزيدهم في الضلالة والبعد عن الله.

وإن خير ما يوضح الرَّابطة بين اليهود والمنافقين - وهم الباطنيون - حكايات كثيرة ذكرها الشيخ: محمود شاكر رَحِمَهُ اللهُ في تحقيقه لتفسير الطبري، وتخريج أحاديثه، يأخذ القارئ عبرة من واحد منها[2]؛ ليأخذ منها القارئ العبرة والعاقبة، ومداخل التعاون في رابطة بين اليهود الذين جاءوا في هذه الحكاية باسم العصاة من بني إسرائيل، وبين الباطنيين الذين يبحثون عن كل شيء يؤَيد باطلهم، حتىٰ لو تعاونوا مع

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان (٢٠١، ٢٠٢).

(٢) أورد أحمد شاكر المحقق ذلك في ص (٢٥٢ - ٣٤٠) الجزء (١٣).

الشيطان الذي يخطط لهم ويقودهم.

قال: حدَّث ابن عبد الأعلىٰ، قال: حدثنا المعتمر، عن أبيه، قال: وبلغني حديث رجل من أهل الكتاب - بني إسرائيل - يحدِّث: أن موسىٰ عليه السلام سأل الله: أن يطبع هذا الرجل، وأن يجعله من أهل النار. قال ففعل الله به ذلك، وأجاب دعوة موسىٰ.

قال: أنبئت أن موسىٰ قتله بعد.

وحدَّث ابن حميد بسنده إلىٰ سالم أبي النضر أنه حدَّث: أن موسىٰ عليه السلام لمَّا نزل بأرض بني كنعان، من أرض الشأم، وكان بلعم ببالعة - قرية من قرىٰ البلقاء - فلما نزل موسىٰ ببني إسرائيل ذلك المنزل، أتىٰ قوم بلعم - وهم الجبابرة الذين ذكرهم الله في كتابه الكريم -[1].

ويقال عن بلعم - أو بلعام - هذا: إنه قد أوتي النُّبوة، وكان مجاب الدعوة، فقالوا له: يا بلعم، إن موسىٰ بن عمران في بني إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا، ويحلُّها بني إسرائيل، ويسكنها... وإنَّا قومك، وليس لنا منزل، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج فادع عليهم، فقال: ويلكم.. نبي الله معه الملائكة والمؤمنون، كيف أذهب أدعو عليهم، وأنا أعلم من الله ما أعلم.

قالوا: ما لنا من منزل، فلم يزالوا به يرقِّقونه ويتضَرَّعون إليه، حتىٰ فتنوه فافتتن، فركب حمارةً له متوجهًا إلىٰ الجبل الذي يطلعه علىٰ عسكر بني إسرائيل، وهو جبل حسبان، فلما سار عليها غير كثير، ربضت به فنزل عنها، فضربها حتىٰ إذا

---

(١) في آيتين من سورة المائدة، حيث قال موسىٰ لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾، الآيتان (٢١ - ٢٢).

أذلقها بالضرب قامت، فركبها، فلم تسر به كثيرًا حتىٰ ربضت به، ففعل بها مثل ذلك، فقامت، فركبها، فلم تسر به كثيرًا حتىٰ ربضت به، فضربها حتىٰ إذا أذلقها - يعني: أوجعها - أذن الله لها فتكلمت حجة عليه، فقالت: ويحك يا بلعم، أين تذهب؟ ألا ترىٰ الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا؟ أتذهب بي إلىٰ نبيِّ الله والمؤمنين لتدعو عليهم؟! فلم ينزع عنها يضربها، فخلَّىٰ الله سبيلها حين فعل بها ذلك.

قال: فانطلقت، حتىٰ أشرفت به علىٰ رأس جبل حسبان، علىٰ عسكر موسىٰ وبني إسرائيل، وجعل يدعو عليهم، فلا يدعو عليهم بشيء إلَّا صرف به لسانه إلىٰ قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلَّا صرف به لسانه إلىٰ بني إسرائيل.

فقال له قومه: أتدري يا بلعم ما تصنع؟. إنما تدعو لهم وتدعو علينا، قال: فهذا ما لا أملك، هذا شيء قد غلب الله عليه. واندلع لسانه فوقع علىٰ صدره. فقال لهم: قد ذهب مني الآن الدنيا والآخرة، فلم يبق إلَّا المكر والحيلة(١)، فسأمكر لكم وأحتال، جمِّلوا النساء، وأعطوهن السِّلَع، ثم أرسلوهن إلىٰ العسكر يبعنها فيه، فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، فإنهم إن زنىٰ منهم واحد كفيتموهم(٢)، ففعلوا، فلما دخل النساء العسكر، مرت امرأة من الكنعانيين «الجبابرة» اسمها (كسبىٰ) ابنه صور - رأس أمَّته - برجل من عظماء بني إسرائيل وهو «زمرىٰ بن شلوم» رأس سبط شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبته وأعجبه جمالها، ثم أقبل بها حتىٰ وقف بها علىٰ موسىٰ عليه السلام.

فقال لموسىٰ: إني أظنك ستقول: هذا حرام عليك؟. فقال موسىٰ: أجل، هي حرام

---

(١) وهذا ما يفعله اليهود والباطنيون مما لا يظهر من أقوالهم وأعمالهم لأنه أمر بالخفاء.

(٢) صدق رسول الله ﷺ في تحذيره من فتنه النساء، وأخبر أنها فتنة بني إسرائيل.

عليك فلا تقربها. قال: فلا والله لا نطيعك في هذا. فدخل بها في قبَّته فوقع عليها، وأرسل الله الطاعون في بني إسرائيل، وكان «فنحاص بن العيزار بن هارون» صاحب أمر موسىٰ، وكان رجلًا قد أعطي بسطة في الخلق، وقوَّة في البطش، وكان غائبًا حين صنع «زمرىٰ بن شلوم» ما صنع، فجاء والطاعون يحوس في بني إسرائيل، فأخبر الخبر، فأخذ حربته، وكانت من حديد كلها، ثم دخل عليه القبة وهما متضاجعان، فانتظمهما بحربته، ثم خرج بهما رافعهما إلىٰ السماء، والحربة قد أخذها بذراعه، واعتمد بمرفقه علىٰ خاصرته، وأسند الحربة إلىٰ لحيته - وكان بكر العيزار -، وجعل يقول: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك، ورفع الطاعون، فحسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب «زمرىٰ» المرأة إلىٰ أن قتله «فنحاص»، فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفًا - والمقلِّل يقول: عشرون ألفًا -، في ساعة من النهار، فمن هنالك تعطي بنو إسرائيل ولد «فنحاص بن العيزار» من كل ذبيحة ذبحوها: القبة والذراع واللحىٰ؛ لاعتماده بالحربة علىٰ خاصرته، وأخذه إياها بذراعه، وإسناده إياها إلىٰ لحييه، والبكر من كل أموالهم وأنفسهم؛ لأنه كان «بكر العيزار»، ففي «بلعم بن باعور» أنزل الله علىٰ محمد ﷺ هذه الآية: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ يعني: «بلعم» ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

- وجاءت رواية السَّديِّ أن «بلعم» من بني إسرائيل، فقال: انطلق رجل من بني إسرائيل، يقال له: «بلعم». فأتىٰ الجبارين فقال: لا ترهبوا من بني إسرائيل، فإني إذا خرجتم تقاتلونهم، أدعو عليهم فيهلكون.

فخرج يوشع يقاتل الجبارين في الناس، وخرج «بلعم» مع الجبارين علىٰ أتانه، وهو

(١) سورة الأعراف، الآيتان (١٧٥ - ١٧٦). تفسير الطبري، تحقيق أحمد شاكر، الجزء (١٣) ص(٢٦٤ - ٢٦٧).

يريد أن يلعن بني إسرائيل، فكلما أراد أن يدعو علىٰ بني إسرائيل، دعا علىٰ الجبَّارين: فقال له الجبَّارون: إنك تدعو علينا، فيقول: إنما أردت بني إسرائيل. فلما بلغ باب المدينة أخذ ملك بذنب الأتان فأمسكها، فجعل يحركها فلا تتحرك، فلما أكثر ضربها أنطقها الله، فتكلمت وقالت: أنت تنكحني بالليل وتركبني بالنهار، ويلي منك، ولو أني أطقت الخروج لخرجت، ولكن هذا الملك يحبسني. وفي بلعم يقول الله سبحانه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾[1].

ومن سياق هذه القصَّة ندرك حيل وأحابيل كفرة بني إسرائيل - اليهود -، التي تتجدد في كل زمان ومكان، ولا تختلف عن المنهج الأول، وذلك بالتركيز علىٰ النساء كسلاح ضد خصومهم، ضمن المغريات، ونسمع ونقرأ في هذا الزمان نماذج من ذلك لجمع المعلومات، وتسليطهم للتَّجسس، وتلقيحهن بالأمراض الفَتَّاكة التي تنتشر في المجتمع بالمباشرة، كالإيدز الذي يسميه بعض الأطباء: طاعون القرن العشرين. وللتغلغل في صفوف أصدقائهم وخصومهم - علىٰ حدٍّ سواء - لجمع المعلومات، وإفساد الأخلاق، وتسليط فتنة النساء التي أهلكتهم من قبل، حتىٰ تهلك الأمم الأخرىٰ في المستنقع الذي غرقوا فيه مع مدخل النساء.

وجاءت الدعوات الجديدة عن حرية المرأة، ومشاركتها في جميع الميادين، وعن الحجاب وغير ذلك من دعوات كثيرة، تصب في عالم المرأة، ويتلقف العلمانيون وغيرهم من إمبرياليين ممن يعيشون في المجتمع الإسلامي هذه الدعوات بالقبول، ويتحمَّسُوا لها علىٰ أنها تطور يجب الأخذ به، ومنهج يحاكي مسيرة الأمم المتقدِّمَة، والمرأة المسلمة التي يتكَلم بعضهم باسمها، لتجرَّ قسرًا عنها إلىٰ شيء لا تريده، لأنه

(١) تفسير الطبري، تحقيق أحمد شاكر (١٣/ ١٧٥).

يتنافىٰ مع فطرتها، وتحذر منه تعاليم دينها: نصًّا وفهمًا، وقدوة في العمل بما كانت عليه نساء الإسلام منذ عهد الصحابة والرسول بين ظهرانيهم، وإلىٰ الآن... وما في نفوسهم ما هو إلَّا الوهن الذي أخبر عنه ﷺ، حبُّ الدنيا وكراهة الموت ومحاكاة الأمم الأخرىٰ: شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتىٰ لو دخلوا جحر ضب لدخلوه معهم، وما في الحكاية التي أوردنا ولها نظائر كفاية وعبرة لمن يريد أن يعتبر، فهي بمجرياتها تكفي عن الشرح المطول في إبراز العاقبة السيئة لمن يدعون المرأة لنبذ تعاليم دينها، واختلاطها بالرجال، بالبدء بالحجاب أولًا والتخَلص منه.

وهذا من مخططات اليهود وأعوانهم من الملل الأخرىٰ، ويسير في ركابهم: الباطنيون.

ولكي يتيقن القارئ الكريم من تمكن الرابطة بين اليهود والباطنيين، فما عليه إلا أن يرجع إلىٰ نسخ من التلمود، التي ذكر شوقي عبد الناصر نبذًا منه في كتابه: بروتوكولات حكماء صهيون؛ ليعرف نماذج من نفثات اليهود ضد من ليس يهوديا، وقولهم بأن يدرب أبناؤهم علىٰ دخول الديانات الأخرىٰ لبث العداوات في صفوفهم، هذا في جانب وجانب آخر ففي أكاذيب اليهود وطبائعهم في التلمود ما هو راسخ في طبائع بعض الباطنيين المنتمين للإسلام[(١)].

❋❋❋

(١) يراجع في هذا نموذج ما جاء في بحثنا هذا ص(١٤٩ – ١٥٠).

١٥- علاقة الفرق الباطنية بالإرهاب

الباطنية: تتجدَّد أسماؤها، وتتباين غايات دعاتها، وبينهم وبين المسلمين من أهل السنة والجماعة تباين في العمل وسلامته، وفي الصدق مع الله ومع ولاة الأمر، بل كثير منهم يفتحون ثغرة علىٰ أهل السنة والجماعة، بتعاونهم مع العدو وخاصة اليهود والنصارىٰ، هؤلاء لهم ظاهر وباطن، فظاهرهم شيء يؤدىٰ مجاملة لإرضاء فئة من الناس، وباطنهم يترك ليكون من خصوصيات السِّرية في هذه الفئة... وهم الذين يجمعهم الاسم الشَّامل: النفاق... ولكثرة الفرق الباطنية التي تحدَّث عنها ابن حزم في كتابه: الفصل في الملل والنحل، والشهرستاني في كتابه: الملل والنحل.... وغيرهما ممن اهتم بالفرق في تاريخ الإسلام، ودرس بعمق التوحيد وحقيقته واختلاف أهله مع أصحاب هذه الفرق الباطنية... التي تتجدد أسماؤها وشبهات المنظِّرين فيها بين وقت وآخر؛ لأنها غير ثابتة الأصول، ويتغير منهجهم في كل مكان وزمان، بحسب ما يظنونه يخفي حقيقتهم، لكن كما قال الشاعر:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفىٰ علىٰ الناس تعلم

ولما كان رسول الله ﷺ قد حكم علىٰ بطلان تلك الفرق الباطنية أو غير الباطنية، إلَّا واحدة هي الفرقة الناجية، ونعتها عليه الصلاة والسلام بأنها من كانت علىٰ ما أنا عليه اليوم وأصحابي، واعتبر الفرق الباقية من الفرق التي افترقت عليها هذه الأمة، وعددها (٧٣) فرقة، ليست علىٰ الحقِّ لمخالفتها منهج رسول الله ﷺ وأصحابه.

فإن هذه علامة فارقة، ومقياس دقيق يميز به المدَقق بين الحقِّ والباطل؛ لأنَّ كل نوع يعرف بأصحابه وأعمالهم... ولأن الكفر ملَّة واحدة، وتغيير الاسم لا يغَيرُ

المسمىٰ... والمسئولون عندما يتحَدثون عن الإرهاب، وأنهم لا يعرفون للإرهابيين هدفًا ولا مطلبًا، ولا بلدًا، وليس لهم غايات يمكن الدخول معهم في حوار معها.

كما اختلف العالم في الإرهاب وموطنه، واسمه والدلالات عليه، وقد يكون لبعض الدول ذات النفوذ مصلحة وراء ذلك، تريد التستر بسببها، فإن كل ذلك له ما يبرره تاريخيًّا وحاضرًا.

فالحاضر الذي يصارع الناس بعض أحداثه، وعندنا في هذه البلاد المملكة العربية السعودية التي تخرج في جميع أمورها: وفق شرع الله وسنة رسوله ﷺ: تطبيقًا وعملًا ومنهج حياة. لم تسلم من ويلات الإرهاب، وما يحرص عليه المخططون لهذا الإرهاب.

إذا أدرك المراقب لواقع الحال وما نتج من أعمال الضَّالين من تخريب وتدمير وقتل وإفساد، أدرك ضرره وخطأ المسيرة في هذا الدرب، من أنار الله بصيرته، وفتح علىٰ قلبه، ممن اعترف وتاب من خلايا الضَّلال، فكان في اعترافاتهم لمن يريد أن يتوب، فرصة وأسوة، ليراجع نفسه وعمله إلىٰ جادَّة الصواب.

ذلك أن هؤلاء الأحداث والمراهقين الذين يساقون لهذا العمل، لابد أن يكون وراءهم أيد خفية، سواء كانت داخلية باطنية، أو خارجية يخدمها هؤلاء الباطنيون؛ لأن وراءها غايات.

هذه الأيدي تكنّ عداوة لدين الله سبحانه وتعالىٰ الحقِّ، وهو الإسلام الذي رضيه الله دينًا لأمة محمد ﷺ...، وحقدًا دفينًا لأمته عليه الصلاة والسلام؛ لحرصهم علىٰ دينهم وتطبيقهم شعائره عبادة ومعاملة، ومن كرهه ذلك منهم، فإنما هي كراهية لبروز نور الله، ولا تصدر إلَّا من قلوب مريضة مرضًا معنويًّا بالحقد والبغض والحسد، لا حسيًّا يعالج بالعقاقير والعمليات الجراحية، بل معنَوي عميق في القلوب، يأكلها غمًّا

وحقدًا علىٰ دين الله الحقِّ وتعاليمه التي يمثلها القرآن والسنة، وقلوب الباطنية مشربة بالكراهية للحقِّ ولشرع الله المبين، كما أنها متقَربة لأعداء الله اليهود والنصارىٰ وغيرها من الملل بالمحَبة والولاء والتعاون؛ لطمس أنوار الدين الحنيف الساطعة بحيل ومكر، وشعارات ودعوات وشبهات، ظاهرها برّاق، وباطنها مظلم، كالحية: لينَة في ملمسها وفيها سمٌّ زعاف.

فإذا كان المنافقون في المدينة - وهم نموذج لجميع الباطنيين في كل زمان ومكان - الذين أظهروا الإسلام، لرسول الله ﷺ وأبطنوا الكفر، وأظهرهم الله لرسوله: أسماءً وأفعالًا، قد مالئوا اليهود الذين نقضوا العهد معه ﷺ وخانوا الأمانة، وتنكروا لدين الله، قد فضحهم الله في هذه الأخوة، وهذا التَّحالف الذي يحمل مؤامرة ضد دين الله رغبة في إطفاء نور الله.

فإن رسول الله ﷺ لم يحاربهم ولم يقتلهم حتىٰ لا يقال: محمد يقتل أصحابه... وذلك عندما حرضه بعض الصحابة عليهم؛ لأنهم يقولون: لا إله إلَّا الله التي بها يحرم قتل المرء؛ لدخوله الإسلام بهذه الكلمة، ولأنهم لم يتعدوا في موالاتهم للكفار من بني إسرائيل وغيرهم الكلام إلىٰ الأعمال العدوانية، لكنه أبان لأصحابه الكرام شيئًا من طباعهم، وسمّاهم لحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، وأبان الله سبحانه صفاتهم، وما تكن صدورهم في مواضع كثيرة من القرآن.

كما منعه الله سبحانه من الصلاة علىٰ من مات منهم، وتأسوا به صحابته في حياته، وبعد ما مات كان عمر بن الخطاب إذا جاءت جنازة توقّف عن الصلاة عليها حتىٰ يرىٰ حذيفة قد كَبر.

لكننا في هذا الزمان نتوجس الأخبار والمعلومات عن الباطنيين والمنافقين من

طبائعهم وخصال تظهر عليهم، منها تعاطفهم مع الإرهابيين وتحسين عملهم...؛ لأن الإرهاب من صنائع اليهود.

واليهود وباطنو المدينة في عهد رسول الله ﷺ كان بينهما رابطة قَوية بالكيد لدين الله، وعداوة أهل الإيمان، فيعملون من أجل هذه الرابطة في الخفاء، لنصرة باطلهم، والكيد والحيل ضد الحقِّ، حتىٰ أصبحت هذه الرابطة بين المنافقين واليهود، التي تمثل اليوم الرابطة الإرهابية ومن يغذي الإرهاب وبين الباطنية بمتابعة الأخوّة، والتعاهد علىٰ وضع المكائد والتَّشديد في التنفيذ، بعد أن وعد بعضهم بعضًا بالصدق ظاهرًا وبالكذب باطنًا لجبنهم، مثلما صور الله سبحانه تلك الرابطة بقوله الكريم: ﴿۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١١﴾[1].

فهدفهم واحد، وغايتهم مشتركة، وقد تنوعت فرق الباطنية بعد فتنة عثمان، فظهرت السبئية، وبرز الخوارج، ثم تتالت الفرق، إنها رابطة واحدة في الباطل، وتعاون مشترك علىٰ الشرِّ والفساد وهذا ديدنهم الذي لا ينزاحون عنه قديمًا وحديثًا، وما ذلك إلا أن الطَّرفين قلوبهم مريضة، وفي كل موطن، وبأي زمن يظهر فتنهم واحد من اليهود أو فئة يهودية؛ ليتبعهم في هذا الباطنيون...

وقد بدأت تلك الفتنة في تاريخ الإسلام من عهد الخلفاء الراشدين، أوقد نارها عبد الله بن سبإ اليهوديُّ، الذي دخل الإسلام منافقًا، وكان أول ضحية لهذا العمل الإرهابي، والفتنة العارمة مقتل عمر، ثم الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، قتله الغوغائيون منهم، وهو يتلو القرآن في بيته، فكانت أول قطرة من دمه قد وقعت

---

(١) سورة الحشر، الآية (١١).

علىٰ الآية المكشوفة أمامه: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٣٧﴾[1].

وقد انكسر باب الفتنة من ذلك الوقت ودخل معه من دخل، واليوم كان من الداخلين معه هؤلاء الإرهابيون، حدثاء الأسنان المُغَرَّر بهم، والذين يساق بعضهم لهدف لا يدركون مكانه ولا غايته، نسأل الله أن ينير بصائرهم، وأن يعيدهم إلىٰ جادة الصواب في كنف أسرهم ومجتمعهم المؤمن المحافظ علىٰ دينه وعهده مع ولاة الأمور، وقدوته بالعلماء المعتبرين المعروفين بثقتهم وأمانتهم.

ولما كانت الفتنة إذا ظهرت، وتسارع الناس فيها، تختلف نياتهم في الخوض بما حولهم، حتىٰ تتضحَ الرؤية... فإن صحابة رسول الله ﷺ في موقعتي: الجمل وصفّين قد لفتهم الفتنة، وقام من رفع المصاحف بعدما قتل من قتل بطلب تحكيم كتاب الله، ولكنه شعار يبرز مثله بين الحين والحين، يطلق عليه كما قال علي بن أبي طالب ﷺ: (حق أريد به باطل).

إلَّا أن المسلمين سكتوا عمَّا حصل بين الصحابة، وهم خير الأمة، وأول القرون بعد رسول الله التي تتمَثل فيهم الخيرية والقدوة الحسنة والعدالة، فقالوا: نترضىٰ عنهم جميعًا، ونسأل الله لمصيبهم الأجر، ولمسيئهم المغفرة.

ذلك أنها فتنة، ورسول الله ﷺ قد أخبر عن الفتن وأضرارها والمخرج منها، كما جاء في أحاديث الفتن عند البخاري وغيره، ومنها حذيفه بن اليمان ﷺ - أمين سرِّ رسول الله ﷺ -، حيث كان من أول من اعتزل ما جرىٰ بين الصحابة، كما اعتزلها غيره من فقهاء الصحابة ﷺ... كما قتل كثير منهم فيها أيضًا، حيث أن الفتنة إذا أظهرت رأسها، عمي البصر عن مسبباتها والمصالح منها، ثم تلمَس السبيل للخروج منها، فلا

(١) سورة البقرة، الآية (١٣٧).

يعرف القاتل لماذا قَتَل؟ ولا يدري المقتول لماذا قُتِل؟ ويبعثون علىٰ نياتهم كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ في صحيح مسلم[(١)].

فإذا كان إرهابيو هذا الزمان، قد دُفعوا لأعمالهم التخريبيَّة، ووجُهوا ودُربوا لتلك الأعمال الهوجاء، فإنما المقصود أن يكونوا وقودًا لفتنة أشعلها الأعداء، ولا يعرفون لماذا سيقوا إليها؟ ولا الفائدة التي تعود عليهم وعلىٰ الإسلام والبلاد والآمنين فيه، والسبب جهلهم والتسلط علىٰ أفكارهم بما حرفها.

ولئن تاب منهم من أراد الله به خيرًا، وأبان عن خطإ ما سار فيه، بل وكَيفية جذب البسطاء، والتغرير بحدثاء الأسنان، ليوافقوا علىٰ المسيرة في منحدرهم الإرهابي: جهلًا بالهدف، وعدم إدراك للمصير، ولا معرفة بنهاية النفق المظلم الذي دخلوا فيه، فنرجو للبقية احتذاءهم.

هذا، وفي الوقت الذي نشفق عليهم ندعو لهم بحسن العودة، وندعو علىٰ من أوردهم سبيل المهالك، وغررَ بهم كذبًا وترغيبًا بشعارات وأمنيات باطلة، أن يكشف الله سوءته، وأن يعين الدولة برجالها المخلصين علىٰ اجتثاث جذورهم، وتطهير الأرض منهم... حتىٰ يعود الصفاء والوئام في الأمة كلها: صغيرها قبل كبيرها، ونسائها قبل رجالها، بقلوب متصافية وصفوف متراصّة، ضد العدوِّ لينقلب خاسئًا خاسرًا.

هذا ما يجب علىٰ المسلم العارف بدينه، الخائف من عقاب ربِّه؛ لأن الفتن فيها ظلم للنفس، وتعَد علىٰ الآخرين، واعتداء علىٰ الحرمات، ونهب للأموال المحرمة، بغير حقٍّ، وقتل لأنفس بريئة: صغيرة وكبيرة، ذكورًا وإناثًا، مسلمين ومستأمنين ذمِّيين.

والله سبحانه قد توعّد من قتل نفسًا بغير حقٍّ، وزاد في الإثم عندما تكون هذه

---

(١) ينظر ص (١٠٢) من هذا البحث الحاشية: نص الحديث.

النفس مؤمنة عمدًا، فقال تعالىٰ في سورة النساء: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾[(١)].

إنها جزاءات أربعة، كل واحد منها يقشَعر منه البدن لمن في قلبه ذَرة إيمان، أوضحتها الآية الكريمة، مما يبيِن حرمة المسلم، وحرمة سفك دمه بدون حقٍّ، هو الذي ذكره رسول الله ﷺ بقوله: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلَّا بإحدىٰ ثلاث: زنا بعد إحصان، أو كفر بعد إسلام، أو قتل نفس بغير حق فيقتل به**»[(٢)].

يوضح الله الجزاءات ليحذرها من يخاف الله وعقابه، ويحَذِّر رسول الله ﷺ من الفتن وأسبابها، حتىٰ يتجافىٰ عنها من يحرص علىٰ الخير، ويخاف من الوقوع بها من عرف آثارها وعواقبها، مثلما روي عن حذيفة بن اليمان ﷺ، في قوله: «كان الناس يسألون عن الخير، وكنت أسأل عن الشر مخافة الوقوع فيه»، لكن الباطنيين ومن في قلوبهم مرض هم الذين وقعوا في الفتنة وأركسوا فيها، فساروا في طريق الإرهاب وشق الصف، مستغلين البسطاء والجهلة من حدثاء الأسنان الشباب الذين لم تنضج عقولهم، ولا تفتحت أذهانهم بحيث نقص عندهم التميز، ليشحنوهم بما يبثّ الحماسة غير الواعية في أفئدتهم، ويمنّونهم ويعدونهم بما يعد به الشيطان جنوده، وما مواعيدهم

---

(١) سورة النساء، الآيتان (٩٢ – ٩٣).

(٢) رواه أبو أمامة بن سهل، عن عثمان ﷺ، وأخرجه الترمذي والنسائي. جامع الأصول لابن الأثير (١٠ – ٢١٤).

ومواعيد الشيطان إلّا غرورًا.

فأشعلوا بهم نار الفتنة التي وقع فيها من وقع، وقد زادوا سعيرها، وحرصوا علىٰ إيقاد نارها، بالتَّفجيرات وسفك الدماء البريئة، يدفعهم من باض في ذهنه الشيطان وأعوانه وأفرخوا، ممَّن تنطبق علىٰ أعمالهم السيئة ونواياهم الخبيثة ما يجعل ذلك شامة في مفارقهم، يعرفون بها في كل زمان ومكان.

يعرف الله بحالهم في تلك الآية الكريمة التي جاءت في سورة القتال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ۝٣٠﴾[1].

ذلك أنهم في قلوبهم مرض وفي جوانحهم حقد دفين وعداوة وحسدًا علىٰ العلماء وولاة الأمر الذين أمر الله بطاعتهم والسمع والاستجابة لهم، ونهىٰ بل وشدّد علىٰ الخروج عليهم وشقَّ عصا الفرقة عليهم وعلىٰ المجتمع المتآلف، كما روىٰ مسلم في صحيحه: أن رسول الله ﷺ قال: «**من جاءكم وأمركم بينكم جميع يريد تفريق جماعتكم فاضربوا عنقه كائنًا من كان**».

فأعان الله ولاة الأمر في هذه البلاد، والتفَّ معهم الشعب الذي ثبت علىٰ بيعته وولائه، في تتبع خيوط الفتنة ومحاصرتها خطوة بخطوة، رغم اتِّساع رقعة المملكة، وتباعد الديار، حتىٰ حصرت في نفق ضيقٍ، بعد أن قصصت أجنحتهم، وأمكن السيطرة علىٰ المنابع التي تغذيهم: فكريًّا وماديًّا. فكانت بحمد الله جهودًا موَفقة، وأعمالًا أعطت نتائج مرضية، وعن قريب بإذن الله تجتَث الجذور، كما يروىٰ في قصيدة سديف، أمام السَّفاح العباسي الذي حثه علىٰ القضاء واجتثاث بقية فلول خصومه، بهذا الوصف:

إن كنـت شـهمًا فـأتبع رأسـها الـذنبا ....

---

(١) سورة القتال – محمد –، الآية (٣٠).

- ولئن كانت الفتنة الأولىٰ في تاريخ الإسلام قد كان من فراخها الخوارج الذين ابتدعوا ظاهرة التكفير لأول مرة في المجتمع الإسلامي، وخطئوا الصحابة وهم خير الأمة بعد نَبيهم، فاحتار في أمرهم الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب ﵁، مع أن رسول الله ﷺ أخبره وأخبر أمته ببعض العلامات الدَّالة عليهم، كما جاء في أحاديث الفتن.

وأخبر عليًّا بأنه سوف يقاتلهم، وأن في زعيمهم علامة فارقة، عضلة في عضده تشبه ثدي المرأة، وفي اجتماعهم بالنهروان لم يستطع معرفة شيء من مطالبهم رغم بعثه بعض الصحابة، ومنهم ابن عباس ﵄ للتفاهم معهم ووعظهم، فاستجاب لابن عباس حوالي اثنا عشر ألفًا فارقوا جماعتهم عن قناعة بعد ما حاورهم.

وأصر الباقون علىٰ باطلهم، بدون هدف معَين إلَّا في التكفير، وهذه السنة السيئة التي أحدثوها، وسار عليها من انحرف فكره وقلّ إدراكه من ذلك الوقت حتىٰ اليوم، حيث جعلوا ذلك هدفًا لإثارة الفتنة في المجتمع وبلبلة أذهان الناس، حتىٰ إنهم قتلوا عبد الله بن خَباب بن الأرتّ لما بعثه عليّ إليهم ليحاورهم، ولضيق أفقهم وقلة علمهم - كما هو حال من أثار الفتنة اليوم - قتلوا زوجته بدون سبب وبقروا بطنها وهي حامل، مع أن رسول الله ﷺ شددَ في النهي لمن يقتل المرأة الطفل والذي لم يرفع السلاح، ولما طالبهم علي ﵁ بقاتل عبد الله بن خَباب؛ ليقتاد منه صاحوا جميعًا: كلنَا قتلناه، فوجدها فرصة للهجوم عليهم، فأعانه الله عليهم بمقتلة عظيمة، سقط فيها زعيمهم: «ذو الثديّة»، فسجد علي لله شكرًا أنه لم يقاتل إلَّا بغاة ضالِّين قد انحرف فكرهم، وطمس الله علىٰ قلوبهم.

فما أشبه الليلة بالبارحة، أن نرىٰ في هذا الزمان من فيهم شبه بمن سبقهم منذ عهد علي ﵁، ويبرزون رؤوسهم بين وقت وآخر، كلما رأوا مجالًا اغتنموه، أو ميدان سوء

أحبوه، فهم ظاهرة فساد ودعاة ضلال ومثيروا فتنة.

مطيتهم الخروج علىٰ الولاة، وابتداع التكفير ضد العلماء أولًا ثم من دونهم، حسب ما يزيّن الهوىٰ لهم والباطنيون المستترون: هم المثيرون للزوبعة، والموقدون لنار الفتنة التي انكسر بابها بمقتل أمير المؤمنين: عثمان بن عفان ﷺ، الذي بشرَه رسول الله ﷺ بالجنة علىٰ بلوىٰ تصيبه[1].

ولا يستغرب المرء أن يرىٰ من الباطنيين اليوم من يشتم عثمان ﷺ، ويتعالىٰ بالسَّب واللَّعن لكبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعائشة رغبة في الإساءة إلىٰ بيت النبوة، وإيذاء رسول الله ﷺ في أهله وصحابته، بل بلغ الأمر ببعض الفرق الباطنية إلىٰ تكفير الصحابة كلهم، إلا نفرًا يعَدون علىٰ أصابع اليد الواحدة.

وفي هذا معصية لله ولرسوله، وتفرقة بين المسلمين، ودعوة للإرهاب والفتن، حيث حذَّرَ رسول الله ﷺ من ذلك، منها ما رواه الترمذي، عن عبد الله بن مغفّل ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«ليبلغَ الحاضر الغائب، الله الله في أصحابي، لا تَتخذوهم غرضًا** - أي: هدفًا - **بعدي، فمن أحبهم فبحبي أَحَبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذىٰ الله، ومن آذىٰ الله فيوشك أن يأخذه، ومن يأخذه الله فيوشك أن لا يفلته»**[2].

ولما كان رسول الله ﷺ قد حرص علىٰ أمته، خوفًا عليهم من مداخل الشر والداعين إلىٰ الشر والفساد، ورأفة بهم، فقد قال: **«سألت ربي ﷻ ثلاث خصال، فأعطاني اثنتين، ومنعني الثالثة: سألت ربي ألَّا يهلكنا بما أهلك به الأمم فأعطانيها،**

---

(١) جاء في بعض الروايات أن الباب انكسر وظهرت الفتنة بعد مقتل عمر بن الخطاب ﷺ.

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٥٤٠) في فضائل الصحابة، باب: تحريم سب الصحابة، وانظر جامع الأصول (٨/ ٥٥٣).

وسألت ربي ألَّا يظهر علينا عدوًّا من غيرنا فأعطانيها، وسألت ربي أن لا يلبسنا شيعًا فمنعنيها» رواه النسائي عن خباب بن الأرت ﷺ[(١)].

ورواية الترمذي: «سألت ربي ثلاثًا؛ فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألته ألَّا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يسلِّط عليهم عدوًّا من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها».

ولذا فإن العدوَّ الحاقد المترَبص لن يدخل ذلك الباب المنكسر إلَّا علىٰ أكتاف من يدّعون الإسلام، سواء كانوا: منافقين أو باطنيين، أو علمانيين، أو غيرهم بأيّ شعار كان، وتحت أي فكر يخدم الأعداء، ممن أشربت قلوبهم مرض الشهوة أو مرض الشكِّ، وفكرهم المنحرف الذي يسير في ركاب أعداء الإسلام، حيث يزَينون لهم حب الشر وإثارة الزعازع والبلبلة في المجتمع الإسلامي، لكي يجدوا لهم منفذًا نتيجة ما يعمله صنائعهم من إرهاب وفتن.

فهل يا ترىٰ سيكونون ذوي حظوة عند العدوِّ بعدما خدموه بالأعمال المشينة فيما لو لا قدّر الله، حقَّقوا بصيصًا من أمل، وبعدما بذلوا جهدًا في الإفساد والتدمير مع بني جنسهم، لا شك أن من خان في بلده، وتعدّىٰ علىٰ بني جنسه، وكفّر أهل ملَّته، فإن العدوّ لا يشجعهم وإنما يضحك منهم، ثم بعدما يقضي بهم حاجته، وتظهر له المصلحة، فسيجازيهم جزاء سنمار...

وصفحات التاريخ توضح مثل هذا كثيرًا: فهذا علي بن العلقمي وزير آخر خليفة عَباسي، كان عونًا للتتار في دخول بغداد، وسقوط الدولة العباسيَّة، فكافئوه بعدما قضوا علىٰ الدولة، ورموا الكتب في دجلة، وقتلوا من المسلمين خلقًا كثيرًا، وذلك بأن

---

(١) جاء هذا الحديث لشهرته وأهميته بروايات متعددة: انظر جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير (٩: ١٩٦ - ٢٠٠).

أهانوه وسلبوا نعمته فمات بعد الذل والهوان ميتة سيئة[(١)].

وهذا أحد فرسان البادية لما فتح ثغرة هيأت لإبراهيم باشا أن يهجم علىٰ الدرعية، حيث سقطت استنادًا علىٰ مشورة ذلك الفارس، كافأه إبراهيم باشا بأن قتله برمية المدفع.

ومحمد بن عبد الله الأحمر آخر ملوك الطوائف العرب المسلمين في الأندلس، كان يستنجد بالنصارىٰ علىٰ إخوته حتىٰ قضىٰ عليهم واحدًا بعد الآخر، فلما انتهىٰ دوره معهم، وحققوا به ما يريدون طردوه شرَّ طردة إلىٰ الشمال الأفريقي فقيرًا بائسًا، ودخل علىٰ أمه يبكي، فقالت له: ابكِ كما تبكي الثَّكالىٰ علىٰ ملك ضَيعته، وعلىٰ عدو نصرته علىٰ إخوتك وبني عمك فخذلوك وطردوك.

ولهذا نظائر كثيرة في التاريخ؛ لأن العدوّ ما كان في يوم من الأيام صديقًا، وإن داهن واستجدىٰ، فإنما ليغتنم فرصة يثبت فيها... وفي عصرنا الحاضر نماذج كثيرة، سيكشفهم التاريخ بعدما تنتهي الأحداث.

وقد ذكر ابن عذارىٰ المراكشي في تاريخه: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، في حديثه عن الدولة العبيدية الفاطمية «الباطنية»، فقد ذكر من أخبار هذه الدولة الشيء الكثير في سفك الدماء وإرهاب الناس، وادعاء النسب الكاذب للنبي ﷺ، ومن ذلك: أنه في عام ٢٠١هـ أرسل من أتاه بعالمين كبيرين من القيروان، ولما امتنعا عن الشهادة أنه رسول الله أمر بقتلهما وربطهما في أذناب الخيل[(٢)].

وبعث قائده حباسة بن يوسف نحو المشرق، فأرهب الناس ظلمًا وتكفيرًا وقتل خلقًا كثيرًا، وجمع الجثث وجعل عليها كرسيًّا وجلس فوقه، ثم أدخل أهل البلد عليه،

---

(١) انظر ما قاله عنه ابن كثير في البداية والنهاية (١٣/ ٢٧٤).

(٢) تاريخ ابن عذارىٰ (١/ ٢٨١).

فهالهم ما رأوا، وطلب منهم مائة ألف مثقال من الذهب، وإن لم يحضروه قتلهم جميعًا، ومرَّ «ببرقة» فأخذ جميع أموالهم، وباع نساءهم، وقتل مجموعة من أهلها[1].

ونجد أن الباطنيين في العصر العَباسي يستمدون خفاء مذاهبهم وأحوالهم من رجلين هما: القداح، وابن الحلَّاج اللذان قيل في أصلهما أنه يعود لليهود، وقد توسّع ابن عذارىٰ وغيره في الحديث عنهما وتلونهما وأباطيلهما في تاريخه: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، وابن خلكان في وفيات الأعيان، وابن كثير في البداية والنهاية، والطبري وابن الأثير في تاريخهما، وغيرهم مما يبرهن علىٰ أن أصحاب الفكر الباطني باطل، ووراءهم من يزيّن لهم ويعينهم، وأن لهم أعوانًا ودعاة ينشرون أكاذيبهم وضلالاتهم، رغبة في بثِّ الفساد في المجتمع كما نرىٰ اليوم: إعلامًا يزَين أفعال الإرهابيين، ويحسنون باطلهم، ويمدونهم: ماليًّا وفكريًّا ومعنويًّا.

وأمثال هؤلاء الذين يساقون بلا هدف، ويسعون في غير اتجاه سليم، لا ينكشف أمرهم إلَّا بعد أن يتركوا جذورًا سيئة في المجتمع، وفكرًا منحرفًا فيه قلب للحقائق، ليغترَّ بها من قصر فهمه وقلّت بضاعته، وبصماتهم تبرز في الفتن والإرهاب.

❁ ❁ ❁

---

(١) تاريخ ابن عذارىٰ البيان المغرب (١/ ١٧٠).

١٦- بروتوكولات صهيون: السريات في الإرهاب

ضرب الله الذلة والخوف علىٰ اليهود بأعمالهم واستخفافهم بأوامر الله، وتعاليهم علىٰ البشر وتحايلهم وظلمهم، فلا يعملون إلَّا في الخفاء، ولا يستأسدون إلَّا علىٰ الضعفاء، ولا يتحَدثون إلَّا بالكذب والافتراء وتصوير الأمور بغير وقائعها، ولا يقاتلون من خوفهم وذلتهم إلَّا من وراء جدر وجميعًا، كما أخبر الله سبحانه عنهم في قوله الكريم: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾(١)، وأنها حقّت عليهم لعنة الله، وغضب الله بسبب معاصيهم وجرأتهم علىٰ الله.

كل هذه الصفات، وأكثر منها مما يعرّي اليهود بطبائعهم وكذبهم علىٰ الله ورسله، قد أبانها الله في كتابه الكريم، من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾(٢).

فجميع أعمال اليهود الصهاينة وتخطيطاتهم علىٰ العالم بأسره سريَّة وخطيرة، مبنيّة علىٰ المكر والخداع، لا وفاء عندهم ولا ذمَّة، ولا مُثُل يركنون إليها، وإنَّما الغاية عندهم تبرر الوسيلة، غير مأمونين من الغدر والخيانة، ولا يصدقون في الوعد ولا يحفظون الودَّ لمن أحسن إليهم، فقد خانوا الله، ونقضوا عهد رسول الله ﷺ.

ولكي يعرف العرب قاطبة والمسلمون والنَّصارىٰ خاصَّة أعداءهم الصهاينة، بل

(١) سورة الحشر، الآية (١٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١١٢).

أعداء البشرية جمعاء، ونواياهم المبيّتة والمخطط لها منذ مئات السنين، نرجو من الجميع قراءة هذه الحقائق عن اليهود.

لقد أظهرت نواياهم وفضحت مكنون نفوسهم تلك الأعمال التي خطَّطوا في بروتوكولات حكماء صهيون، التي تمثل أساسيات لمآربهم البعيدة التي رسموها، وقواعدهم التي وضعوها في تلك الأعمال السرية، لما يريدون من استعباد شعوب الأرض، والسيطرة علىٰ مقَدراتهم فكريًّا وعلميًّا واقتصاديًّا، مع التحكم في مصائرهم: إداريًّا وقياديًّا، ومحاولة قهرهم بما يرونه قدرة فيهم وفي أعوانهم: تخطيطًا وقوة عسكرية.

خرجت بروتوكولات صهيون هذه، في عدة طبعات باللغة العربية، منها طبعة وتعليق وترجمة أحمد عبد الغفور عطَّار، وترجمة: شوقي عبد الناصر وغيرهما... هذا غير اللغات الأخرىٰ.

كشفت هذه البروتوكولات التي ترسم مخططاتهم البعيدة المدىٰ في استرَاتيجية تَتصف بالعمق، لمبادئهم الأساسية التي وضعت في مؤتمر «بالي» بسويسرا عام ١٨٩٧م، الذي أقيم حول قبر أستاذهم الأعظم «الرّابي المقدس عندهم» «سيمون بن يهودا»، الذي يعطي تعاليمه، للصفوة من كل جيل، سيطرة علىٰ العالم، وسلطة علىٰ نسل يهودا، حسب ما قاله لهم الحاخام «ريتسورن» في اجتماع سري عقده اليهود علىٰ قبر قدِّيسهم هذا، في اجتماع سابق لهم في براغ عام ١٨٦٩م.

ثم كان أول من نشر هذه القرارات الخطيرة هو العالم الروسي «سيرجىٰ نيلوسي» الذي وقعت البروتوكولات في يده، عام ١٩٠١م. أي: بعد خمس سنوات من مؤتمر «بال» بسويسرا الذي عقده اليهود برئاسة زعيمهم «تيودور هرتزل» وعضوية ثلاثمائة من أكبر الحاخاميين والأطباء والمحامين ورجال المال والاقتصاد والأعمال اليهود في

العالم، والذين كانوا يمَثلون خمسين جمعية يهودية سرية وعلنية في العالم.

وفي المؤتمر جرت مناقشات ودراسات لوضع خطة سرية مرعبة لاستعباد العالم، ثم سجلوا قراراتهم أو خططهم أو وصاياهم أو محاضر جلساتهم، التي ظهرت للعالم باسم: «بروتوكولات حكماء صهيون».

وقد ضربوا حول هذه البروتوكولات سياجًا كثيفًا، وبمحافظة قاسية من السرية والكتمان فلا يقرؤها أو يتداولها، أو يطلع عليها، أو يعلم بأمرها، أو يعمل وفقًا لتعاليمها، إلَّا هؤلاء الشياطين، الذين سموا أنفسهم «الحكماء».

وسوف نسير مع القارئ الكريم قليلًا، في خطوات تكشف هذه «البروتوكولات»، كما أورد جزءًا منها: شوقي عبد الناصر، وإلا فإن جميع الكاشفين لهذه التعليمات قد تحدثوا عنها، مع اختلاف قليل بين بعضهم، حيث اطلَعت علىٰ أربع نسخ من ترجمات هذه «البروتوكولات» والتي خرجت في أزمنة متفاوتة، حيث يجب علىٰ كل مسلم أن يعرف نوايا اليهود ضدَّه وضد دينه، من هذه «البروتوكولات» التي تمثّل أساسًا عمليًّا عندهم، كما أدرك النصارىٰ من قبل ذلك عند اكتشاف هذه البروتوكولات، ثم يردف شوقي عبد الناصر بالقول: وفي أحد المحافل الماسونية السرية في فرنسا، وما الماسونية إلَّا جمعية سرية صهيونية، تخدم اليهود وفكرهم ونواياهم في كل مكان من العالم، ومثلها: نوادي الرُّوكس روتاري، ونوادي القمار، والميرنز.

فقد تمكنت امرأة فرنسية من سيدات المجتمع أثناء اجتماعها سرًّا بزعيم من أكبر زعمائهم، أن تختلس منه بعض الوثائق السرية وتهريبها، ولم تكن تلك الوثائق إلا: «بروتكولات حكماء صهيون»، وهي جزء من مقررات مؤتمر «بال» التي لم يكشف عنها النقاب حتىٰ اليوم؛ لأن زعماء اليهود ازدادوا حرصًا في المحافظة عليها وسريَّة

لباقي مقرراتهم.

وقد اهتز العالم بعد هذا الضياع، ونشطت اليهودية العالمية بكل أجهزتها السِّرِّيَّة والعلنيَّة لاسترجاع النسخة المفقودة التي اعتبروها ضائعة دون جدوىٰ، وقد وصلت هذه النسخة المسروقة إلىٰ أحد زعماء روسيا الشَّرقية «واليكس نقولا فيتش»، فذعر أشد الذُّعر؛ لما احتوته من خطط إرهابية شيطانية جهنمية لاستعباد العالم شرقه وغربه، عن طريق المال اليهوديِّ، والخلق اليهوديِّ، فقدّمها إلىٰ صديقه العالم الروسي الكبير: «سيرجي نيلوس» الذي درسها دراسة تحليليةً كاملة، وقارن بينها وبين أحداث العالم الجارية آنذاك، وهاله التطَابق التامُّ بينهما، فطبعها في روسيا عام ١٩٠٢م، باللغة الروسية.

وكان من نتائج طبعها قيام حملة شعواء علىٰ اليهود في جميع أنحاء العالم، ولا سيما في روسيا القيصرية، كما جنَّ جنون اليهود بعد أن استيقظ العالم علىٰ جرائمهم الشيطانية، فوقعت مذابح ضدهم في روسيا، قتل منهم في إحداها عشرة آلاف، وأقبل اليهود في أنحاء العالم، علىٰ شراء كل نسخة تمكّنوا من العثور عليها من هذا الكتاب حتىٰ خفي أثره تمامًا من الأسواق.

وهذا شبيه لما حصل لكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية منهاج السنة، فإن بعض الفرق الباطنية التي وجدت فيه ردًّا ظنوه ضدهم صاروا يشترونه ويحرقونه، بل بعضهم يقدم قربانًا لموتاهم بإحراقه، والمثل يقول: يكاد المريب أن يقول خذوني، وهذا من البراهين علىٰ علاقة الباطنية باليهود: فكرًا ومنهج عمل. وبالنسبة للطبعة الروسية لكتاب «البروتوكولات هذا»، فقد وصلت نسخة منه إلىٰ المتحف البريطاني، فختمها بخاتمه، ودوّن عليها تاريخ الاستلام: ١٠ أغسطس عام ١٩٠٦م.

ولما وقع الانقلاب الشيوعي في روسيا عام ١٩١٧م، الذي كان أغلب المكتب

السياسي فيه ذلك الوقت من اليهود، وسمَّاهم المؤلف بأسمائهم[١].

وكان في مجلس الحرب والثورة أيضًا، منهم (٦) ستة يهود، كما أن مجلس الثورة الذي تولَّىٰ الحكم بعد نجاح الثورة الشيوعية البلشفية في روسيا عام ١٩١٧م كان يتكون من (٥٦٥) عضوًا منهم (٤٦٩) يهوديًّا.

بعد ذلك الانقلاب أرسلت جريدة «المورننج بوست» أحد كبار مراسليها «فيكتور مارسلان»، إلىٰ روسيا ليوافيها بأنباء الثورة البلشفية، فحرص قبل سفره أن يطالع بعض الكتب الروسية الموجودة في المتحف البريطاني، ومنها النسخة المذكورة من المقررات، ولما شعر بقيمتها وخطورتها ترجمها إلىٰ اللغة الإنجليزية، وطبعها ونشرها.

وقد طبعت خمس مرات حتىٰ عام ١٩٢١م، إذ كان اليهود يجمعونها في خلال يوم أو يومين من ظهورها في الأسواق، وبهذا يقول شوقي عبد الناصر: يكون فيكتور مارسدن أول من ترجمها في العالم أجمع.

أما في عام ١٩٠٥م فقد كان «نيلوس» قد طبعها بالروسية، ثم في عام ١٩١١م، ثم في عام ١٩١٧م، وهي السنة التي قامت فيها الثورة الشيوعية في روسيا، ولكن هذه النسخة صودرت كلها؛ لأن أكثرية المكتب السياسي في ذلك الوقت من اليهود.

وفي عام ١٩١٩م، ترجمت هذه «البروتوكولات» إلىٰ اللغة الألمانية، ونشرت في برلين، ولكن الكتاب اختفىٰ في بضعة أيام، بنفس الأسلوب السابق.

أما الطبعة الوحيدة التي ظهرت باللغة العربية ذلك الوقت فهي التي ترجمها الأستاذ: محمد خليفة التونسي، في كتاب باسم: «الخطر اليهودي، وبروتوكولات حكماء صهيون»[٢].

---

(١) لراغب التأكد منهم تراجع النسخة العربية من ترجمة: بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة شوقي عبد الناصر.

(٢) المصدر السابق ص (٤٣ – ٤٦).

ولكن فيما يظهر لي ومما اطلعت عليه من الطبعات لهذا الكتاب باسم بروتوكولات حكماء صهيون، أنها قد ترجمت عدة ترجمات إلىٰ اللغة العربية، مع اختلافات بسيطة، وبعض التعليقات كما جاء عند أحمد عبد الغفور في تبريراته، وأنه غير مقتنع من كلمة حكماء، وعلل السبب وصحة الترجمة، فخرجت نسخته بدون هذه الكلمة.

وقد انتشرت الطبعات في العالم العربي والإسلامي انتشارًا واسعًا، وخاصّة بعد الحرب بين العرب وإسرائيل، ولكنها الآن مختفية كلها من الأسواق، والحاجة تدعو لنشرها لمعرفة عنف ومكائد اليهود وخبثهم.

هذا من جهة، ومن أخرىٰ فإن الصهيونية العالمية هي ركيزة دولة العدوان الإسرائيلي في فلسطين، رغم أن زعماءهم بعدما انفضحت «بروتوكولات حكماء صهيون، قد نفوا علاقتهم بالصهيونية، وصار بعض السَّاسة في العالم العربي وغيره يرون اليهودية غير الصهيونية، بدليل وجود نصارىٰ صهاينة مثلما يوجد يهود صهاينة.

لكن الأمر واحد والخفايا المبيّتة متحدة، لا تتغير وإن تغيرت المسميات، فهما وجهان لعملة واحدة، حيث اتَّحدوا سويًّا في الجهود ودفع المال والتخطيط في إيجاد وطن لليهود، تنقلًا بين ٢٤ مكانًا في أنحاء العالم، حتىٰ استقر أمرهم علىٰ تطبيق وعد وزير الخارجية البريطانية «بلفور» بإسكان اليهود في فلسطين، ومساعدتهم في هذا[1]، وفي تقارب اليهود مع النصارىٰ في هذا الزمن واندفاعهم جيوشًا وإعلامًا وحربًا مادية وفكريًّا ضد العرب والمسلمين يطبِّقون المثل: أنا وابن عمي علىٰ البعيد، والبعيد عندهم هو الإسلام، وهذا ما دفع بأثرياء اليهود، علىٰ التقرب من الفاتيكان، ودفع الأموال الكثيرة، حتىٰ وصل بعض رجال الدين اليهودي إلىٰ مراتب عليا في السلم الكنسي

(١) ينظر في هذا مجلة تاريخ العرب والعالم التي تصدر في بيروت العدد (٢٠٩) بحث لأديب قعوار باسم إسرائيليات.

النصراني، ونتيجة لتأثيرهم أصدر البابا براءتهم من دم المسيح؛ ليخففوا بذلك ما في قلوب النصارىٰ عليهم من حقد وعداوة.

مع أن هذه البروتوكولات التي تناساها المفكرون ورجال الكنيسة تفضحهم وتدين اليهود علاوة علىٰ الأعمال السِّرِّيَّة، ويزيدها تأكيدًا ضلوعهم في مقتل الرئيس الأمريكي جون كندي وغيره.

وهذه الطباع في اليهود مما جعل الرئيس الأمريكي «بنيامين فرانكلين» يخوّف الشعب الأمريكي في عام ١٧٨٩م من هجرة اليهود إلىٰ أمريكا، وقد جاءت خطبته في مؤتمر الدستور في عدة مصادر.

ومن باب التذكير وتوجيه الأنظار سوف نورد كلمة الرئيس الأمريكي - إن شاء الله - في هذا الحديث عن البروتوكولات الصهيونية، وقد نوهنا في ثنايا هذا البحث لمقتطفات منها، ذلك التحذير الذي يجب أن يعرف بُعْدَهُ المسلمون والعرب والنصارىٰ في كل مكان عامة، والشعب الأمريكي إذا كانوا مهتمين بمكانة دولتهم خاصّة، لما تنطوي عليه الضمائر الخبيثة من أفكار سيئة، وعنف نحو البشرية كلها.

ولما في هذه البروتوكولات من تخطيطات بعيدة المدىٰ، لعل الله يجعل في ذلك يقظة تبطل كيدهم، ومعرفة يتولَّد عنها تفكير يقضي علىٰ نواياهم المبَيتة.

لقد ثارت عواطف اليهود في العالم، ويحرك ذلك إعلام موَجه، عندما زار البابا لأَول مرة الجامع الأموي، ووقف علىٰ قبري: زكريا ويحيىٰ عليهما السلام في دمشق وقفات الحزن، حيث تذكر أعمال ذلك اليهودي الإرهابي نحوهما.

ثم لما وقف الرئيس السوريُّ أمام البابا، مقارنًا ما يحصل في فلسطين ضدَّ الأطفال والنساء والمواطنين الأبرياء بما حصل للمسيح عيسىٰ عليه السلام من اليهود أنفسهم

غضب اليهود لذلك غضبة صهيونية ماسونية وتوالت تنديداتهم، وتصريحات أعوانهم في وسائل الإعلام الذي تديره أموال اليهود وتخطيطاتهم الإرهابية.

كل هذا ضد الرئيس السوريِّ وتصريحاته، متّهمين له - كالعادة - بالعداء للسامية، مع أن العرب من السَّاميين، ولكن يريدون احتكار السامية لهم.

فكان ردُّ الرئيس السوريِّ في كلمة الوداع للبابا في مطار دمشق بقوله: إنهم يتهموننا بالعداء للسامية، ونحن العرب كلُّنا ساميونَ.

إن المسلمين يؤمنون بالنبي عيسىٰ عليه السلام؛ لأنه رسول من عند الله، وأمه مريم الطاهرة، ويؤمنون بما جاء به من عند ربه، كما يؤمنون بأنه جاء بكلمة الله: فقال سبحانه «كن» فكان، ليس له أب، وأنه رسول إلىٰ بني إسرائيل مجدّدًا لرسالة موسىٰ عليه السلام.

ولا نقول فيه كما قالت بنو إسرائيل، ولا نؤيد ما تزعمه كبار اليهود في اتهامهم أمه العذراء بالفحش، ولا نعاديه أو نعادي أحدًا من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، بل نؤمن بهم جميعًا، ولا نفرّق بينهم، وبما أنزل عليهم من كتب، وكلّهم بشروا بمحمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

فقد حاول اليهود قتل عيسىٰ وصلبه، وادعوا كذبًا بأنهم قتلوه وصلبوه، تفاخرًا وتعاظمًا بفعلتهم القبيحة، ليزداد إثمهم عند الله.

هؤلاء اليهود الذين مهنتهم الكذب والمخادعة، يرهبون الناس في كل مكان، استمع إلىٰ ما وضعوه في تعاليم التلمود، مثل قولهم: اعترف الله بخطئه في تصريحه بتخريب الهيكل، فصار يبكي قائلًا: تبًّا لي، صرّحت بخراب الهيكل، وإحراق بيتي ونهب أولادي، (تعالىٰ الله عما قالوا علوًّا كبيرًا)، وقالوا أيضًا فيه سبحانه وتعالىٰ: ليس الله معصومًا من الطيش والغضب والكذب.

ويقولون في العهد القديم التلمود: نحن شعب الله في الأرض، وقد فرقنا الله لمنفعتنا، ذلك لأن الله سخّر لنا الحيوان الإنساني، وأهل كل الأمم والأجناس سخّرهم لنا؛ لأننا نحتاج نوعين من الحيوانات: نوع أخرس، كالكلاب والحمير والأنعام والطيور، ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين، وغيرهم من أهل الشرق والغرب، وسخر هؤلاء لخدمتنا، وفَرقنا في الأرض، لنمتطي ظهورهم كما نشاء، ونحركهم ونستغل علومهم وفنونهم لمنفعتنا.

لذا يجب علينا أن نزوجَ بناتنا الجميلات للملوك والأمراء والوزراء والعظماء، وأن ندخل أبناءنا في الديانات المختلفة؛ لتكون لنا الكلمة العليا في الدول والحكومات، فنوقع بينهم وندخل عليهم الخوف، ليحارب بعضهم بعضًا[1]، ومن ذلك كله نجني أكبر الفوائد.

وإذا كان هذا قولهم علىٰ الله - قاتلهم الله - فاستمع ما يقولون عن المسيح عيسىٰ عليه السلام، وما يبرز عندهم من حقد علىٰ النصَارىٰ الذين هم المحتضنون لهم، والمدافعون عنهم اليوم، وذلك ضمن تعاليم التلمود:

- إن يسوع الناصريّ موجود في لجان الجحيم، بين الرفث والقطران والنار، وإن أمّه مريم أتت به من العسكري - باندارا - بمباشرة الزنا. قاتلهم الله علىٰ هذا الافتراء وقد برأها الله من ذلك...

- إن الكنائس النصرانية بمقام القاذورات، وإن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة.

- يسوع المسيح ارتدَّ عن الدين اليهوديِّ، وعبد الأوثان، وكل مسيحي لم يتَهود فهو وثَني عَدو لله ولليهود، وليس من العدل أن يشفق الإنسان علىٰ أعدائهم ويرحمهم، ومصرّح

---

(١) كلمات يجب أن يعيها عمقًا وفهمًا كل مسلم أولًا، ليعمل بها، وكل نصراني ليحذرهم ولا يسمع لمطالبهم.

لليهوديِّ أن يوجه السلام للكفار - وهم من ليس يهودًا - علىٰ شرط أن يهزأ بهم سرًّا.

- علىٰ اليهود أن يعاملوا المسيحيين كحيوانات دنيئة، غير عاقلة، كما يجوز لهم الحلف أيمانًا كاذبة في معاملاتهم مع غير اليهود.

- علىٰ كل يهودي أن يلعن المسيحيين وغيرهم كل يوم ثلاث مرَّات، ويجوز له أن يقسم عشرين مرة كذبًا، ولا يعَرض اليهود للضرر(١).

- كنائس المسيحيين كبيوت الضَّالين، ومعابدهم كمعابد الأصنام، فيجب علىٰ اليهود تخريبها، كما يجوز لليهودي أن يشهد زورًا، وأن يقسم أن ما يقوله صحيح، وأن يؤول ذلك في سرِّه(٢).

فهل يوجد إرهاب وعداء أكثر من هذا؟ وهو قليل من كثير مما جاء في التلمود - العهد القديم - من الكذب وبثّ الرعب ضد النصارىٰ والمسيح عيسىٰ بن مريم عليه السلام من التهديد والهراء والسخرية والافتراء، مما يجب علىٰ النصارىٰ إدراكه، وأن هؤلاء أعداؤهم الألداء، وأنهم إنما يستغلونهم لصالح أنفسهم، وإذا تمكنوا قلبوا لهم ظهر المجنّ، فلا وفاء ولا عهد ولا صدق ولا إيمان.

ويستعرض شوقي عبد الناصر في البروتوكولات صفاتهم إجمالًا؛ حيث إن الأسفار اليهودية المقدسة عندهم هي خير ما يدينهم، ووفق ما جاء علىٰ ألسنتهم، فهي مليئة بما وصفوا به: بالدَّس والكذب والافتراء والخيانة والاحتيال والفسق والفجور والانحلال والجبن، والذلة والمسكنة التي ضربها الله عليهم، والغدر والخيانة، والانحرافات الدينية

---

(١) بعض الفرق الباطنية تتأسىٰ باليهود في هذه الأفعال والأكاذيب، كما ذكر ابن عذارىٰ المراكشي في تاريخه: البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب.

(٢) ينظر في هذا كله بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة شوقي عبد الناصر، الطبعة الثانية: من تعاليم التلمود.

والخلقية والاجتماعية، والسرقة والنهب والشَّره، وعبادة الذهب وحب المال، والوحشيّة وسفك دماء الآخرين وخاصَّة النساء والولدان والمستضعفين من الشيوخ.

بل أغرب من هذا أن اليهود يغيرون دينهم كيفما تكون مصلحتهم، فهذا الحاخام «بنحاس شيغمان» الأستاذ الجامعي في الجامعة العبرية قد أفتىٰ - ثم لما هوجم أيده غيره في تبرير هذه الفتوىٰ - بدعوة الناس لاغتصاب اليهوديات حتىٰ يزداد النسل اليهودي، لمواجهة المعركة السكانية في فلسطين(١).

هكذا جمع صفاتهم شوقي عبد الناصر في كتابه المترجم: البروتوكولات: المستقاة من أسفارهم وهي قليل من كثير من صفاتهم التي أرهبوا بها العالم قديمًا وحديثًا(٢).

الرئيس الأمريكي بنيامين فرانكلين يحذر من خطر اليهود:

وقد أدرك الرئيس الأمريكي بنيامين فرنكلين خطر اليهود علىٰ أمريكا، وأثر ذلك الخطر مع دسائسهم علىٰ المجتمع الأمريكي في وقت مبكر، واهتمَّ بتنبيه الأمريكان: حكامًا ومحكومين إلىٰ خطر اليهود، فأعلن في المؤتمر الذي انعقد لإعلان الدستور في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٧٨٩م إنذارًا شديدًا للشعب الأمريكي عن خطر اليهود ومكائدهم عليهم، حيث جاء في كلمته التاريخية المهمة قوله:

هناك خطر عظيم يهدّد الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك الخطر هو اليهودية، يجب الحذر منهم، فهم أيها السادة حيثما استقر اليهود نجدهم يوهنون من عزيمة الشعب، ويزعزعون الخلق التجاري الشريف، إنهم كوّنوا حكومة داخل الحكومة، وحينما يجدون معارضة من أحد فإنهم يعملون علىٰ خنق الأمة ماليًّا، كما حدث للبرتغال

---

(١) نشرت هذا جريدة المدينة يوم الجمعة ١٧ شعبان ١٤٢٥هـ، في ملحقها الرسالة صـ(٨) مفصلًا.

(٢) انظر كتاب بروتوكولات حكماء صهيون. ترجمة شوقي عبد الناصر صـ(١٣).

وأسبانيا، ومنذ أكثر من ١٧٠٠سنة وهم يندبون مصيرهم، لا لشيء إلَّا ادعاؤهم أنهم طردوا من الوطن الأم، ولكن تأكدوا أيها السادة أنه إذا أعاد إليهم اليوم عالمنا المتمدين فلسطين فإنهم سيجدون المبررات الكثيرة لعدم العود إليها أو الاكتفاء بها.

لماذا؟ الجواب: لأنهم مثل الطفيليات التي لا تعيش إلا علىٰ نفسها، فهم مصّاصو دماء، ومصاصو الدماء لا يعيشون علىٰ مصاصي دماء آخرين، فهم لا يستطيعون أن يعيشوا فقط فيما بينهم، أو مع بعضهم البعض، أنهم لابد أن يعيشوا بين المسيحيين، وبين الآخرين الذين هم ليسوا من جنسهم.

أنا أتفق تمامًا مع الجنرال جورج واشنطن في أننا يجب أن نحمي هذه الأمة الوليدة - يعني: الولايات المتحدة - من محاولات الاختراق والتأثير الماكر، وهذا التأثير أيها السادة هم اليهود، في أي دولة استوطنها اليهود بأعداد كبيرة، فإنهم قضوا فيها علىٰ الأخلاق، وهبطوا بروحها المعنَوية، وإذا لم يمنع اليهود من الهجرة إلىٰ الولايات المتحدة بموجب الدستور الأمريكي، ففي خلال (٢٠٠) عام سيصبح أحفادنا خادمين وعاملين في مزارعهم وحقولهم، بينما هم جالسون في بيوت المال يفركون أيديهم في نشوة، وسيحكموننا ويدمروننا ويغيرون شكل الحكومة التي ضحينا وبذلنا لإقامتها بدمائنا وحياتنا وأموالنا، وحريتنا الفردية.

أنا أحذركم أيها السادة: إذا لم تمنعوا اليهود، وتتجنبوهم في جميع الأزمان، فسيلعنكم أبناؤكم في قبوركم، وسيذكر الشعب الأمريكي كلامي هذا.

أيها السادة، دعوا اليهود يولدون أينما ولدوا، حتىٰ وإن ولدت أجيالهم أبعد ما يكون عن آسيا، فلن يكونوا شيئًا آخر، فأفكارهم لا تتوافق ولا تتماشىٰ مع أفكار الأمريكان، حتىٰ ولو عاشوا وسطنا... معنا... لعشرة أجيال.

فالنَّمر لا يستطيع أن يغيّر جلده، واليهود تهديد لهذا البلد، إذا سمح لهم بدخوله، ويجب أن يبعدوا عنه بواسطة هذا الدستور.

بنيامين فرانكلين[١]

- ومن هذه الكلمة ندرك حقيقة اليهود التي أدركها هذا الزعيم الأمريكي كما بينَها من قبل الله جلَّ وعلا في القرآن الكريم، وما تنطوي عليه خفايا هذه الأمة، علىٰ شعوب الأرض كلها، وجاء ذلك في آيات كثيرة من كتاب الله الكريم: القرآن.

كما ندرك أن لهم دورًا كبيرًا مع القشتاليين بأسبانيا في إسقاط دولة العرب وطردهم من الأندلس، ولكنهم - كما قال هذا الرئيس الأمريكي - لا وفاء عندهم، ولا يؤمن شرّهم، وكما وصفهم أمام رسول الله ﷺ حبرهم الذي هداه الله للإسلام: عبد الله بن سلام رضي الله عنه: أنهم قومٌ بُهْتٍ وغَدْر.

فهم يسيئون إلىٰ من أحسن إليهم، ويداهنون وينافقون كما هو المبدأ الذي ساروا عليه، فقد صدر لقادتهم قرار في عام ١٤٩٢م سموه قرار الثأر[٢].

ومن أجل قراراتهم السرية، التي جاءت في مثل هذا القرار وفي بروتوكولاتهم حرصوا علىٰ دقة التنفيذ، فمثلًا: صاموئيل زويمر، الذي كان أكبر قساوسة بريطانيا، المتوفىٰ عام ١٩٣٥م وكبير المبَشرين[٣] الذي يسمونه المعَلم، قيل: أنهم وجدوا في وصيّته عندما مات: بأن يدفن علىٰ الطريقة اليهودية، وله نظائر ممن وصل إلىٰ مرتبة عالية في السلم الكنسي، وخاصة في الفاتيكان معقل النصرانية، كما هي وصاياهم

---

(١) المصدر: بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود لشوقي عبد الناصر ص (٢١٤) وجريدة رسالة الإخوان الصادرة بلندن العدد (٢٠٩) الجمعة ٧ شعبان ١٤٢١هـ ٢/ ١١/ ٢٠٠٠م النص الإنجليزي والترجمة.

(٢) ارجع إليه في صفحة (١٢٣، ١٢٤) من هذا البحث.

(٣) الأصح أن يقال: المنصرين.

المزورة في التلمود، بالتحريض لدخول الديانات الأخرىٰ لتحقيق مآربهم.

وكتاب بروتوكولات حكماء صهيون، وتعاليم التلمود الذي نحن بصدده لشوقي عبد الناصر ترجمة وعرضًا، كتاب يستحق أكثر من وقفة وتحليل أطول، لما جاء فيه، ومن ثم تقريب ما حوىٰ بين دفتيه للواقع الذي نعيشه اليوم، حيث تسلّط اليهود بفكرهم، وكشفوا القناع عن مقاصدهم نحو دين الله الحق: الإسلام وحماته، وتبيّن نفوذهم الموجه في الإعلام المسيطرين عليه، وتسخير أهدافهم في المعترك السياسي.

فهو كتاب يحتوي علىٰ أربعة وعشرين مادة أو بروتوكولًا، يدبّر اليهود في كل واحدة من هذه المواد خططًا ومكائد للبشرية كلها في أي موقع من الأرض بعمل تعَاوني، يريدون من ورائه بسط النفوذ والسيطرة علىٰ العالم بأسره، والتّحكم في مصائر شعوب الأرض، ضمن حلمهم الذي يدبّرون فيه: أن يكون العالم بأجمعه، أممه وخيراته، اقتصاديًّا وعسكريًّا، وعلميًّا وفكريًّا، وتربويًّا وزراعيًّا، وغير ذلك مما في الأرض من معارف وعلوم وبشر، لتكون مسخرة لهم، وتحت هيمنة حكمهم، بقيادة ملكهم ومستشاريه، كما مرَّ في قرار الثأر، في وصايا الحاخام الأكبر والأحبار إلىٰ يهود أسبانيا في القرن الخامس عشر الميلادي.

وحتىٰ نعطي القارئ الكريم فكرة عن غاية هذه البروتوكولات نورد واحدًا منها، هو البروتوكول (٢٤) الذي جاء فيه هذا النص:

البروتوكول الرابع والعشرون:

والآن سأعالج الأسلوب، الذي نقوّي به دولة الملك داود - التي يحلمون بها - حتىٰ تستمر إلىٰ يوم القيامة.

إن أسلوبنا لصياغة الدولة سيشتمل علىٰ المبادئ ذاتها التي سلّمت حكماءنا زمام

العالم، أي: توجيه الجيش البشري كلِّه وتعليمَه.

إن أعضاء كثيرين من نسل داود سوف يعدّون ويربون الملوك ومن يخلفونهم، وهؤلاء لن ينتخبوا بحقٍّ الوراثة، بل بمواهبهم الخاصَّة، وهؤلاء الخلفاء سيتعمّقون فيما لنا من أفكار سليمة: سياسية سرِّية، وخطط للحكم - في حذر وسرية تامة - خشية أن تقع في يد أي إنسان آخر من أعدائنا القوييم.

ستكون هذه الإجراءات لازمة وضَرورية حتىٰ يعرف الجميع أن من يقدرون علىٰ الحكم إنما هم الذين تَعمقوا تَعمقًا في أسرار الفنِّ السياسي وحدهم، وهؤلاء الرجال وحدهم سيدرّبون علىٰ كَيفية تطبيق خططنا تطبيقًا عميقًا، مستغلين تجاربنا خلال قرون طويلة.

إنهم سيتَعمقون في دراسة المناهج والنتائج المستخرجة من كل ملاحظات نظامنا السياسي والاقتصادي وكل العلوم الاجتماعية، إنهم بإيجاز سيعرفون الرُّوحَ الأصلية للقوانين التي وضعتها الطبيعة نفسها لحكم الجنس البشري، وسيغير الأشخاص التالون مباشرة للملك، إذا ما حدث وانساقوا وراء شهواتهم، أو وجد أثناء تدريبهم أنهم ضعاف النفوس، أو إذا بدا منهم ما يدل علىٰ ميل ضارٍّ بالسلطة، فإن هذا كله يعَرض كرامة التَّاج للخطر.

ولن يأتمن شيوخنا علىٰ زمام الحكم إلَّا الرجال القادرين علىٰ أن يحكموا حكمًا حازمًا وعنيفًا.

إذا مرض ملكنا أو فقد القدرة علىٰ إدارة الحكم فسنضطره إلىٰ تسليم الحكم إلىٰ من أثبتوا من أسرته أنهم أقدر علىٰ الحكم.

إن خطط الملك العاجلة - وأهم منها خططه المستقبلة - لن تكون معروفة حتىٰ لأقرب مستشاريه، ولن يعرف خطط المستقبل إلَّا الحاكم والثلاثة الذين درّبوه.

وسيرىٰ الناس في شخص الملك - الذي بإرادة لا تلين، وسيروض نفسه كترويضه للإنسانية - مثلًا أعلىٰ للقدر، ولن يعرف أحدًا أهداف الملك الحقيقية حين يصدر أوامره، ومن أجل ذلك لن يجرؤ أحد علىٰ اعتراض طريقه السري.

ويلزم أن يكون للملك عقل قادر علىٰ تنفيذ خططنا، ولذلك لن يعتلي العرش قبل أن يتأكد حكماؤنا من قوته العَقلية، ولكي يكون الملك محبوبًا معظمًا من كل رعاياه يجب أن يخاطبهم علانية، عدة مرات كثيرًا، فمثل هذا الطريق ستجعل القوتين في وفاق تام.

ونعني بالقوتين: قوة الشعب، وقوة الملك، اللّتين فصلنا بينهما في البلاد الأممية «غير اليهودية» بإبقاء كل منهما في خوف دائم من الآخرين.

ولقد كان لزامًا علينا أن نبقي كلتا القوتين في خوف من الأخرىٰ؛ لأنهما عندما انفصلتا وقعتا في أيدينا، وعلىٰ ملك إسرائيل أن لا يقع فريسة لأهوائه الشخصية، ولا سيما الشهوانية منها، إن قطب العالم في شخص الحاكم العالميِّ الخارج من بذرة إسرائيل ليطرح بعيدًا كل الأهواء الشخصية بما فيها الشهوانية، ومن أجل مصلحة شعبه.

«وقع هذه التعليمات الوثائقية ممثلو صهيون من الدرجة ٣٣»[(١)].

والدرجة (٣٣) هي أعلىٰ مرتبة في درجات الماسونية، كما ذكر ذلك الدكتور: محمد الزَّعبي في كتابه: الماسونية في العراء... الذي أبرز فيه تجربته في الماسونية بعد أن خرج منها، وحاولوا قتله كما هي عادة الماسونية حتىٰ لا تنفضح أسرارهم التي هي أفكار حكماء صهيون.

إنها مخططات شيطانية كما حكم عليها عقلاء ومفكرو الغرب، يضحون في سبيلها بكل شيء، وليس من المستبعد أن مثل شن الوزيرة الصهيونية والحاخام اليهودي،

---

(١) ينظر ص (٢٠٢ - ٢٠٤) من بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة شوقي عبد الناصر.

ومثله ما جرىٰ في بعض الفضائيات من مقابلات مع رجال دين يهود في جهات مختلفة من الأرض عام ١٤٢٢هـ، من انتقاد وهجوم علىٰ سياسة الجيش الصهيوني وقياداته في الأعمال القمعية العنيفة ضد الشعب الفلسطيني، أن ذلك لم يكن في نظري إلا من باب ذرّ الرماد في العيون، بعد أن برزت أصوات غربية في أوربا وأمريكا خاصة، تستنكر الجرائم التي حصلت في غزة وجنين، وفي المخيمات الفلسطينية من رغبة في الإبادة وحرق الأرض: قديمًا وحديثًا منذ أيام: دير ياسين، وصبرا وشاتيلا، وحتىٰ الآن، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾[1].

❋ ❋ ❋

(١) سورة الأنفال، الآية (٣٠).

١٧- من يحرك الفتن؟

الفتن: جمع فتنة، يقال: فتن المعدن إذا صهره بالنَّار ليختبره، وفلان فتن فلانًا ليحوله عن رأيه أو دينه، وفي التنزيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾[١]، والفتَّان: الشيطان، واللص الذي يعرض للرفقة في طريقهم، والفتانَان: الدرهم والدينار.

والفتنة: الإعجاب بالشيء، والاستهتار به، وبلبلة الفكر، والعذاب والضَّلال، وفتنة الصدر: الوسواس[٢]، هذا هو تعريفها اللغوي.

والفتنة أو الفتن: كالنار تحت الرماد ساكنة هادئة، حتىٰ يأتي من في قلبه مرض، وجبلت علىٰ الشرِّ نفسه، وذلك لحبه للشر والفساد.

ومن كان كذلك فإن حواسَّه لا تهدأ، وخلجات قلبه لا تسكن إلا علىٰ السعي في إشعال فتيل نار الفتنة؛ لأنه شقي من الأشقياء، ويدفعه لذلك مرض في قلبه، ولوثة في فكره... سواء كان ذلك طبعًا في نفسه، أو تطبعًا لتأثره بمن أغواه.

وما ذلك إلَّا أن صاحب الطَّبع تنمو فيه الخصلة منذ حداثة سنه بأساليب مختلفة في التعَامل مع الآخرين، وفي حرصه علىٰ أن يفتح باب الفتنة كلما سنحت له الفرصة، وفي رغبته في العدوان فتبدأ معه الإثارة صغيرة، ثم يسعىٰ جاهدًا في تكبير الصغائر وتجسيم الأمور... وتأليب من يتعاطف معه، أو يرضىٰ بباطله، أمَّا صاحب التطَبع: فإنه صاحب الوفاض الخالي، والسَّذاجة في الإدراك، وقصر النظر في الأمور، يأتي من ينفخ

---

(١) سورة البروج، الآية (١٠).

(٢) المعجم الوسيط (٢/ ٦٧٣).

في روعه ويوغر صدره علىٰ الفئات الغافلة... بعد تجسيم الأمور وتخطئة الآخرين - لمآرب في نفس صاحب الطبع - ؛ ليكون بوقًا ينفخ فيه، ولجهله: أصبح دمية في أيدي أصحاب الأهواء يحركونه لمصالحهم كيفما شاءوا، ويستغلونه في عمل ما يريدون.

فيتعاون المؤثر والمؤثَّر فيه في تعاملهما الإفسادي والتدميري في عملهما المشترك، الذي يعتقد أنه خادم للهدف المشحون بالأكاذيب والضَّلَالات لخدمة الفكرة التي جعلاها شعارًا لما يراد من شرٍّ. والله سبحانه يمتحن قلوب أهل الإيمان بالصبر علىٰ الفتن وحسن التحَمل في مقابلتها، دون أن تمسَّ جوهر العقيدة، أو يكون ميل للفتنة ودعاتها، يقول سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾[1].

وعندما يشعل فتيلها بسبب أو بدون سبب ظاهر، ويبدأ تسعيرها يَتسع كالحريق في الهشيم الذي يأكل الأخضر واليابس، يتهافت شياطين الإنس وأهل الأهواء ومن في قلبه مرض، سواء كان بالنفاق مرض الشهوة والهوىٰ، أو مرض التقليد والسير بغير هدف، كل من جانبه يزيد نارها اشتعالًا؛ لأن القلوب لم تحصّن بالإيمان الصادق، ولأن الفكر الخاوي لم يكن فيه نور يجلأ صدأه.

والفتنة أنواع: منها فتنة المال، وفتنة النساء، وفتنة الهوىٰ وحب التسلط، وفتنة الشهوات، وفتنة الشبهات، وفتنة الولد والأهل، وفتنة الجور والبغي.

وأشدُّ هذه الفتن: فتنة الدين، وكان من دعاء رسول الله ﷺ: «**ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا**»، واستعاذ رسول الله ﷺ: «**من فتنة المسيح الدجَّال**».

والناس - علىٰ حسب منزلة الإيمان من قلوبهم - يفتنون في أنفسهم، وفي أهليهم، وفي أموالهم، وفي أولادهم.

(١) سورة الفرقان، الآية (٢٠).

وقد جاء لفظ الفتنة مفردة ومجموعة واشتقاقها في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ (٦٠) ستين مَرة؛ لما وراءها من معاني ودلالات، لكن أشدَّها نكاية: من يسعىٰ في الفتنة، ومن يحركها من سكونها حتىٰ يتعالىٰ لهبها في المجتمع، وتظهر آثار ذلك بالآثار السيئة.

وإذا تأملنا ما جاء في كتاب الله من آيات الفتن، فإن المستقرئ لها بتمعن، وفي ربط آخر الآية بأولها، أو بالسياق والدلالة، فإنه يجد أغلبها يرتبط بأصحاب الأهواء من أهل الكتاب المعادين لرسول الله، وما جاء به من الحق من رَبه جل وعلا، كما يرتبط الجزء الآخر بالباطنيين من المنافقين ومن ارتبط بهم، ممن يظهر الإسلام، ويبطن الكفر، فهم علىٰ منهج واحد مع أهل الكتاب: في معاندة للحقِّ، ورغبة في زعزعة الأمة، وفتح ثغرة ينفذ منه العدوُّ للتَّشكيك في تعاليم الإسلام، رغبة في تخفيف ثقله علىٰ بعض النفوس، يقول سبحانه في السحر، الذي هو فتنة من الفتن، وشرٌّ يفسد المجتمعات، ويفكك الأسر: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[1].

وخطب رسول الله ﷺ، كما روىٰ الإمام أحمد بسنده إلىٰ أبي سعيد الخدريِّ، قال: صلىٰ بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر ذات يوم بنهار، ثم قام خطيبًا، إلىٰ أن غابت الشَّمس، فلم يدع شيئًا مما يكون إلىٰ يوم القيامة إلَّا حدثناه: حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه، فكان مما قال: «**يا أيها الناس، إن الدنيا خضرة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**» إلىٰ آخر الحديث[2].

ولَمَّا كان رسول الله ﷺ يحَذر أمته من الفتن، ويدعوهم إلىٰ عدم الخوض فيها، بل واجتنابها، والانعزال عمَّن دخل فيها في مثل هذا الحديث الذي رواه البخاري بسنده إلىٰ

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٠٢).

(٢) ينظر مسند الإمام أحمد في الفتن، وكتاب النهاية لابن كثير: (ج١/ ص١٤).

حذيفة بن اليمان ﷺ - أمين سرِّ رسول الله ﷺ -، وأورده البخاري في باب الفتن، قال أبو إدريس الخولاني: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشَّر مخافة أن يدركني.

فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشرٍّ، فجاء الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟. قال: «**نعم**». قلت: وهل بعد ذلك الشرِّ من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دَخَن**». قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**». قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاة علىٰ أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**». قلت: يا رسول الله، صِفهم لنا. قال: «**هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**».

قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**». قلت: فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة، حتىٰ يدركك الموت وأنت علىٰ ذلك**»(١).

حتىٰ أنه يؤمر من عنده سيف أن يغمده ولا يخوض في الفتن التي تموج في مجتمع المسلمين كما يموج البحر، ولذا اهتمّ العلماء بهذا الجانب، وأفردوا بابًا مستقلًّا من أبواب الحديث، سمَّوه باب: الفتن.

حصروا فيه أحاديث رسول الله ﷺ؛ حتىٰ يعرف المسلم مداخل الفتن والمخرج منها، كما اهتم علماء التفسير - رحمهم الله - في توضيح دلالة كتاب الله جلّ وعلا، وعند مرورهم بأيِّ آية فيها ذكر للفتنة بتجلية الأمر، والتحذير من كل فتنة دلّت عليها آية من كتاب الله.. وبيان ما تدلُّ عليه ومناسبتها.

كل هذا جاء في شرع الله؛ ليعرفه المسلم، وليحذر من الخوض فيه، وندرك من

---

(١) يراجع صحيح البخاري المتن ج٥ باب الفتن ص (٧٢٩ - ٨١٣) وفيه أحاديث أخرىٰ، وانظر النهاية لابن كثير (١/ ١٦).

وراء ذلك أن الظالمين والمفسدين والفئات المنحرفة والضالَّة من البشر، هم مشعلو الفتن، ومحرّكوها من سكونها، وهم الموقدون نارها، حتىٰ يتوقعوا منها تحقيق الاضطراب والفوضىٰ في المجتمع، ويفتر الجهَّال والأحداث الذين لا يدركون العواقب، ولا نتيجة ما يسعون فيه، ولا عن نوايا من يحرِّكهم ويغذِّيهم: فكرًا ومالًا وتخطيطًا وحماسة وفتيا، فإذا وقعت تأثر بلظاها المحسن قبل المسيء، ويحتار فيها الحليم: سببًا ومسببًا، لمخالفة السَّاعي فيها، والمحرك لها لشرع الله، ألم يقل سبحانه آمرًا ومحذرًا من الفتن ونتائجها أهل الإيمان: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾[(١)]؟

ولفهم صحابة رسول الله ﷺ للنصوص الشرعية، ومخافتهم، علىٰ دينهم أن يدنّس، وحرصهم علىٰ حسن الاتباع، فإنهم يسألون ليطبّقوا، ويتخوّفون من الفتن، يبين ذلك من الذي رصد في أحاديث الفتن، وملاحقتهم ﭫ لمن عرف عنه حديث واحد في الفتن، حتىٰ يستفيدوا ويعلّموا من بعدهم، وتحذيرهم ممّن بانت لهم علامات في محبة الفتنة: إما باللفظ اللِّساني، أو التعاطف الوجداني، حتىٰ إن حذيفة بن اليمان - كما مرَّ بنا نموذج من ذلك -، كان يخاف الفتنة، ويسأل؛ ليتحاشىٰ الوقوع فيها؛ لأنها شرٌّ، وقد اشتهر من بين الصحابة بهذا الجانب، كما بيَّنه عن نفسه بقوله: كان الناس يسألون عن الخير، وكنت أسأل عن الشرِّ مخافة الوقوع فيه... وهو في هذا السؤال يأخذ الجواب من رسول الله ﷺ.

ولا شكَّ أن الفتن بأنواعها، وما وراءها من نتائج، وما يستعمل في سبيلها من وسائل سواء كانت إعلامية بالأكاذيب والافتراءات، أو عملية بالتخريب والقتل، وإخافة الآمنين، كلها شرٌّ وفساد، والله لا يحب الفساد، والشرُّ عمل شيطاني؛ لأن أول

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٢٥).

من قاد إليه: عدوُّ الله إبليس، ونشر أعماله وسعىٰ فيها أعوانه من شياطين الإنس، حيث قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾[1].

والخير والشر أمام الإنسان، وقد أوضحت شريعة الإسلام بمصدريها - الكتاب والسنة - منافع الخير، والطرق المؤدِّية إليه، ومضارَّ الشرِّ والدعاة إليه، والنتائج الَّتي يصل إليها من سعىٰ فيه ابتداء أو دخله مقُودًا إليه ترغيبًا أو ترهيبًا، أو سوء فهم لقلة بضاعته في فهم دينه، وفقه الحوادث وما يجب عليه حيالها.

ولتصارع الخير والشرِّ أمام الإنسان فقد جعل الله للإنسان سمعًا وبصرًا، ومنحه فؤادًا حتىٰ يميِّز بين هذا وذاك، ويقارن بالآثار والنتائج... لتقوم عليه الحجّة في حالة انحرافه... وميوله مع الشرِّ، ولا يعذر بالجهل لبيان الحقِّ؛ لأن الله أمر بسؤال أهل العلم المعتبرين؛ ليبيّنوا له الطريق السليم الذي وضّحته الآية الكريمة، وشرحه رسول الله ﷺ لصحابته، والأمة بعدهم تبع، يقول سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[2].

فقد خطَّ رسول الله ﷺ خطًّا مستقيمًا، ووضّحه بأول هذه الآية، بأن دين الله وشرعه الذي شرعه لعباده واضح لا اعوجاج فيه، ثم خطّ خطوطًا جانبية منحرفة عن الخطِّ المستقيم، وقرأ أمام أصحابه بقيّة الآية، وحذّر من هذه الطرق وهي التي تمثّل الفتن ومن سلوك طُرُقها؛ لأنها شرّ، وتدعو إلىٰ شرور عظيمة، فيها الخلاف والإبداع والفرقة عن الجماعة، ونشر الفوضىٰ في المجتمع.

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١١٢).

(٢) سورة الأنعام، الآية (١٥٣).

أما المستقيم فهو الطريق الذي أمر الله نبيَّه بتوجيه الناس إليه، وهو طريق الخير، ويوصل إلىٰ كل ما فيه نفع وخير.

ومَن التبست عليه الأمور، واحتار عن الطريق الأسلم، خاصة وأن طريق الشرّ عليه دعاة يرغّبون فيه، ويلبّسون علىٰ الآخرين، وذلك بالتّزيين وزخرف القول، هنا يتعين علىٰ راغب النجاة أن يبتعد عن الدعاة المغرضين وعلماء الضّلال الذين يفتون بغير ما أنزل الله، ويتجرءون علىٰ الفتيا بغير علم، ويتجه إلىٰ العلماء الربانيين المعروفين بالورع والعلم والفهم الصحيح في الاستدلال وتمحيصه، لسؤالهم والاسترشاد منهم عن الطريق السليم، الذي يجب أن يسلكه السائل، حتىٰ يتجنّب الفتن ومساربها، وهم الذين عناهم الله سبحانه بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾(١).

لأن خشيتهم لله، وخوفهم من عقابه، عندما يفتون بغير حقٍّ، أو بالكذب، يخيفهم من الجرأة علىٰ الله، حتىٰ لا يضلّ أحد بسببهم، فيتحمّلون إثمه زيادة عن إثمهم، هؤلاء العلماء هم الذين أمر الله بسؤالهم والتلقّي عنهم في قوله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢).

وأهل الذكر هم العلماء أهل الورع والتّقىٰ، الذين اهتدوا بهدي الله، وامتثلوا سنّة رسول الله ﷺ، واقتدوا بفهم الصحابة رضوان الله عليهم ومنهجهم في المأخذ الحسن، والعطاء الذي طبّقوه في أنفسهم أولًا، ليؤخذ عنهم قدوة، ونشروه في الفتوىٰ إبراء للذمّة، وخوفًا من عقاب كتمان العلم.

فقد روىٰ أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ معاذ بن جبل الصحابيّ الجليل رضي الله عنه كان لا يجلس

---

(١) سورة فاطر، الآية (٢٨).

(٢) سورة النحل، الآية (٤٣).

مجلسًا للذكر إلّا قال: «الله حَكَم وعدل، هلك المرتابون، إن وراءكم فتنًا يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن، حتىٰ يأخذه المؤمن والمنافق، والرّجل والمرأة، والصّغير والكبير، والعبد والحرّ، فيوشك قائل أن يقول للناس: ألا تتبعوني، وقد قرأت القرآن؟ ما هم بمتّبعيّ حتىٰ ابتدع فيهم غَيرهُ، فإيّاكم وما ابتدع، فإنّ ما ابتَدَعَ ضلالة، وأحذركم زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة علىٰ لسان الحكيم، ويقول المنافق كلمة الحقّ»[1].

أما عبد الله بن مسعود ﷺ، وهو الصحابي المشهور بعلمه وورعه، فإنه يقول: «ما أنت بمحدّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلّا كان لبعضهم فتنة»[2]، ويمكن الاستدلال من فهم الصحابة علىٰ كل فتنة تمر بالمسلم، ومن ذلك ما أراده الأعداء بالمملكة في الآونة الأخيرة وما تبعها من تفجيرات وإرهاب.

فالصحابة رضوان الله عنهم نموذج للعلماء الربانيين، والعلماء هم ورثة الأنبياء، عرفوا حقيقة الإسلام من مصدريه وبسؤالهم المعلّم الأول رسول الله ﷺ، فكانوا عارفين ومدركين، ووقفوا في التّصدي للفتن والضلالات، لأن من كان بالله أعرف، كان منه أخوف.

وباستقراء شرع الله نجد نماذج للأشقياء الأشرار، الذين حرّكوا الفتن، وصار وراءها عقاب من الله عاجل، وآثار سيئة في الأمم، علاوة علىٰ انعكاسها علىٰ من سعىٰ فيها، وتفرّج العدو علىٰ الواقع الذي وقع فيه أهل الحقّ... مستأنسًا لهذه البادرة في المجتمع الإسلامي؛ لأنها تخدمه لتحقيق مآربه في مثل:

١-قوم صالح عليه السلام لّما عصوا الله وكفروا بنبيّهم صالح، كان إفسادهم في قتل

---

(١) ينظر كتاب: الحوادث والبدع للطرطوشيّ الفهريّ الأندلسي رَحِمَهُ الله ص(١٠٢ - ١٠٣).

(٢) رواه البخاري برقم (١٢٧).

الناقة التي هي آية من الله، وحرّك الفتنة التي كانت سببًا في هلكة القوم، حسبما جاء خبرهم في القرآن الكريم... يقول سبحانه في مشعل فتيل الفتنة: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ۝١٢﴾[١]، قال السيوطي في تفسيره: أي: أشقىٰ القبيلة، وهو قدار بن سالف عاقر الناقة، وهو أحيمر ثمود الذي قال فيه ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۝٢٩﴾[٢]، وكان هذا الرجل عزيزًا فيهم، شريفًا في قومه، نسيبًا رئيسًا مطاعًا، فعن عمّار بن ياسر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: «**ألا أحدثك بأشقىٰ الناس؟**» قال: بلىٰ. قال: «**رجلان: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي علىٰ هذا** – يعني: قرنه – **حتىٰ تبتل منه هذه** – يعني: لحيته –»[٣]، والذي قتل عليًّا هو من الخوارج: عبد الرحمن بن ملجم، وهم باطنية.

٢–يتآمر الكفرة علىٰ أنبياء الله، ويقود فتنتهم للإضرار بدعاة الحق، والكيد لدين الله شرار القوم، الذين يتآمرون علىٰ النبيّ باعتباره المبلّغ عن الله، بعد أن تغلّبت عليهم الشقاوة، يقول سبحانه عن قوم صالح عليه السلام، الذين ديارهم شمال مدينة رسول الله ﷺ: ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ۝٤٨ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٤٩﴾[٤].

قال ابن كثير رحمه الله **في تفسيره**: المدينة هي مدينة ثمود، فيها تسعة أنفار يفسدون في الأرض، وإنما غلب هؤلاء علىٰ أمر ثمود؛ لأنهم كانوا كبراءهم، قال ابن عباس: هؤلاء هم الذين عقروا الناقة، أي: الذين صدر ذلك عن رأيهم ومشورتهم، قبّحهم الله، والمقصود: أن هؤلاء الكفرة الفسقة كان من صفاتهم الإفساد في الأرض بكل طريق

---

(١) سورة الشمس، الآية (١٢).

(٢)سورة القمر، الآية (٢٩).

(٣) الدر المنثور للسيوطي (٨/ ٥٣١).

(٤) سورة النمل الآيتان (٤٨، ٤٩).

يقدرون عليه[١].

فكل دعوة صالحة، وكل نبي من أنبياء الله، يقيض الله له شقيًّا يثير الفتنة ضده وضد دعوته، ولكن الغلبة للحق، والنصرة لمن ينصر دينه.

٣-أما في عهد رسول الله ﷺ، فكان من رؤوس المنافقين المثيرين للفتنة ضد رسول الله ﷺ عبد الله بن أبيّ بن سلول، الذي جاء ذكره في سورة المنافقين يقول سبحانه: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[٢]، يعني بالأعز: نفسه، وبالأذلّ: رسول الله، فلمّا سمع ابنه مقالة أبيه ضد رسول الله أخذ سيفه، فأناخ علىٰ مجامع طرق المدينة فمنعه من دخولها حتىٰ يأذن رسول الله ﷺ، فأذن له، فخلّىٰ ابنه رضي الله عنه الطريق لدخوله، وقال: والله لو أذن لي رسول الله في قتله لقتلته... لأنّه علم أن والده من مثيري الفتنة وزعمائها، فقدّم الدفاع عن رسول الله ودين الحق علىٰ والده لإثارة الفتنة.

وقد أبان البغوي في تفسيره علىٰ هذه السورة نماذج من منافقي المدينة وإثارتهم للفتن[٣]، ورأسهم عبد الله بن أبي هذا.

وفي هذا السِّياق جاء خبر الريح الشديدة التي آذت الناس وتخوّفها، فقال لهم ﷺ: «**لا تخافوا، فإنّما هبّت لموت عظيم من عظماء الكفّار، توفي بالمدينة**» قيل: من هو؟ قال: «**رفاعة بن زيد بن التابوت**»، وكان من عظماء اليهود وكهفًا للمنافقين، أما ابن سلول فلم يلبث بعد عودته للمدينة إلّا أيامًا قلائل حتىٰ اشتكىٰ ومات... والمنافقون يفضح مرض قلوبهم أعمالهم المثيرة للشر والفساد.

---

(١) التيسير لتفسير ابن كثير تعليق الدكتور عبد الله بن إسحاق (٣/ ٣١٤).

(٢) سورة المنافقين، الآية (٨).

(٣) تفسير البغوي: معالم التنزيل (٨/ ١٣٠ - ١٣٣).

٤-ويهود المدينة حسدوا رسول الله ﷺ لمّا وصل المدينة وناصبوه العداء، وعلىٰ رأسهم حييّ بن أخطب رأس يهود المقدم فيهم، وكعب بن الأشرف تاجرهم، فكانوا يحرّضون مشركي مكة والأعراب حول المدينة، ويتآمرون مع المنافقين ويدفعون أموالًا، ويقدمون آراء تضر برسول الله، حيث حزّبوا العرب وجاءوا بهم في حملة كبيرة إلىٰ المدينة، رغبة في استئصال شأفة الإسلام والقضاء علىٰ رسول الله، ونقض اليهود عهدهم مع رسول الله ﷺ؛ لأنهم ظنوا خطتهم الدنيئة ناجحة، وأحزابهم الذين اجتمعوا حول المدينة وأنفقوا عليهم أموالًا، ودبّروا خططًا - جاء ذكر بعضها في سورة الأحزاب - كفيلة بتحقيق المآرب.

وقد بيّن الله كيدهم، ونشر خزيهم سبحانه حتىٰ يعرفه المسلمون، ويدركوا فضل الله الذي صرف عنهم هذه الفتنة، ولتكون عبرة وعظة، لمعرفة الطوابير التي تندسّ في صفوف المسلمين، لإضعافهم وتثبيط هممهم، ولتقوىٰ رابطتهم بالله الناصر المعين سبحانه.

وسورة التوبة والمنافقون فيهما بيان إثارة الفتنة من المنافقين والباطنيّين المندسين بين المسلمين، ونماذجهم بارزة في كل عصر، ومع كل فتنة تظهر: صغرت أو كبرت.

وسورة البقرة وآل عمران والمائدة فيها تعرية لأعمال اليهود وكيدهم المبيّت ضد كل أمرٍ يرفع راية الحق، وكل هذا من النّماذج التي يجب أن يعتبر بها المسلم، ويأخذها قاعدة، بأن الفتنة تدور: إثارة وتتبّعًا وسعيًا، في أفئدة من ضعف الوازع الإيماني في قلوبهم، ومن يضمر الشرّ، ويحب الفساد... والله لا يحب الفساد[١].

---

(١) يراجع عن أعمال المنافقين في المدينة، وما يعمله اليهود وعلىٰ رأسهم حيي بن أخطب وأعوانه، وكعب بن الأشرف =

فالفتنة مرض خطير، لا ينزعه من القلوب إلا قوة الإيمان وتقوىٰ الله سبحانه، وذلك بمراقبته جل وعلا في السر والعلن.

❋ ❋ ❋

=

وغيرهم؛ السيرة النبوية لابن هشام، وكتب التفسير لسورة المائدة والتوبة والأحزاب وغيرها، مما يكشف مثيري الفتنة ضد رسول الله ﷺ، وضد دين الله الحقّ.

١٨- الفتن والمخرج منها

ولما كانت أعمال هؤلاء هذه قد فتحت بابا من ابواب الفتن، وهي سنة سيئة، كما قال ﷺ: «من سنّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة»[١].

فإننا ندعوهم مشفقين عليهم وعلىٰ من يشايعهم إلىٰ قفل هذا الباب والخروج من هذه الفتن بيسر وسهولة، وذلك بالتبرؤ من هذا العمل، وممن دفعوهم إليه ويصعبون عليهم الخروج من هذه الفتنة.

إلا أنكم يجب عليكم مخالفتهم؛ لأن الخروج من الفتنة قد يسره الله، وذلك بالتوبة الصادقة، والعزم بعدم العودة في هذا العمل، وقد أعانكم ولي الأمر بالعفو عمن تاب وأناب، وأصدق من ذلك رسول الله ﷺ في قوله: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[٢].

ولذا ندعوكم إلىٰ المبادرة لمراجعة النفس في ساعة صفاء وتعقل كما تعقل بعضكم من قبل عندما رجع إلىٰ جادة الصواب، ورأىٰ من يد الدولة وعدالتها وحسن المعاملة والتسامح ما أراحه في الحوار الفكري المستمد من كتاب الله وحديث رسوله ﷺ، وبعد ذلك نسألكم عن أمرين متضادين:

الأول: ما الهدف وما المصلحة من هذا الأمر؟ وهل الفتن التي دخلتم فيها توافق شرع الله وما قاله رسول الله ﷺ وما حرص عليه العلماء: قديمًا وحديثًا في الفتن؟

- فإذا رجعنا إلىٰ كتاب الله رأينا آيات كثيرة فيها تحذير من الدخول في الفتن؛

---

(١) من حديث مطول رواه مسلم في الزكاة برقم (١٠١٧)، والنسائي في الزكاة برقم (٥/ ٧٥، ٧٦) عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير. كشف الخفاء (١/ ٢٩٦).

لأنها شر، وضررها واضح يقول الله سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾[1].

- ورسول الله ﷺ حذر من الفتن، وبين المخرج منها، كما في أحاديث اختص بها حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أمين سرّ رسول الله ﷺ، وجاء في ذلك: «أن الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها»، وأن من المخرج منها: «اعتزال الناس فيها، وكسر السيف حتىٰ لا يستعمل فيها، والاعتزال في شعب من الشعاب»[2].

الثاني: ماذا جنت الأمة حتىٰ تجروها إلىٰ الفتن؟ وهل لكم أجر عند الله بهذا العمل؟ أم هو المخالفة الشّديدة وبإصرار لمعصية أمر رسول الله ﷺ، فيمن سن سنة سيئة في الإسلام؟ حيث يتحمّل وزرها ووزر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة[3].

- فإذا وضعت الأمور في كفّتين، فإن كفّة الخير هي التي ترجح، وهي ما اهتم به صحابة رسول الله ﷺ وكبار التّابعين بعدما عصفت بالأمة الفتن التي كانت لها آثار سلبيّة علىٰ خير القرون بعد وفاة رسول الله ﷺ بانت في: وقعتي الجمل وصفّين، وما جرىٰ من أحداث بعدهما، بينما ملتم إلىٰ كفة الشرّ الذي خطأكم فيه الخاصة والعامة.

ولا معادلة للكفّتين إلا بالتوبة إلىٰ الله، والبراءة من هذا العمل المشين، والندم علىٰ ما فات، والعزم علىٰ عدم العودة فيه، وهذه شروط التوبة. ومن تاب تاب الله عليه، والله سبحانه يفرح بتوبة عبده، ويقبلها إذا كانت صادقة، ويعزم حسب شروطها، ممن أسرف علىٰ نفسه مهما عمل.

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٢٥).

(٢) يراجع في هذا باب الفتن عند البخاري ومسلم.

(٣) سبق تخريجه.

وهذا من فضل الله سبحانه ورأفته بعباده، وهي فرصة يجب ألّا تفوت ولا تعوّض، ما دامت الروح لم تفارق الجسد، وفرصة سانحة يجب اغتنامها، يقول سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[1]، وهناك شرط يتعلق بالمخلوقين برد المظالم من مال أو عرض، وطلب السماح منهم إن تيسر، وألا تردون الإساءة بالإحسان في الموقع وعند من عرف الإساءة.

- ولعل هذه التساؤلات يليّن الله بها أو ببعضها القلوب، ليدفعكم إلىٰ خلخلة أفكاركم تغيير هواجسكم، وعدم الاستمرار في طريقتكم، ومن ثمّ محاسبة النفس، وعرض ما بدر من تصرفات علىٰ محكّ عدالة الله في خلق الله، وحكمه سبحانه العادل في عباده.

وقد لا نطلب من حكم أو من بعضكم الردّ الإيجابي السريع، ولكن نقول كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا وتأهبوا للعرض الأكبر علىٰ الله»[2]، وأن تستشعروا عظمة الله والخوف منه.

وعليكم أن تتبصّروا في الأمور، ولا يستفزّنكم الشيطان، فإنه عدوكم المبين يتمنىٰ لكم الشر، يغضبه تراجعكم وعودتكم إلىٰ الحقّ، والندم علىٰ ما فات من أعمال ضالة وتفكير خاطئ، وما يريد إلا أن يوقعكم المهالك ثم يتبرأ منكم، كما أخبر الله جل وعلا عنه في مشهد من مشاهد يوم القيامة: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾[3]، كان هذا في غزوة

---

(١) سورة الزمر، الآية (٥٣).

(٢) جزء من خطبة لعمر بن الخطاب ﷺ.

(٣) سورة الأنفال، الآية (٤٨).

بدر، تبرأ من أعوانه لما رأىٰ الملائكة قد نزلت لإعانة المسلمين.

ولا تتمادوا في استجابتكم له، ولأعوانه الذين يزّينون لكم السوء ليجعلوه أمامكم حسنًا، وينفرونكم من الأمور الحسنة، ليجعلوها أمامكم سيئة، لأنَّ شياطين الإنس منهم من هو أشدُّ وأنكىٰ من بعض شياطين الجنِّ بغرورهم وتزيينهم الأعمال السوء والإفساد.

فقووا إيمانكم بالعزيمة الصادقة والإخلاص في النِّية، والابتعاد عمَّن يوحي إليكم بالسوء ومداخل السوء وزخرف القول غرورًا، ويزين الفساد والفتن، حتىٰ تستفيقوا من هذه الغفلة، لتحمدوا العاقبة بعد خروجكم من الفتن، وتوبتكم التي تجنبكم لظىٰ نارها، ولهيب اشتعالها.

ولعل مثل هذه الآية تلامس أوتار قلوبكم، لتستدركوا أنفسكم، وتؤثروا فيمن حولكم ممن تنكّب الطريق السويَّ، فتداركوا بقية حياتكم في عمل صالح، يريح من حولكم من أهل وولد ووالدين وأقرباء، ويغتاظ منها من أوردكم طريق المهالك، بعد ظنِّه أنه أغواكم بمقالته التي يرد علىٰ احتجاجكم أمام الله في ذلك المشهد وهذه الآية هي: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾[1].

ومن ثم تصبحوا أعضاء عاملين في مجتمعكم، ساعين في الخير، إنها لنصيحة مخلصة أقدمها لكم ولكل من سار في درب مثل دربكم، وقتل وخرَّب في ديار المسلمين، في أيِّ موقع كان، وتحت أي شعار أظهر، ممن أرضىٰ أعداء الله بإفساده ومعاندته، وأطمع

(١) سورة إبراهيم، الآية (٢٢).

العدو بالنفاذ في صفوف المسلمين لتحقيق أهدافه بخلخلة الصف الإسلامي، وتقويض وحدة الأمة بالرغبة في بث الفوضىٰ وتحريك الفتن وتسبَب في دعاية سيئة بأعمالكم ضد الإسلام والمسلمين، ووسيلته في هذا إثارة الفتن وتوسيع دائرتها.

واغتنمها هذا العدوُّ فرصة، ليزيدوا الحبل بوصلة من الهجوم علىٰ تعاليم الإسلام والمناهج الدراسية، والتشكيك فيما جاء عن الله وعن رسوله الكريم ﷺ، بما يخفف ميزانها في القلوب، بل تجرأ من تجرأ ممن ينتسب للإسلام بالسير في أفكار وآراء أصحاب الأهواء والملل البعيدة عن الإسلام؛ لأن في قلوبهم مرض، وفي صدق إيمانهم خلل.

ونصيحتي لكم المبادرة قبل فوات الأوان، وتوبوا إلىٰ ربكم قبل مضي الوقت، واندموا علىٰ ما مضىٰ منكم، وضعوا أيديكم في أيدي حكامكم وعلمائكم، ذلك أن باب التوبة مفتوح، وأخبر ﷺ بفرح الله بتوبة عبده ضمن حديث جاء فيه: **«لله أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم في فلاة ضاعت راحلته وعليها متاعه، فنام بعد أن يئس منها، فلما قام إذا هي واقفة عنده، فقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك... غلط من شدة الفرح»**[(١)].

هدانا الله وإياكم طريقه المستقيم، وبصَّرنا بمواضع الضعف في نفوسنا، حتىٰ نتوب إليه ونشكره، وكفانا شرور أنفسنا وقرناء السوء، الذين يريدون المهالك، ويقودون إلىٰ الشرِّ، ويتبرءون إذا كانت ظواهر الغلبة عليهم، ومجريات الأمور ضدهم.

وإن مما يعين كعلاج في المخرج من الفتن، الاستدلال بقول رسول الله ﷺ: **«ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله»**[(٢)]، ويقول عليه

---

(١) رواه البخاري في الدعوات وأحمد بن حنبل في عدة مواضع، وابن ماجه في الزهد.

(٢) أخرجه البخاري، عن أبي هريرة ﷺ في الطبِّ برقم (١٠ - ١١٣).

الصلاة والسلام: «عباد الله تداووا ولا تداووا بحرام»[١].

وشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ألف رسالة دخلت في مجموع فتاواه، سماها: مرضىٰ القلوب وبين علاج مرضىٰ القلوب من الكتاب والسنة.

وهؤلاء الإرهابيون، أو علىٰ الأصح: الضالون؛ لانحرافهم عن الطريق السويِّ، بحيث خطأهم العلماء والمواطنون في بلادنا وغيرها، وازدرىٰ عملهم طلبة العلم العارفون بشرع الله في كل مكان: هم مصابون بمرض القلوب.

ومرض القلوب قد جاء في كتاب الله قرابة ١٥ مرة، مما يجعل صاحب المرض القلبي يسير وراء أعوانه المصابين بنفس المرض كأنها عدوىٰ يدخل فيها المنافق وصاحب الهوىٰ والشهوة، والمنصرف عن أمر الله كاليهود في عهد رسول الله ﷺ بالمدينة، كما قال تعالىٰ: ﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾[٢].

وقد دخلنا مع هؤلاء في العلاج الذي نرجو الله أن يكون له أثر: من المعطي والآخذ، مؤملين ومخلصين أن يجد آذانًا صاغية، وقلوبًا منفتحة[٣].

ومن باب مخاطبة القلوب بما يلينُها، والأفكار بما يحرك الضمائر الموجهة لها، أخذًا من قول علي بن أبي طالب المأثور: «خاطبوا الناس بما يعرفون حتىٰ لا يكذَّبَ الله ورسوله».

وحيث إن هذه الفئة الضَّالة قد نشئوا في بيوت مؤمن أهلها، ومن بيئة صالحة، ومن مجتمع يقيم شعائر الله بالمساجد صلاة وعبادة وقراءة للقرآن، وفي بيت الله الحرام

---

(١) رواه الترمذي عن أسامة برقم (٢٠٣٩)، وأبو داود في الطب رقم (٣٨٥٥).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٦٠).

(٣) في هذا المدخل: الفتن والمخرج منها، وفيما بعده بعنوان: تساؤلات مع الإرهابيين، (ص ٢٤٩ - ٢٧٠)، (وص ٢٧١ - ٢٨٣).

وعند مسجد رسول الله ﷺ، حيث تهفو القلوب، وترق الأفئدة، وتضاعف الحسنات، إلَّا أن الشيطان كما هي مهمته في الحياة وأعوانه ممن أزاغ الله قلوبهم، وعاند الحق بطلب حظه من الدنيا الفانية، وأحزنه التئام الشعب في هذه البلاد خلف قيادته: وفاء بالعهد، وحبًّا في الاستقرار، وأداء لحق الله: بالطاعة لولي الأمر، هؤلاء الولاة الذين جمع الله بهم الشمل بعد شتات، وعم الرخاء والأمن بعد الفقر والخوف، وتصافت القلوب بعد الجفاء والتباعد... فكان ما حصل من خير فضل من الله.

إلا أن العدوّ البعيد - ومعه العدوّ المستتر - يحز في صدورهم ما تنعم به البلاد من أمن وأمان ورخاء، وكل ذي نعمة محسود، ويأكل قلوبهم - داء الأمم - الحسد، ليعملوا جهدهم في إزالة هذه النعمة، وبث الفوضىٰ في البلاد بأساليبهم العدوانية التي مرّت بالبلاد، مع رغبتهم الأكيدة ببث الفتن، وإثارة الشبهات، فاستخفّ هؤلاء بفتية حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، فزينوا لهم السوء، وجعلوهم كبش فداء، ووقودًا لنار فتنة الكاسب فيها خاسر، والهدف منها ضائع.

فليت هؤلاء الشباب يقرءون هذه الآية الكريمة من كتاب الله بتمعّن، ليدركوا عمق أمر الله سبحانه، ونتيجة المخالفة، حيث يقول جل وعلا في مخاطبة الفئة المؤمنة: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1].

ولئن كنا قد طرحنا تساؤلات[2] مع هؤلاء في مخاطبة قلوبهم قبل أسماعهم، وأفئدتهم قبل عواطفهم، فإنما ذلك جزء من العلاج الذي نترك أثره لفترة أطول، حتىٰ يضع كل فرد مقارنة شيء وشيء، شيء يوجه للخير وهو منهج شرع الله الذي شرع

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٤٦).

(٢) انظر: ص (٢٠٩- ٢١٩) من هذا البحث.

لعباده، لأننا نريد لهم الخير، ويحزننا أن يشذَّ وينحرف فرد من أفراد هذه الأمة، مثلما يحزن أهله الأقربين؛ لأن المؤمن لا يكمل إيمانه، حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ولن ينتزع الإيمان منكم، ما دمتم تسمعون الحق، وتهفو نفوسكم إليه، ونرجو ألّا تصرّوا، وألّا تأبوا... قيل: يا رسول الله، ومن يأبىٰ؟! قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبىٰ**»، فالإيمان يرتفع عن الإنسان بالمعصية، ويعود إليه إذا تاب.

أما الشيء الآخر: فهو يوجه إلىٰ الشرِّ الذي عليه أعوان من شياطين الإنس وشياطين الجنّ، فلعلكم أدركتم خلال الفترة الماضية مساوئ هذا الشرِّ، وخفَّ ميزانه في قلوبكم بعد مجريات الأمور، وما مرَّ بكم من تقبيح أعمالهم، كما روي في الأثر: «ما رآه المؤمنون حسنًا فهو حسن، وما رآه المؤمنون قبيحًا فهو قبيح»[1].

ثم من تخطئة الأفكار التي وجّهتكم لتلك الأعمال، وعرفتم ضررها وبعدها عن أفكار الإسلام المستمدة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وفهم علماء الإسلام لذلك، والأمة لا تجتمع علىٰ ضلالة، وذلك بعد عرض ما لديكم علىٰ محكِّ مصدري التشريع في دين الله الحق، إذ ما بعد الحقِّ إلّا الضلال.

- ثم عرضنا عليكم في بحثنا هذا مقارنة بين ما يقوله ويعتقده الخوارج الذين عصوا الله، وكفّروا علماء وحكام المسلمين قديمًا، واستباحوا الدماء والأموال، وما ظهر علىٰ الساحة من أعمالكم، حتىٰ تدركوا خطأ ما سرتم فيه، وما جرفكم إليه تيار الفتنة، حتىٰ تتضح الرؤية لذي عينين، متأسين في ذلك بما عمله ابن عباس رضي الله عنهما، لما أرسله علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخوارج لمداولة الأمر، ومقارنة ما لديهم عقيدة وعملًا، وما في شرع الله من أمر ونهي.

---

(١) روي موقوفًا علىٰ ابن مسعود رضي الله عنه.

فلما استبان الأمر لبعض الجهلة منهم، ومن عُمِّي عليه الهدف المتناقض مع أمر الله، لانت قلوبهم، واعتزل الخوارج منهم اثنا عشر ألفًا، تبرءوا من عملهم.

وهذا العمل الذي طرحناه أمامكم هو من باب العلاج والنصيحة التي نرجو أن تنفتح لها القلوب الصادقة والأفكار الصافية، حتىٰ يستبدل الأمر السيئ بالأمر الحسن، وحتىٰ يدرك المُعمّىٰ عليه نور الحقّ بصفائه ووضوح محجّته، إذ نرجو ألا تتشبهوا بالخوارج وأعمالهم، وتدركوا ذلك جيدًا.

والرجوع إلىٰ الحق فضيلة، ولستم أول من سار في طريق معوجٍّ، لكن المحزن والضار بكل وحد منكم أن يتمادىٰ ويتكبّر وتنقلب الحقائق عنده، بزيادة من الرَّان الذي لوث فكره، ولا حول ولا قوة إلّا بالله، فيقفل باب التوبة عليه، والرسول ﷺ لم يستطع هداية عمه أبي طالب والموت ينازعه، ويأبىٰ قول: لا إله إلّا الله، فينزل عليه قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾(١).

ثم عندما نبيّن في مواضع عديدة نماذج من أعمال اليهود مع النصارىٰ أولًا، وقتلهم أنبياء الله، وإرهابهم الأمم بما انفضح من أمرهم في كتابهم: بروتوكولات حكماء صهيون، ودسائسهم وأفكارهم، وما يسلكون في هذا السبيل من جرائم وأعمال.

ثم ما قاموا به مع رسول الله ﷺ، ومعاونة المشركين المنافقين في الكيد للمسلمين، من ذلك التاريخ وحتىٰ اليوم، وآثارهم واضحة للعيان، فإنما هي نماذج توضيحية كانت فتنًا بدأت صغيرة ثم كبرت، حتىٰ لا تنجرفوا في موالاتهم والتعاون معهم، من حيث لا تدرون، فهم عصوا الله علىٰ بصيرة، فهل تريدون أن تكونوا مثلهم في العمل، وفي محاربة الإسلام وأهله، وأنتم محسوبون علىٰ الإسلام، ليجدوا فيكم معولًا يهدم من

(١) سورة القصص، الآية (٥٦).

الداخل قواعد هذا الدين؟.

وإنما ندعوكم من هذا المنبر للتّبصّر في الأمور، وعدم العجلة مع من يستخفكم، وفي الواقع هو يحتقركم حتىٰ لا يعمكم ما خصهم الله به: بغضب الله ولعنة منه، وعذبهم في الدنيا والآخرة، وجعلهم سبحانه كلّما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله، وجعل منهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت، واقرءوا كتاب الله جل وعلا لتعرفوا حكم الله فيهم، فهل تريدون التشبه بهم في إشعال نار الفتن، والسعي في الفساد والإفساد، وبثّ العداوة والفوضىٰ، ورسول الله ﷺ يقول: **«من تشبه بقوم فهو منهم؟»**(١)؛ لأنهم أصحاب فتن.

وإن من العلاج الذي ننشده لهؤلاء ما يكمن أولًا وقبل كل شيء في وصية رسول الله ﷺ لأمته، عندما شعر الصحابة بدنو أجله فقالوا: أوصنا. فقال: **«أوصيكم بتقوىٰ الله، والسمع والطّاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشي»**(٢)، وقال في حجة الوداع: **«تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسكتم بها: كتاب الله وسنّتي»**(٣).

فكتاب الله هو وحي الله لخلقه علىٰ لسان رسوله الأمين ﷺ، الذي تعهد الله سبحانه بحفظه، وفيه تبيان لكل شيء، وهو المصدر الأول في الشريعة الإسلامية، وقد خدمنا العلماء رحمهم الله بتفسيره وشرح دلالة معانيه، وبيان الناسخ والمنسوخ، واستخراج الأحكام والعظات وبيان الحِكَم.

وسنة رسوله الكريم ﷺ المصدر الثاني للتشريع، فقد خدمها علماء الإسلام جمعًا

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٠٣١)، وأحمد في مسنده.

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه، عن العرباض بن سارية. مسند الشاميين (١/ ٣٣٥).

(٣) رواه مالك في الموطإ، انظر جامع الأصول (١/ ٢٧٧).

ثم شرحًا وتعديلًا، بالسند والمتن والرجال، بحيث بان الصحيح، وتميّز الضعيف بعلّته.

والعلاج بهما في كل ما يعترض المسلم في دينه ودنياه، من حيث الاهتمام والتعلُّم لما خفي علينا دلالته.

وإذا اشتدّ علىٰ المسلم شيء في الفهم والبيان، وفي إدراك ما تعنيه الدلالة، أو في الموازنة بين رأيين: سواء كان النَّصّان من القرآن الكريم، أو من الحديث الشريف، أو بين نصٍّ في القرآن الكريم ونصٍّ من السنة المطهرة، فإن الله سبحانه قد أمرنا بسؤال العلماء فيما لا نعلمه، حتىٰ لا نطبّق أمرًا إلّا علىٰ برهان واضح، وحجّة بيّنة، هروبًا من الزّلل، أو الإفتاء بغير علم، وخوفًا من المحذور، حسب القول المأثور: «**أجرأكم علىٰ الفتيا أجرأكم علىٰ النار**»[1]؛ لأن رسول الله ﷺ خوّف أمته من علماء آخر الزمان، الذين يقولون علىٰ الله بغير علم، ويفتون بغير ما أنزل الله، فتكون الطامّة الكبرىٰ والضلال المبين، نسأل الله السلامة والعافية.

والعلماء المقصودون هم العارفون بشرع الله، والورعون عن القول علىٰ الله بغير علم، المدركون الحلال من الحرم، وما بينهما من مشتبهات، ولا يقولون عن أيِّ شيء إلّا بدليله، يقول سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

ومنطلق آخر فيه العلاج، عندما تشتبه الأمور وتتباين الآراء، وحتىٰ يبرئ الإنسان نفسه وذمّته في القول والعمل، وذلك بطاعة الله فيما أمر، واجتناب نواهيه سبحانه وزواجره؛ خوفًا منه ورجاء عفوه؛ لأن أمر الله مقدم علىٰ كل شيء: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ

---

(١) رواه ابن عديّ، عن عبد الله بن جعفر مرسلًا، انظر كشف الخفاء (١/ ٥٠).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٧).

ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾[١].

ثم يأتي الوحي الثاني، وهو ما صدر عن رسول الله ﷺ، ويليهما طاعة ولاة الأمر الذين أعطوا البينة، فنطيعهم فيما لا يخرج عن طاعة الله وطاعة رسوله، المقترنة طاعتهم بطاعة الله ورسوله، حيث يأمرنا الله سبحانه بذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[٢].

وعندما يحصل التّنازع في أمر، وتختلف الآراء حوله، فإن الله قد بيّن لنا مخرجًا يحسم هذا التّنازع، وبه ينجلي الحق لمن يريد الوصول إليه، يقول سبحانه موجهًا للمخرج من الفتن، وقاضيًا علىٰ تضارب الآراء وأسباب التنازع فيها: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٣].

جاء هذا الحكم - الذي يجب أن يرضخ له المؤمن - متدرّجًا بعد الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله وطاعة ولي الأمر، إذ قد يحصل بين الناس اختلاف في الاستجابة والفهم والتطبيق، فكان هذا الحكم مجليًا للشبهات التي طرأت، وقاضيًا علىٰ المنازعة لمن يريد الوصول للحقيقة، وذلك عندما يرد الأمر إلىٰ الله: يعني لأوامره سبحانه ونواهيه، ولما جاء في كتابه الكريم، وإلىٰ رسوله: يعني إلىٰ سنته الصحيحة، وهديه، وما ترك في الأمة بعد وفاته، ليستنير به الإنسان في إنهاء التنازع، ومعرفة الحق الذي رضيه الله، ورضيه رسوله الكريم لأمته.

واللغة العربية التي قال عنها عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هي وعاء الدين، قد نزل بها

(١) سورة النساء، الآية (٨٢).

(٢) سورة النساء، الآية (٥٩).

(٣) سورة النساء، الآية (٥٩).

القرآن الكريم، وجاءت بها السنة الطاهرة، فيوضح الأمر وفق دلالة اللغة العربية؛ لأن دين الله الحق - وهو الإسلام - لا خفاء فيه، ولا غموض في مراده، يقول سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾(١).

ومما يكون فيه التنازع - في مثل هذه الأيام - ما برز من فتن، وما يتبعها من إرهاب وتطرّف، ورسول الله ﷺ الذي حذّر من الفتن قد رسم لأمته طريقًا يخرج المرء من ويلات هذه الفتن، كما في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه المطول، والذي بيّن فيه عليه الصلاة والسلام المخرج، ويستفاد من هذا بما قاله سماحة مفتي عام المملكة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ في مجلة البحوث الإسلامية بعنوان: أسباب حصول الفتن، وسبيل النجاة منها(٢).

وبما جاء في صحيح البخاري في شرح: عون الباري، لحلّ أدلة صحيح البخاري تأليف العالم: صدّيق بن حسن القنّوجي(٣)، ويحسن الاستئناس بذلك.

ففي حديث حذيفة عند البخاري قال: إن المنافقين اليوم شرّ منهم علىٰ رسول الله ﷺ، كانوا يومئذ يسرّون، واليوم يجهرون به، فيخرجون علىٰ الأئمة، ويوقعون الشرّ بين الفِرق، فيتصدّىٰ شرهم لغيرهم(٤)، وما جاء في هذا الحديث برزت علائمه في هذا الزمان.

ويستعان في هذا بما بينه معالي وزير الشؤون الإسلامية الشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، في كلمة له مطبوعة بعنوان: «الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن».

وإن من المهم أيضًا في العلاج مقارعة تلك الأفكار بأفكار سليمة ودون حماسة أو

---

(١) سورة النحل، الآية (٨٩).

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، افتتاحية العدد (٦٩) الربيعان والجماديان عام ١٤٢٤هـ.

(٣) يراجع (ج ٦/ ص ٣٩٧ - ٤٢٩) طباعة قطر.

(٤) المصدر السابق (٦/ ص ٤١٥).

تشنّج، وإنما بهدوء ولين جانب، حتىٰ يأتي للمداخلة نتيجة.

ومن استجاب للأخذ والردّ، فلا يجب أن تخطأ أفكارهم دفعة واحدة، وإنما يستعمل سياسة السيل في جريانه، فإنه يسحب التربة بهدوء، حتىٰ يهدَّ ما يتعرضه من تلال وأكمات وغيرها.

وهذا ما يسمونه حديثًا بأسلوب سحب البساط، ويدخل في دلالة مقولة علي بن أبي طالب ﷺ: «خاطبوا الناس بما يعرفون، حتىٰ لا يكذّب الله ورسوله» التي مرت بنا.

وقد رسم الله لنا في القرآن الكريم طريقًا ميسّرًا في الحوار، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(١).

وما ذلك إلا أن الشيطان يستفزهم في تلك اللّحظة، فتتوسّع الهوة بين المتحاورين، مع احتمال الخطإ في التّعبير، فلا يطمئن المنصوح لكلام الناصح، ولا تنفتح أذنه لتلقي ما يقول... والخطّان المتوازيان لا يلتقيان.

هذا بالنسبة للمتشدِّد، أو المعبإ ذهنه بأفكار قلّلت المعايير عنده، فهو يحتاج إلىٰ التدرج في انتشال تلك الأفكار من ذهنه بأفكار مقنعة وفق الضّوابط المحسوسة عنده.

نموذج ذلك ما جاء في حوار إلكترونيّ بين تكفيريّ وداعية نتج عنه توبة التكفيريّ، وقد أوردت صحيفة الوطن نص ذلك الحوار الهادئ البسيط، الذي صدر من قلب مخلص، وبعبارات صادقة، فصادف قلبًا متعطشًا، لم يستفزه الكلام الحماسيّ المتشدد(٢)، فكان هذا الحوار إيجابيًّا.

أما من كان متشبعًا بفتاوىٰ خاطئة ومحاضرات ونشرات مليئة بالكراهية علىٰ كل

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٠٨).

(٢) تراجع صحيفة الوطن يوم الخميس٥/٦/١٤٢٥هـ ص (١٠).

شيء، ولاة الأمر والعلماء والعسكريين والدعاة وغيرهم، حيث يضمرون للجميع العداء والكراهية، ويكفّرونهم، ويبيحون دماءهم وأموالهم، ويحكمون علىٰ أنفسهم بأنهم - بكفرهم الخاطئ - علىٰ الحقّ، وغيرهم علىٰ الباطل، مماثلين للخوارج من قبل في هذا الاعتقاد، وذلك لأن أذهانهم مشحونة وأفكارهم منحرفة بما وقر فيها من أمور تخطئ كل الناس، وتحتقرهم بما يلمس فيهم من عناد ومكابرة، وتسمية الشيء بغير اسمه.

بعد أن ضيّعوا الفرصة التي أعطاهم إياها ولي الأمر، ولم يستجيبوا لذلك النداء، فإن الحوار معهم ومجادلتهم تكون كمعاملة أهل الكتاب وهم يهود المدينة ومن نحا نحوهم من النصارىٰ في قاعدة عامّة، لمن يشاكلهم في الهدف والجدال إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فقد أعطانا الله سبحانه قاعدة نركن إليها في هذا الأمر، حيث قال جلّ وعلا: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾[1].

وما ذلك إلّا أن مجادلة وحوار من تشبع بالعلم الشرعيّ يختلف عن محاورة قليل المعرفة، بسيط المستوىٰ العلميّ أو ضحل الإدراك، هذه الأمور مما يزيدها حداثة سنٍّ من كان في المقابل الطرف في الأخذ والرد.

فنأتي لمن يدعي أن عنده علمًا وقدرة علىٰ الأخذ والعطاء أولًا لاعتداده بعلمه، فإنه يظن قاعدته هذه هي الأصل والصواب في جانبها، حسبما تشبّع فكره به، فهذا النوع التداول معه بالرّفق والتّبسيط في الأمور كأننا نقرر ما عنده علىٰ طريقة السؤال والجواب، ليظنّ أننا نستفيد مما عنده، بينما نريده يخطئ نفسه فيما هو متعلّق به، ونحلم في ذلك ولا يفهم منا القسوة عليه ومنهجه؛ لأن من قابلية دعوة الداعي والاستماع لما

---

(١) سورة العنكبوت، الآية (٤٦).

يقرره، أو ينهىٰ عنه الناهي: أن يكون واسع البال، حليمًا فيما يدعو إليه، حليمًا فيما ينهىٰ عنه، عالمًا فيما يدعو إليه، عالمًا فيما ينهىٰ عنه، تبسّطًا مع المسئولين كأنه يريد الفائدة، وهذا ما يسميه علماء المنطق: الطرد علىٰ المصادرة.

ولا يجب عليه في هذا أن يتعالىٰ بعلمه، بل يطرح ما يريد كأنه يستفهم، ليستمع إلىٰ الطرف الثاني، تاركًا له فرصة لإبانة ما عنده، ويستجلي منه كأنه المراد التأثير عليه، ليعرف المداخل فيما عبّر عنه، ولا يتعجّل في الجواب أو تخطئة ما يقول... ليعطيه جرعات مناسبة، كجرعات الدواء التي يصفها الطبيب للمريض، ولا يترقب نتيجة عاجلة.

بل يترك للجرعات فرصة لتعمل عملها في فكره، إذ كلما اختلط الفكر القابل للتغيّر بهذه الجرعات، كلما بدأ الفكر الملوث يتحلل مما فيه تدريجيًّا، ثم يواكب ذلك تصحيح المعلومات بمثل تصحيح الأفكار؛ لأن الأفكار تتأثر بالعلاج المناسب، مثلما تتأثر الأجسام: قابليّة وتأثيرًا.

ومثل هذا الحوار قد يستغرق جلسات، أو بالتكرار واللين، إذا كان بالمهاتفة أو المكاتبة، أو علىٰ وسائل الإعلام الحديثة: إلكترونية، أو مرئية أو مقروءة.

والحصيلة تكبر تدريجيًّا؛ لأن محاولة تغيير فكر الإرهاب والعنف، والخروج من الفتن يحتاج إلىٰ نقد الذّات أولًا، ثم تحسنًا في المفهوم، يحتاج إلىٰ صبر وتكرار الجلسات مع التّحمل وبعد النظر.

أما ما لا يُلمس منه - مع هذا الأسلوب - لين في العريكة، ولا تجاوب في تجاذب الآراء والأفكار، بل يشتد عنادًا ومكابرة، فإنّ جزء الآية: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾[1]، قد استثنتهم من المجادلة بالتي هي أحسن، لأنها لا تؤثر فيهم، كما يقول الشاعر:

---

(١) سورة العنكبوت، الآية (٤٦).

لقــد أســمعت لــو ناديــت حيًّــا   ولكـــن لا حيـــاة لمـــن تنـــادي

ويقول سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[1]؛ لأنهم قد ظلموا أنفسهم، وران علىٰ قلوبهم ما كانوا يكسبون... فلا ينفع فيهم إلّا أضعاف ما يرونه قوة بأيديهم بقوّة الدولة ومهابتها، كما يروىٰ عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قوله: «يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن».

وفي أحكام الله عز وجل وزواجره وفي تشديد رسول الله ﷺ ما يجعل يد السلطان قويّة ورادعة، تخيف من في قلبه مرض يدفعه للتّطاول علىٰ مهابتها والإضرار بالآمنين، وترويع المطمئنين وقتل الأبرياء، وتخريب الممتلكات... وكل هذا من الإفساد في الأرض ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾[2].

ولتُرهب ما أعطاها الله من قوّة وسلطة من تسوّل له نفسه الميل مع الحاقدين المجرمين، الذين لا يريدون بالأمة خيرًا: عملًا أو تأييدًا أو تعاونًا أو تحسينًا، حتىٰ يخمد الله الفتن بسلطة ولي الأمر، والناس لا يصلحون فوضىٰ لا سراة لهم.



---

(١) سورة القصص، الآية: (٥٦).

(٢) سورة المائدة، الآية (٦٤).

١٩- تساؤلات مع الإرهابيين

سواء اصطلحنا علىٰ تسميتهم إرهابيين أو الفئة الضالة... أو أي اصطلاح ينبئ عن المقصود الملائم للعمل الذي يزاولونه.

فإننا نجد من المناسب في هذا المجال طرح بعض التساؤلات مع هؤلاء الذين تجرءوا علىٰ أمتهم بعملهم التكفيريِّ لولاة الأمر من حكام وعلماء ومحكومين، بل في كل من يختلف مع منهجهم ومسلكهم التّخريبي وفكرهم المنحرف.

تلك الأعمال التي لا يقرّها عقل سليم، ولا يرضاها أبسط الناس، فكيف بقوم يدعون الإسلام، ويحاربون الله علانية في أرض المقدسات، عند حرم الله وفي بيته الطاهر بمكة المكرمة، وأيضًا في مدينة رسول الله ﷺ وعلىٰ مقربة من مسجده الشريف، ثاني الحرمين الشريفين؟.

حتىٰ إنهم روّعو واعتدوا، فنحبّ أن نخاطب ضمائرهم، لعل الله ينير بصائرهم، ليحاسبوا أنفسهم قبل أن تحاسب، وليعرفوا الحق حقًّا ويرجعوا إليه، والباطل باطلًا فيبتعدوا عنه، ولا يتغلّب عليهم الشيطان ليصرّوا علىٰ أفعالهم وفكرهم، فيوردهم المهالك في الدنيا وخسارة الآخرة، والحق أحقّ أن يتّبع، والرجوع إلىٰ الحقِّ خير من التّمادي في الباطل: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[(١)].

ونسائلهم بالله، الذي يجب أن يستشعروا عظمته وجبروته بين أعينهم، ويضعوا الخوف منه في سويداء قلوبهم وأمام خواطرهم بأن يتمعّنوا معنا هذه التساؤلات، ويجيبوا بينهم وبين أنفسهم أولًا، مراقبين الله في هذا، ثم مطبّقين بعد أن يليّن الله

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٨).

قلوبهم لمعرفة الحقّ ما يصححه الدليل من الكتاب والسنة وأقوال العلماء المعتبرين.

فنقول: إن كنتم كما تدعون مسلمين ومجاهدين، فأجيبوا بصراحة واضعين الخوف من الله أمامكم، قبل الخوف من البشر، ومحترمين كلام الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ، في أعمالكم ونياتكم وأقولكم، فقد قال رسول الله ﷺ: «**من سأل بالله فأعطوه، ومن استعاذ بالله فأعيذوه، ومن دعاكم فأجيبوه**»[(١)].

ومن السؤال بالله هذه بعض التساؤلات، وما تحمل من معنىٰ:

١- أليست تعاليم الإسلام تحرّم قتل المسلم حسب قول النبي ﷺ: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا**»[(٢)]؟

فلماذا أقدمتم علىٰ القتل، ولماذا أبحتم قتل فئات من المجتمع وهم أنفس معصومة، مخالفين في هذا الآيات الكريمات في سورة النساء، ومجترئين علىٰ الله في حكمه، ومتهاونين بعقابه في القتل العمد، وأنتم تعمدتم مع سابق الإصرار، وفي القتل المتعمّد أربعة جزاءات عظيمة، كل واحد منها يقشعرّ منه البدن، وترتجف الفرائص عند ذكره:

أ - ﴿جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾.

ب - ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾.

ج - ﴿وَلَعَنَهُۥ﴾.

---

(١) من حديث أخرجه أبو داود والنسائي، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. انظر جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير (١١/ ٦٩٢).

(٢) حديث صحيح جاء ضمن خطبة رسول الله ﷺ في حجة الوداع.

د - ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(١).

فكيف تقابلون الله بهذا الجرم العظيم وما حجّتكم؟ إن لم تبادروا بالتوبة إلىٰ الله من هذا العمل، والنّدم علىٰ ما مضىٰ، والعزم الصادق ألّا تعودوا إليه مرة أخرىٰ، فاغتنموا الفرصة قبل فوات الأوان، فإن من مات من جماعتكم قد قدموا علىٰ حكم عدل، لا يظلم سبحانه، بل يجازي كل نفس بما كسبت.

٢- وما هو جواب من أفتاكم بقتل الأبرياء من مسلمين ومستأمنين بغير حقّ، ورسول الله ﷺ يقول: «**أن من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة**»(٢)؟

ولن يشفع لكم إذا تعلقوا بأعناقكم أمام الله يوم القيامة وهم يطلبون من الله أن يقتصّ لهم منكم في هذا الموقف الرهيب، الذي يحكم فيه الربّ الكريم: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾(٣).

وليس بمبرر أن تقولوا: أفتانا فلان، وغرّر بنا علّان، أليس لديكم عقول تدرك وآذان تسمع وأعين تبصر، وهبكم الله إيّاها نعمة من نعمه؟ فحوّلتموها نقمة علىٰ أنفسكم وحجة علىٰ تصرفاتكم، وأمامكم كتاب الله وسنة رسول الله، وأقوال العلماء قديمًا وحديثًا.

وبأيّ ذريعة تدفعون عن أنفسكم، وأنتم تتلاومون مع من غرّر بكم؟ والله قد بيّن لكم المعذرة في حياتكم الدنيا، وتجاهلتم دلالة هذا القول: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾(٤).

وليس بخافٍ عندكم أن الوفاء في ذلك الموقف بالحسنات والسيئات فقط، ثم ما

(١) سورة النساء، الآية (٩٣).

(٢) وفي الباب أحاديث صحيحة عديدة كلها وعيد لمن قتل أو اعتدىٰ علىٰ معاهد: جامع الأصول (٢/ ٦٤٧ - ٦٥٦).

(٣) سورة الكهف، الآية (٤٩).

(٤) سورة الأعراف، الآية (١٧٩).

هو جواب من أفتاكم بغير علم فضلّ وأضلّ.

ثم أيضًا: لماذا لمّا تاب من أفتاكم ونشر توبته، نزعتم الثّقة منه، وتماديتم في غيّكم، ورجعتم عليه لتكفّرون وتبدّعون؟ فهل أحكام الله تتبع الهوىٰ؟ وهل شرع الله يخضع للرغبات والمزايدة؟

٣ - وبماذا تدفعون عن أنفسكم، إذا خاصمكم أمام الله خلق كثير ممن نهبتم ماله؛ سرقة لسيارته، أو تعديتم علىٰ حصيلة عمره وعرق جبينه، أو تخريبًا لمسكنه... فأفسدتم ممتلكات، وأحرقتم مساكن ومجمّعات، بما ناله من بطشكم، وما تسلط عليه من أسلحتكم وأعمالكم الإرهابية التي أخافت الآمن وروّعت المطمئن، وأخربتم العامر، ودمّرتم بيوتًا علىٰ أهلها الوادعين الآمنين.

فبأيّ سبب عملتم هذا، وما المبرر الذي خوّلكم هذا الظلم والتعّدي، ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ قد حرم كل هذا في حجة الوداع - كما نوهّنا سابقا - وقال أيضًا: **«كل المسلم علىٰ المسلم حرام: ماله ودمه وعرضه»**[1]؟

لا شك أن الألسنة ستخرس، والجواب لا يقنع؟! بل سوف لن تجدوا جوابًا.

٤ - ولّما كان رسول الله ﷺ قد حرّم قتل النساء والصّبيان ومن لم يقاتلوكم والمدبر، وشدّد وغضب لما رأىٰ امرأة مقتولة في إحدىٰ المعارك.

فما موقفكم وكل هؤلاء من خصومكم الملتجئين إلىٰ الله أن ينصفه منكم، جزاء أفعالكم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلّا من أتىٰ الله بقلب سليم؟

وإن لم يوجد لديكم حسنات مرصودة لكثرة الدائنين والمظالم التي تجرأتم عليها،

---

(١) من حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وأبو داود، عن أبي هريرة ﷺ، وانظر جامع الأصول لابن الأثير (٦/ ٥٢٣ - ٥٢٥).

فإن لهؤلاء الغرماء مكسبًا عظيمًا بعدل الله وحكمته البالغة، بأن يؤخذ من سيئاتهم فترمىٰ عليكم ليزداد ثقلها ووزرها عليكم، لتحملوا أوزارًا مع أوزاركم لترديكم المهالك والخسارة الأبديّة.

فماذا أعددتم لذلك الموقف من استعداد وحجّة؟ كل هؤلاء نتيجة أعمالكم خصوم ضدكم يطلبون من عدل الله في يوم الجزاء والقصاص وردّ المظالم أن يأخذ حقهم منكم، ولا يظلم ربك أحدًا.

٥ - ثم إنكم تكفّرون بجرأة العلماء الأعلام، وولاة الأمور، وكل من لا يتّفق مع رأيكم المنحرف، وأعمالكم السيئة الضالّة.

وزاد في أمركم أن بعض المفتين لكم لما تابوا من عملكم وعملهم معكم بعدما بان لهم الحقّ كفّرتموهم، واتخذتم بدلهم مفتين مضللين غيرهم، حسب الأهواء، ألا تعلمون إثم الجرأة علىٰ الفتوىٰ؟ ويزيد في الإثم عندما يتعمد ذلك من لا علم عنده، ليحمل وزرًا مع وزره.

فهل كانت تعاليم الإسلام وشرع الله يتبع الهوىٰ أو يخضع للعناد والمكابرة؟ بل ليست الفتاوىٰ بضاعة تباع وتشترىٰ، ألم يردعكم وينبّه ضمائركم قول الحق تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾[1]؟ إنه يوم تخضع فيه رقاب الجبابرة لعظمة الله والخوف منه، وأنتم أذلاء أمام الله سبحانه، قد تبرأ منكم من أوقعكم في المصيدة.

فبماذا تجيبون عندما تُسألون يوم البعث والنشور وأسلحتكم التي تهدّدون بها وترفعونها في وجه كل من نصحكم أو أدام مخاطبتكم ليوضح لكم الحقَّ وتشيحون عنه

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (٧١).

هذه الأسلحة ليست أمامكم في هذا الموقف؟

فما موقفكم وأنتم أذلاء والناس يقتصّ بعضهم من بعض؟ وقد تكاثر أمام الله خصومكم، كلّ يقول: يا ربّ، سل هؤلاء لماذا كفرونا؟ يا ربّ، سل هؤلاء لماذا خرجوا عن طاعة ولاة الأمر الذين ما عهدناهم إلا محكّمين لشريعتك، منفّذين لحدودك، ودستورهم القرآن الكريم، ويشهدون لك بالوحدانيّة، ويدعون لسبيلك بالحكمة والرفق، ويجادلون بالتي هي أحسن؟ يا رب، لماذا روّعوا الآمنين؟، يا رب، انتقم لنا ممن استهان بحرماتك، وتعدّوا علىٰ حرمة بيتك المحرم في مكة التي حرمها إبراهيم، وفي المدينة التي حرّمها محمد ﷺ، يا ربّ، سل هؤلاء لماذا روّعوا المسلمين، وشقّوا عصا الطاعة، وقتلوا الأبرياء: رجالًا ونساء وأطفالًا ومستأمنين؟... فتكاثرت عليكم الاحتجاجات والمطالبات... فبماذا تجيبون؟، وبأي لسان تدافعون عن أنفسكم؟، والأمور واضحة ببراهينها عليكم، بل تشهد بها عليكم أيديكم وأرجلكم وجلودكم، بعد أن أنطقها الله الذي أنطق كل شيء.

٦ - وأين أنتم بأعمالكم السيئة - وقد خلعتم بيعة السلطان وسعيتم في الخروج عليه في جميع ديار المسلمين - من قول رسول الله ﷺ: **«من مات وليس في عنقه بيعة لولي الأمر مات ميتة الجاهلية»**(١)، وقوله ﷺ: **«اسمعوا وأطيعوا، وإن تأمّر عليكم عبد حبشي»**(٢)، حتىٰ أكدَ عليه الصلاة والسلام لمن قال له: ولو أخذ مالي، ولو جلد ظهري؟ قائلًا: **«ولو أخذ مالك، ولو جلد ظهرك»**؟ ولماذا عصيتم والديكم، لمن كانوا علىٰ قيد الحياة في هذا ولم تستأذنوهم أو تخبروهم؟ لما للوالدين من حقوق وواجبات.

---

(١) أخرجه مسلم عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما برقم (١٨٥١) في الإمارة.

(٢) رواه الإمام أحمد.

٧ - ولئن كنتم تدّعون الجهاد، فلماذا لم تقرءوا أحكام الجهاد في الإسلام علىٰ المذاهب الأربعة لتعرفوا شروطه والتزاماته في شريعة الله القرآن الكريم، وسنة رسول الله ﷺ، وتدركوا رابطة ذلك بوليّ الأمر، ومن الذي يحقّ له رفع راية الجهاد ومتىٰ؟

٨ - ثم لماذا أخذتم برأي الخوارج في الجهاد، الذين كفّروا عليًّا رضي الله عنه، وقتلوه بعد ذلك، وكفّروا صحابة رسول الله وأباحوا دماءهم وأموالهم؟ وقد بانت آراء العلماء فيهم منذ خرجوا علىٰ علي رضي الله عنه.

فما حجتكم في هذا أمام الله يوم القيامة؟ وبماذا تجيبون؟ وعلىٰ رأي مَن تستندون؟

وهل يفتون عنكم أو يغنون عنكم شيئًا في ذلك الموقف الذي يقول فيه كل فرد: نفسي نفسي... اللهم سلّم سلّم؟

٩- ولّما كانت الأحكام ليست بالهوىٰ ورغبات النفوس، فلماذا خنتم ما أوجب الله في شريعته شريعة الإسلام التي لا يقبل الله من البشر غيرها لأهل الذمة ولم تراعوا العهود والمواثيق التي أمر الله بالوفاء بها؟

١٠ - وهل غاب عمن يفتيكم إن كان حريصًا علىٰ الفتوىٰ المستمدة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؟، بل لماذا تعاميتم وأنتم تبدّعون مفتيًا بان له الحق، وتضعون غيره ممن يفتي بغير علم؟ لأنكم تبحثون عمن يصدر قوله علىٰ هواكم، وتملون عليه الفتاوىٰ المناسبة لمن كان وراءكم، وهي مخالفة لما جاء عن الله وعن رسوله، وتفترون علىٰ الله الكذب وأنتم تعلمون، وفي هذا مشابهة لأهل الكتاب الذين ذمهم الله سبحانه في آيات كثيرة منها قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾[1].

(١) سورة النساء، الآية (٥٩).

فهل رددتم كل عمل قمتم به إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سنة رسول الله ﷺ حتىٰ تعرفوا الحقّ بدليله؟

وأيضًا هل في قلوبكم إيمان ممن خاطبهم الله جل وعلا مرتين في أول الآية وفي ختامها التي مرت بنا؟

وحيث عصيتم أمره عليه الصلاة والسلام في أحاديث كثيرة وصريحة، ومنها قوله الكريم: «**لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال**»(١)، وأنتم تلبسون ملابس النساء لتغدروا وتتسلّطوا وتخدعوا الآخرين، فأوجبتم بالإصرار علىٰ هذا الأمر لعنة رسول الله ﷺ، ودعوته علىٰ من عمل هذا العمل، واللّعن يعني: الطرد من رحمة الله - نعوذ بالله من ذلك، ونسأله العافية - فهل قست قلوبكم وكانت كالحجارة أو أشدّ قسوة، ولم تصغ للنداءات والمواعظ، ولا لتبديع أعمالكم التي تتكرر؟ بل لم تلن قلوبكم لذكر الله لتعود إلىٰ الحقّ، والحقّ أحق أن يتبع.

١١ - إنها تساؤلات كثيرة، وكل سؤال يحتاج إلىٰ مراقبة الله في الجواب وعدم اتباع الهوىٰ والضلال في تحريم الحلال وتحليل الحرام، حول إصراركم وتصرفاتكم وتسببكم في ترمّل نساء وتيتم أطفال لا ذنب لهم ولا ناصر إلا الله، وأنعم به من ناصر سبحانه.

إن الإصرار علىٰ الباطل، والخروج علىٰ ولاة الأمر، والتّشبه بالفرق الضالة المنحرفة، والتجرؤ علىٰ حرمات الله، وموالاة من حاد الله ورسوله... من أعظم الجرأة علىٰ الله.

كما أن التصرّفات التي برزت منكم: الترهيب وبث الرعب والتخريب، والتّفجيرات التي نتيجتها القتل والتدمير والترويع للآمنين، وتكفير خيرة علماء الأمة في هذا الزمان: الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ ناصر الدين

---

(١) حديث صحيح رواه أبو داود برقم (٤٠٩٨) في اللباس وإسناده حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الألباني، وهيئة كبار العلماء بالمملكة، وعلماء الإسلام كافة في العالم الإسلامي، وهم من شهد لهم العالم بأسره بالورع والعلم والأمانة، والأمة لا تجتمع علىٰ ضلالة، كل هذا من التعدي والظلم.

كما تجرأتم بالإفتاء بتكفير حكام هذه البلاد الذين بايعتهم الأمة والعلماء والعقلاء، بإقامة شرع الله علىٰ نهج كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا توجد دولة دستورها القرآن الكريم وتطبق شرع الله وحدوده علىٰ الجميع إلا هذه البلاد، بل لا يوجد في وثائق الأمم المتحدة منذ تأسست وحتىٰ اليوم دولة علىٰ وجه الأرض دستورها نسخة من كتاب الله غير هذه الدولة، وفتحتم باب الفتنة بذلك، ولم تقتصروا علىٰ هذا، بل كفرتم خطباء المساجد، وكل من يدعو لولي الأمر، كما قال عنكم خالد الفراج الذي قتلتم والده، فبان له باطلكم وتبرأ منكم، وكفرتم جدّه عندما قال: أنه يدعو لولي الأمر منذ عشرات السنين، والإمام أحمد رحمه الله يقول: لو كان لي دعوة مستجابة لصرفتها لولي الأمر؛ لأن صلاحه صلاح للأمة[(١)].

فهل تريدون استبدال شرع الله بالأهواء وحكم الجاهلية؟، ومن ثمّ الضّياع والمعصية لله علنًا، مما يوجب غضب الله؟ فاتقوا الله في أنفسكم أولًا، وحاسبوها قبل كل شيء، واعرضوا كل أمر علىٰ وصية رسول الله ﷺ لأمته بقوله الكريم: «**تركت فيكم ما لن تضلوا إذا تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي**»[(٢)]. وتحذيره عليه الصلاة والسلام من الفرقة والاختلاف، وتمعّنوا في واقع حالكم قبل فوات الأوان، ولا تستسلموا لشياطين الإنس والجنّ وأعوانهم، فإنما يريدون أن يجعلوكم وقودًا لفتنة

---

(١) صحيفة الجزيرة، يوم السبت ١٨/ ٨/ ١٤٢٥، ص(٧).

(٢) رواه مالك في الموطإ رقم (٣) باب القدر، وجامع الأصول (١/ ٢٧٧).

عارمة رأيتم أثرها فيها تساقط من ربعكم، وتوبوا إلىٰ الله ما دام باب التوبة مفتوحًا، وتمعّنوا فيمن يدفعكم إلىٰ هذه الفتنة، أين هو؟

هل دخل معكم هذا العمل؟ هل أبرز نفسه؟ أم اختبأ مع الكفّار الذين يوجّهون ويدفعون لهذا العمل رغبة في بثّ الرّعب والفوضىٰ في بلاد المسلمين، في حرب معلنة علىٰ شرع الله ودينه الحق، ورسول الله ﷺ يقول: «**أنا بريء ممن أقام بين ظهراني المشركين**»[1].

- ولعل هذا كافيًا لمن في قلبه إيمان وخوف من الله؛ ليتدارك أمره قبل أن تزل قدم بعد ثبوتها.

- كما أن هناك أسئلة قابلة للطرح عديدة، لا يتّسع المجال لها، قدمنا لكم بعضها، وهي تدعو للإجابة الصريحة الصادقة ومن ثمّ الاستئناس بها، مدعومة بقال الله... وقال رسوله، وما ثبت عن الصحابة الأجلاء، وأيده التابعون، ومن جاء بعدهم بإحسان، بعيدة عن النزعات الشخصيّة، والآراء الفردية، والتّعصب الأعمىٰ الذي يقود إلىٰ الضلال والطريق المظلم.

كما أن أعمالكم التي قمتم بها والفتنة التي أشعلتم فتيلها في هذه البلاد الآمنة المطمئنة لا تخدم إلّا أعداء الله وأعداء دينه، الذين يتربّصون بالأمة الدوائر، ولا يضمرون إلّا الشرّ بالبلاد وبدين الله، فكيف رضيتم لأنفسكم وأنتم من بيوت مسلمة وترعىٰ أمانة الله، بأن تكونوا موالين لأعداء الله، والسير في الدرب الذي كانوا يتوقون إليه، ولكن منعهم من ذلك قول رسول الله ﷺ: «**نصرت بالرعب مسيرة شهر**»[2]، ففتح عملكم هذا لهم الأمل بكسر هذا الطّوق، وتجرأتم بالاستهانة بأمور كبيرة في

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود والنسائي عن جرير بن عبد الله البجلي. جامع الأصول (٤/ ٤٤٥)، أثر يروىٰ لبعض الصحابة.

(٢) رواه البخاري ومسلم والنسائي. جامع الأصول (٤/ ٥٢٩)، سبق تخريجه.

دينكم، فأدركوا أن الله سيتخلىٰ عنكم، بمعصيته سبحانه، ثم يهون عليهم الغدر بكم.

«من عصاني وهو يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني»[1].

❊ ❊ ❊

(١) أثر يروىٰ لبعض الصحابة.

٢٠- بماذا نعالج الإرهاب؟

إذا كان الشاعر قد قال:

لكـــل داء دواء يـــستطبّ بــه إلا الحماقــة أعيــت مــن يــداويها

فإن المرض الجسمانيّ الظاهر لذوي الاختصاص يعالج بالأدوية الماديّة، والمرض النفساني يعالجه المختص في علم النفس، وهكذا كل شيء بما يناسبه.

ولما كان الإمام مالك قد قال: لا يصلح آخر هذه الأمة إلّا ما صلح به أولها، فأولها أصلحه الإسلام وآخرها لن يصلحه إلا الإسلام وتعاليمه.

فالله سبحانه قد قال - وقوله الحق -: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾[1]، وشفاء المؤمن بالقرآن كما قال المفسرون: أنه إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه، بضدّ من في قلبه مرض، فإنه لا ينتفع به، ولا يحفظه ولا يعيه. وأمة محمد ﷺ كانت في جاهلية جهلاء، ويتعدّىٰ القويّ علىٰ الأضعف منه، فأصلح الله شئونهم، وتهذّبت طباعهم بشريعة الإسلام، فكانوا بنعمة الله إخوانًا.

- ولما كان الإرهاب داخل في الفتن، فإن من الأسباب المعينة تسليح النّفس البشرية ضد الفتن، وإعانتها علىٰ تجاوز العقبات المعترضة لمسيرة التخلّص من الفتن، وعلاج أسبابها بأمور منها:

١- الاهتمام بما وصّىٰ به رسول الله أمّته في آخر أيام حياته، عندما طلب منه الصحابة رضوان الله عنهم أن يوصيهم فقال كما جاء في حديث العرباض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، قلنا: يا

(١) سورة الإسراء، الآية (٨٢).

رسول الله، إن هذه موعظة مودّع، فبماذا تعهد إلينا؟ قال: «**قد تركتكم علىٰ البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الرّاشدين، وعليكم بالطاعة وإن عبدًا حبشيًّا، عضوا عليها بالنواجذ، فإنما المؤمن كالجمل الأنف، حيثما قيد انقاد**»(١). وقد جاء هذا الحديث بروايات، وإن هذه الوصايا إذا حرص الناس علىٰ تأصيلها في النفوس، وأخذوها منهج عمل خير علاج للفتن والإرهاب:

١ - التمسك بكتاب الله سبحانه، والاهتمام بسنّة رسول الله ﷺ؛ لأنهما مصدر التشريع، وفيهما ما يصلح حياة الفرد وتستقيم به عبادته وتهذيب نفسه.

وكما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الردّ، من تمسك به عصم، ومن أخذ به هدي إلىٰ طريق مستقيم، ومن نازعه من جبّار قصمه الله.

والقرآن الكريم والسنّة المطهرة هما أمانة رسول الله ﷺ التي أبقاها في الأمة بعد وفاته، وقال: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنّة رسوله**»(٢).

فالقرآن الكريم: فيه البيان الشّامل الوافي لِما ينظّم عبادة المخلوق ومعيشته وعقيدته، ويحفظ عرضه وماله، ويمكّن ولاءه طاعة لله وعبادة مفروضة وتنظيمًا بين الخالق والمخلوق، وبين المخلوقين مع بعضهم، وحدودًا يدفع بها الله عن التّعدي والتّسلط والفساد ومنابع الشرّ، ودعوة إلىٰ الخير والتّعاطف والتكامل، حتىٰ يرث الله الأرض ومن عليها، وكلّما تجدّدت أمور في حياة البشر، كان في القرآن الكريم حل لها،

---

(١) مسند الشاميين من مسند الإمام أحمد (١/ ٣٣٤)، تأليف الدكتور: علي محمد جماز.

(٢) رواه مالك في الموطإ، وانظر جامع الأصول لابن الأثير (١/ ٢٧٧).

وقد أُمر المؤمن بتدبر هذا القرآن والتعبد به وتطبيق ما يأمر به، والانتهاء عما نهىٰ الله عنه، يقول سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[١].

وسنة رسول الله ﷺ وهي الوحي الثاني، ما ترك عليه الصلاة والسلام أمرًا حاضرًا أو غائبًا إلا بيّنه لأمته، حتىٰ ما يحصل في آخر الزمان من فتن وشرور، وبيّن المخرج منها، يقول بعض الصحابة عن رسول الله ﷺ بأنه: ما ترك شيئًا إلا بينه لنا، ولا طائر يطير بجناحيه إلا ترك لنا معه علمًا، عَلمَهُ من عَلِمهُ وجهله من جهله.

وحتىٰ لا تضلّ الأمّة، فإنه شدّد فيمن يحدّث عنه بغير علم أو يكذب عليه، فقال زاجرًا ومتوعّدًا من فعل ذلك: «**من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»[٢].

٢ - كثرة الذنوب والمعاصي: فهي من أعظم المصائب التي يأتي عنها الإرهاب والفساد، وتوسّع دائرة الشّر، وخاصة إذا ظهرت وانتشرت، فصار الناس لا يبالون بها، ومن أعظم الذنوب: ترك الصلاة التي هي الركن المقدّم بعد الشهادتين من أركان الإسلام، وليس بعد الكفر ذنب، وقد تساهل بها في هذا الزّمان كثير من الناس: إمّا عمدًا وبغير مبالاة وهذا الأشدّ، وإما كسلًا ومجاراة، أو عدم اهتمام بالطهارة والوضوء، أو غير هذا من أمور.

وغيرها من الذنوب والمعاصي التي لا يبالي بعض الناس: كالكذب والنميمة، وأكل المال الحرام وبطرقه المختلفة، وعقوق الوالدين، وشرب الخمر، وتعاطي المخدّرات، والزنا، وغير هذا من المعاصي وكبائر الذنوب، والله سبحانه يوضح لعباده

---

(١) سورة ص، الآية (٢٩).

(٢) جاء هذا الحديث بكتب الحديث بروايات عديدة، عن أكثر من عشرة من كبار الصحابة، وينظر فهرس جامع الأصول لمعرفة موطن كل حديث ج(٢) ص(١٢٠٧) في ١٦ موضعًا.

أن كل مصيبة تقع علىٰ الإنسان في نفسه أو ماله أو أهله وولده، أو في المجتمع من خوف وإرهاب وفساد، أو تسلط عدوّ، أو غير ذلك من مصيبة كبيرة أو صغيرة، فإنما بسبب ما اقترفوا، ونتيجة تعدّيهم علىٰ شرع الله، وعدم الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فيقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[1].

كما أخبر ربّنا جلّ وعلا بأن الفساد والشرّ والمصائب والإرهاب، وغير ذلك من المسميات، إنما هو عقاب عاجل من الله، يذيق به عباده؛ ليعرفوا موقع الخطر الذي بدر منهم أو من سفهائهم، وما أصاب ما هو إلا إنذار للقلوب لتتحرّك، وللنّفوس لتتعظ وتعمل قبل استفحال الأمر بما هو أكبر وأشدّ إيلامًا، يقول جل وعلا: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[2].

ويقول بعض التّابعين: ما اقترفت ذنبًا أو عملت سيئة إلا ظهر أثره في خلق زوجتي وطبع دابّتي.

- لذا من العلاج إنكار المنكر علىٰ الجميع، وتتّبع المعاصي المعلنة وأهلها وعلاجها قبل استفحالها، خوفًا من نتيجة سيئة كما حصل لبني إسرائيل، الذي وضّحته هذه الآية: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾[3].

وجاء عند الطبراني من حديث أبي موسىٰ الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ بعد ما

---

(١) سورة الشورىٰ، الآية (٣٠).

(٢) سورة الروم، الآية (٤١).

(٣) سورة المائدة، الآيتان (٧٨، ٧٩).

قرأ هذه الآية علىٰ أصحابه، قال: «**والذي نفس محمد بيده، لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهنّ عن المنكر، ولتأخذنّ علىٰ يد السفيه - وفي رواية: المسيء -، ولتأطرنّه علىٰ الحق أطرًا، أو ليضربنّ الله بقلوب بعضكم علىٰ بعض، ويلعنكم كما لعنهم**»[1].

فالواجب قمع المعاصي في مهدها والأخذ علىٰ يد المسيء، وقبل هذا توجيه الشباب خاصّة وتربيتهم علىٰ العلاج الإسلامي، وتبغيض الأمور السيئة إليهم، وتنويرهم بالبدائل وفوائدها، سواء كان هذا الدور من البيت أو المدرسة أو المجتمع، وفوق ذلك توجيه العلماء وسلطة ولاة الأمر، كل في مجاله وبحسب التّدرج في التّعليم والتوجيه والتوعية، وتحبيب التوّبة لمن أقدم علىٰ المعاصي، لترتاح نفسه بسماحة الإسلام؛ لأن التائب من الذنب بصدق وإخلاص كمن لا ذنب له.

٣ - القدوة الصالحة: إن الناشئة حتىٰ لا يقعوا فريسة لكل فكر ولقمة سائغة لكل ذي مأرب سيئ، فإنهم قبل ذلك في حاجة إلىٰ من يحسن توجيههم وتربيتهم في البيت أولًا؛ لأنهم أمانة عند الوالدين بالقدوة الصالحة منهما: منطقًا حسنًا واهتمامًا بالعبادات وحسن مخالطة مع من يعاشرون ويجالسون وسؤالًا ومتابعة.

ألم يحدد هذه المسئولية رسول الله ﷺ بقوله الكريم: «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجّسانه**» الحديث[2].

فلا يتهاون الوالدان في رعاية هذه الأمانة، حتىٰ إذا تخطفت الولد الأيدي الآثمة، وسُمّم فكره وجُذِب إلىٰ الأعمال المشينة، جاء الندم ولات ساعة مندم، فالعلاج بعد الوقوع، أما الحصانة والتوجيه فقبل ذلك.

---

(١) رواه الشيخان البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الدرّ المنثور للسيوطي (٣/ ١٢٧) مع أحاديث أخرىٰ في نفس الموضوع.

إنّ حسن التوجيه ثم دور الالتزام من الأبوين مهم؛ لأنّ الأولاد في غرائزهم حبّ التقليد والتأسي بالوالدين: الولد بالأبّ، والبنت بالأم؛ لأخذهما ذلك أسوة في كل شأن من شئون الحياة.

يقول الشاعر العربي مبينًا هذا الدور:

وينـــشأ ناشـــئ الفتيـــان منّـــا عـــلىٰ مـــا كـــان عـــوّده أبـــوه

فاحرص أيها الأب أن تعود ابنك علىٰ كل شيء نافع، وأن تجنبه كل أمر ضارّ يدعو للفساد وسوء التّصرف، وتابعه في هذا باستمرار.

٤ - المبادرة إلىٰ تحاشي الوقوع في الجريمة، وإزالة الأسباب في المجتمع عن الأمور المؤدية للشرّ والمداخل إليه ودعاته، وذلك بعد معرفة الأسباب من بعض الجناة التي أوقعتهم في الشرّ، وتوعية المجتمع عن أضرار الجريمة وآثارها، ودور الأعمال السيئة علىٰ الفرد والجماعة، ونظرة الإسلام في معالجة المسببات للجريمة قبل حصولها، وعلاجها بعدما تقع، وحكمة التشريع في إنكار المنكر، والدعوة إلىٰ كل خير، وربط ذلك بما هو محسوس في النفس البشرية والمجتمع، هذا الدور تتحمّله وسائل الإعلام الثلاثة: سماعًا وقراءة ورؤية... علىٰ أن تحرص هذه الوسائل في تغطية الأمور: وسيلة تعريف وإصلاح، حتىٰ يطغىٰ العمل النافع وآثاره علىٰ ما يضطلع به الإعلام الموجه ضدّ الإسلام والدول الإسلامية... لإفساد شبابها وإثارة الفتنة بسببهم في المجتمع.

وما ذلك إلّا أن إعلام العالم الثالث - وخاصة الدول العربية والإسلامية - مقصّر في هذا الجانب رغم ما يبذل فيه من أموال، إلا أنه يسير في درب معاكس، فيجب التخطيط بأمانة وصدق لإصلاحه وإزالة من يعترض طريق التّحسين: إما جهلًا أو قصورًا في إدراك المهمة المناطة بالإعلام الذي يخدم قضية الوطن عقيدة وولاء وتاريخًا،

خذ نموذج ذلك المسلسلات والأفلام وما فيها من حيل وأساليب الإجرام مما يبدأ في تقليده الأطفال ثم يكبر معهم عملًا إجراميًا متأصلًا، وما ذلك إلّا أن الإعلام سلاح ذو حدين، حدّ نافع، وهذا هو المهم في خدمة الأمة المنبعث من الحاجة الضروريّة للفرد والمجتمع في نفسه وماله وعرضه ودينه ووطنه، وهذا يتحقق من تلمّس الأحاسيس النابعة من القاعدة، حتىٰ لا تكون جميع البرامج الإعلامية، وموادّها بنصّها وفكرها، مستوردة من وراء الحدود، إذ الإعلام يجب ألّا يكون بضاعة مستوردة بشكلها ومواصفاتها في بلد المنشإ. فهذا مما يغير هوية الأمة، ويذبذب فكر شبابها، لتنطمس شخصيّة الشاب ويصبح حائرًا سهل قياده، ليكون ما يصدر عن الإعلام من برامج ومسلسلات سائرًا مع ثوابت الأمة الدينية والخلقية والسلوك والمصالح العامة.

وإلا تحول إلىٰ الحدّ الثاني وهو الضار، ويهدم ما صلح، مثلما قال الشاعر في البنيان الذي لا يتم:

متىٰ ينتهي البنيان يومًا تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

٥- يجب الاعتماد - بعد الله والتوكل عليه - في إصلاح الفرد سواء في البيت أو المدرسة أو المجتمع، في خَط متوازٍ بدون انحراف علىٰ إثاره يقظة الحس، وصحّة الإيمان وسلامة العقيدة... وعلىٰ مقاصد الشريعة، ونخصُّ العقيدة؛ لأنها المحور الذي تدور عليه عجلة الدِّين الذي هو الأساس، والمهمة التي خلق الإنسان من أجلها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1]، ولا تصح العبادة إذا كانت العقيدة فاسدة كما أنها لن تستقيم تربية الشباب إلّا إذا تحصّنوا بهذا السِّلاح الذي يجعل الشاب يعرف مكانته

---

(١) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

الثابتة، بما يرسم هذا الانتماء من خطٍّ مبني علىٰ أساس متين، يحميه بإذن الله من الانتقاض لكل من يريد به انحرافًا لمآرب لا يعلم عن سلامتها، ولفكر لا يدرك أبعاده، إذا كانت حصانته وبضاعته قاصرة، فعلماء النفس يؤكِّدون بأن موطن الاستيعاب عند الشابِّ مثل الكأس الفارغ، قابل لأي شيء يوضع فيه، فإن كانت الفئات المحيطة به بدءًا من الأبوين والبيت إلىٰ آخر مراحل التعليم ثم المجتمع قد عبأته بما هو نافع ومفيد، أعانه الله علىٰ إبعاد كل غثّ يتنافىٰ مع النافع، لأن الضار لا مكان له في ذهنه.

أمّا إذا قصّرت تلك الفئات وكبر الشاب بخواء فكريّ ووعاء فارغ، كان هذا الوعاء مهيأ لأن تتسلّط عليه فئات الفساد بشرورها فينجرف مع تيّارهم، ويتابعهم في أعمالهم السيئة، ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾(١).

٦ - حسن توجيه الشباب في مراحل تعليمهم، ولا يجب الاعتماد علىٰ المدرسة وحدها ولا البيت وحده؛ لأن منبع التّوجيه يحسن به السلامة من العيوب التي تتنافىٰ مع ما نريد لهذا الشاب من استقامة وسلامة معتقد، فإذا قصّر البيت أو المدرسة في جانب أكمله الطرف الثاني، ليذكر أحدهما الآخر بالمراقبة والمتابعة، فمثلًا: لا يصح أن تعتبر تربية المدرسة أو البيت إذا كان القول من المدرس أو الأب أو الأم أو ولي الأمر، يخالف فعله: كالحثّ علىٰ الصلاة وهو لا يصلي أو يتكاسل فيها، ولا يكذب، وكل منهم أو واحد منهم يكذب، ويتعمّد الكذب، ولا ينهىٰ عن شرب الدّخان أو المخدرات، وهو يرىٰ من ينهاه يتعاطىٰ ما نهىٰ عنه، وهكذا سائر الأعمال، فبذا تكون شخصية هذا حائرة بين قول وفعل، والله يقول: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا

---

(١) سورة فاطر، الآية (٨).

تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ [(١)].

إن التربية الواعية الهادفة يجب أن توضع من جماعة من أهل العلم والصلاح والخبرة، مع وضع منهاج علمي ثابت لذلك الأمر، ولا يترك للفرد مدرسًا أو ولي الأمر الاجتهاد في أسلوب التلقين والتوجيه، إذا لم يكن ذلك علىٰ أساس ثابت ومصدر موثوق، مما يجعل التوجيه سائرًا في خطوط متعارضة، حيث يحتار الشاب عن الطريق الأسلم، ولذا يجب أن يتعاون البيت والمدرسة، ليلتقي الموجه في المدرسة مع المربّي في البيت وهو الأب أو الولي، ليرسما خطًّا في التوعية الهادفة موحّدة، وفق الخطة المنهجية السليمة والقواعد الشرعية التي حفظها الإسلام؛ لأن أشدّ ما يؤثر في الشابّ اختلاف وجهات النظر، والاتحاد في التعليم والتربية بين فئتين هو ملتصق بهما، حتىٰ يثبت فكره وتسلم عقيدته.

٧ - الشباب طاقة تتفجر مع النموّ، وكلما كبر الشاب، يبدأ يعبر عن ذاته وأفكاره، وحكمه علىٰ الآخرين ممن حوله، وما يدور في المجتمع... وتتشعب به الثقافة المحيطة به من مصادره المتعددة، وفي هذه الحالة هو في حاجة إلىٰ حسن المأخذ المفيد مما يطرح أمامه وإعانته في حسن الانتقاء.

فمراحل النمو هذه وما يطرأ عليها من تغيّر «فسيولوجي» يجب أن يؤخذ في الحسبان ليتغيّر التّفاهم معه والتوجيه والتعليم بما يناسب التّطور الذهني عنده، المرتبط بالنّمو العقلي والنموّ الجسمانيّ، ليعطيه من حوله: رعاية وتعاملًا وتربية وتعليمًا، بما يتلاءم مع التّطور في النموّ، وفق الضرورات الخمس المهمة للإنسان: الدين والعقل والعرض والنفس والمال.

---

(١) سورة الصف، الآية (٣).

والتعامل مع الشباب فكريًّا حتىٰ لا ينحرفوا، ويكونوا لقمة سائغة لأصحاب الأهواء والإفساد، يجب أن يحتذىٰ فيه وصفات الطبيب لمريضه، لتكون الجرعات ملائمة مع حالة الشابّ، مثلما يتلاءم الدواء مع المريض فلا زيادة تضره، ولا نقص لا ينفعه.

ولما كان الشاعر قد ذكر مظاهر مفاسد الشباب في مثل هذا البيت:

إن الــــشَّباب والفــــراغَ والجِــــدَه   مفــــسدة للمــــرء أي مفــــسده

فتؤخذ تربية الشاب من هذه الفروع الثلاثة، ليعالج كل فرع بما يجعل الشاب مستقيمًا صالحًا، بدل تركه لنفسه مع هذه الأدواء، والمربي هو الذي يحسن التعامل مع كل حالة.

فالشاب كما قلنا يوجّه التوجيه المنبعث من قاعدته الدينية السليمة، ومتطلباته الوطنية باحترام الكبير وتقدير العلماء والسماع منهم، والطاعة لولي الأمر وإدراك مكانته وضرورة الانقياد له وفق شرع الله، واستجابة لأمر الله في هذا القول الكريم الذي خاطب الله فيه الفئة المؤمنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾[1].

والمربي: يتحرّىٰ الأمانة في اختيار الألفاظ والأمثال المقربّة لذهن الشاب وبما هو محسوس عنده، حتىٰ يصغي بقلبه لما يراد منه إفادته وصلاحه.

والفراغ: يُنظم له ما يسدّه بأمور منها القراءة، فتح مداركه الذهنيّة، استيعاب طاقته بما هو مفيد ونافع، وتشجيع هواياته وتهيئة مسبباتها وإعانته علىٰ تنميتها، وتنظيم الوقت في أداء الواجبات.

الجِدَة: لا يعطىٰ فوق متطلباته الضرورية الملّبية لحاجاته دون توسّع؛ لأن التوسع علىٰ الشاب الذي لا يدرك كيفية الاستثمار يجذبه إلىٰ أمور ضارّة به، وقد يزيد الضّرر إلىٰ

---

(١) سورة النساء، الآية (٥٩).

الآخرين والمجتمع فتزداد مفاسده؛ لأن كل زيادة في غير منفعة ضارة، ألا ترىٰ أن الزيادة في ملح الطعام تفسده مع أنه لا قيمة له بدون الملح.

٨ - أما إذا ظهرت المفسدة، وبرز رأس الفتنة، فإن الحماية للشباب تنحصر في:

- بيان جسامة الضرر من هذا الانحراف الشبابي الذي يصيب الأمة ممثّلة في الدولة والمجتمع الذي هم أسرة هذا الشاب ومن حوله، وأسر الآخرين من جراء تلك المفسدة، سواء كانت تفجيرًا أو إرهابًا أو قتلًا أو غير ذلك، وتجسيم الحادثة عنده حتىٰ يتوب من هذا الطريق إن كان همّ، أو ينكر هذا العمل ويندّد بمن فعله، ليؤثر في زملائه استنكارًا بدل الاستحسان، واستهجانًا لعمل الفاعل بدل التعاطف والميول معه، ومن ثمّ البعد عن أساليبهم الدعائية في المجالس والإنترنت والنشرات.

- توضيح أن العنف الذي يريده الجناة تعبيرًا عن مطلب ما، ما هو إلا خطأ، والعلاج لا يتحقق بما هو أفرح كهذا السلوك الشائن الذي يسلكونه، ولا يسلكه المسلم؛ لأن معيار الإسلام في المعالجة لا ينسجم مع هذا الأسلوب.

- لابد من معالجة الجرائم التي اتّجه إليها أمثال هؤلاء بالمحاكمة العقليّة والإقناع، والاستفادة من هدي القرآن الكريم، وسيرة رسول الله ﷺ وصحابته الكرام في معالجة البغي والضلال، وتنبيه الشباب لمنهج الإسلام بحقائق الأمور بالحكمة والموعظة الحسنة، وأنه دين يدعو لعدم ترويع المسلم أو إخافته، وعدم التّعدي علىٰ ماله ونفسه وعرضه، حيث حرم ذلك رسول الله ﷺ في حجة الوداع، والإنسان لا يرضىٰ هذا لنفسه، فيجب أن يأخذ مبدأ: عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به.

٩ - الدخول مع هؤلاء الشباب في حوار يخاطب العقول النّيرة بالتي هي أحسن، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «خاطبوا الناس علىٰ قدر عقولهم، حتىٰ لا يكذّب الله ورسوله».

ومن هذه المخاطبة الدخول إلىٰ عقول الشباب الذين لم يدخلوا معهم في ذلك النفق المظلم، حتىٰ يدركوا جسامة عملهم، وسوء عاقبة ما أقدموا عليه وتبيين باطلهم، ونماذج من اعترافات وتوبة من ندم منهم بعد إدراكه سوء العمل الذي حرفوا إليه، وما بان لهم من فساد فكرهم... ففي هذا تقريب المعقول بالمحسوس.

ويمكن في هذا الجانب الاستئناس بنماذج مما نشر في الصحافة بأقوال وآراء من تاب من تلك الفئة الضالّة، وما بيّنوه من أخطاء شنيعة وقع فيها من سار في ذلك العمل: سرقة للأموال، قتل الأبرياء، تدمير الممتلكات، تخويف الآمنين، قتل الذمّيين المعاهدين، التكفير بدون قيد... إلىٰ غير ذلك من أعمال يفضحهم من كان معهم سائرًا في درب الضلال والإفساد، بعد أن أنار الله قلبه، وتاب من عمله المشين. وفي هذا ردّ علىٰ شبهاتهم، وإبطال لمطالبهم المتناقضة علىٰ لسان واحد كان معهم.

١٠ - ويدخل في هذا الحوار الذي يحرك القلوب ليرد الإنسان علىٰ نفسه، ويبيّن الخطأ الذي وقع فيه بعمله، النموذج الذي أوردناه تحت مسمىٰ: تساؤلات مع الإرهابيين في هذا البحث[1]، حيث حاولنا في بعض التساؤلات النفاذ إلىٰ العقل الباطنيّ، وتحريك القاعدة الإيمانية التي نتوقّع لها بقايا في قلب كل واحد منهم: حسب المنشإ والبيئة والأسرة، لنجعله واقفًا أمام عمله وتصرفاته يوم القيامة، وكل من أصابه ضرر من أعمال التفجيرات والإرهاب، يحاكمه أمام الله سبحانه، ويطلب من الله أن ينصفه... لعل شعوره بذلك الموقف يجعله يتوب إلىٰ الله من تلك الأعمال ليحاسب نفسه، ما دام في العمر سعة، وباب التوبة لا زال مفتوحًا، ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا

---

(١) انظر ص (٢٠٩ - ٢١٩) من هذا البحث.

﴿يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾[1].

ولعل الله يصلحه بتلك التساؤلات وتذكّر الموقف المهول، حتىٰ يندم ويرغّب غيره بالتوبة، ومن تسوّل له نفسه. بعدم الإقدام خوفًا من هذا المصير الذي يحكم فيه الله بين عباده، ولا وفاء إلا بالحسنات والسيئات، والجزاء وفق الكفة الرّاجحة، والتوبة لها شروط ثلاثة يجب الالتزام بها والعزم الصادق بعدم العودة، والرابع ما يتعلق بالعباد لابدّ من إرضائهم وإعادة حقوقهم لهم.

١١ - وعلىٰ المسئولين في الدولة بعدما تتضح لهم الأسباب التي دفعت هؤلاء الشباب إلىٰ العمل في مجال الجريمة، التي أقدموا عليها في مدن المملكة، ومن كان وراءهم، ومن أين أتتهم الأموال والأسلحة؟ ومن كان يؤويهم ويخطط لهم؟ ومعرفة ما تنطوي عليه نفوسهم: من صدق أو كذب، وإخلاص أو إفساد... وغير ذلك، عليهم معالجة الموضوع من حيث:

١ - الأسباب المؤدية إلىٰ هذا العمل الإجراميّ... والعمل علىٰ إحقاق الحقّ وإبطال الباطل، إما دفعة واحدة أو بالتّدرج بحسب الإمكان، حتىٰ تتضح الرؤية للمواطنين الذين يتلَمسون النتائج.

٢ - معرفة المنبع الذي صدرت عنه الأفكار بالتكفير، والحوار مع المتبنين هذا الفكر: علميًّا وعقلانيًّا بالحقائق والبراهين المستمدة من شريعة الله في حكم تكفير المسلم، ودعم ذلك بالأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، وتوثيق ذلك بالسند، وفضح من وراء هذا الفكر والعمل، حتىٰ يعرفهم المواطنون بأعمالهم، وغير المواطنين ممن يهمهم معرفة الداء، حتىٰ يمكن وصف الدواء.

---

(١) سورة الكهف، الآية (٤٩).

٣ - احتضان الشباب الذين لم يجدوا مجالًا في الدراسة، ولا وظيفة تملأ فراغهم سواء كانوا من هؤلاء أو ممن يميل لرأيهم، أو من غيرهم الذين لم يلحقوا بهم... ومعالجة وضعهم وتهيئة الفرص الملائمة لهم، حتىٰ يشغلهم ذلك عن أيِّ عمل إجرامي بان أثره في الأمور الظاهرة، وتهيئة المجالات المناسبة لكل فرد.

٤- تشجيع المعاهد المهنية ببرامج قصيرة المدة لبعض الحرف البسيطة والتي لا يشغلها حاليًّا وبكثرة إلَّا العمالة الوافدة، مثل: تصليح الساعات، السباكة، الكهرباء، النِّجارة، هندسة مكائن الخياطة، وتصليح الآلات الطّابعة والحاسبة الكمبيوتر، وغيرها من الحرف التي تضمن الوظيفة والصنعة في اليد... ومدة التدريب فيها قصيرة، ومساعدتهم في الحصول علىٰ الوظائف، كل في المكان المناسب له، وتهيئة من يعينهم علىٰ ذلك حتىٰ لا يصابوا بإحباط، ويشعروا بأن الدولة مهتمة بهم وترعاهم.

❊ ❊ ❊

٢١- الخاتمة

الإرهاب باب واسع، وهو شبح من الأشباح وله تعريفات عديدة، ولم يتفق الرأي العام العالمي علىٰ تحديد تسمية تنطبق عليه تمامًا، فهو قد جاء لغايات وحرك لأهداف متباينة، وكلٌّ وضع له دلالة بحسب المصلحة، بدليل ما وراء القائمين عليه من إمكانات: مالية وتدريبية وأسلحة وأنواع من الأسلحة والمتفجرات المتطورة، إلىٰ غير هذا من إمكانات متعددة.

وقد اكتوىٰ بنار هذا الإرهاب الذي مِلْتُ مع كثير من التعريفات التي تعدت ١٢٠ تعريفًا إلىٰ أن الألصق به حسب ما ظهر لي إلىٰ أن الأصوب تسمية القائمين بتلك الأعمال: الفئة الضالة.

وبواقع ما قرأت في تاريخ اليهود وفي مقدمة ذلك: ما جاء في كتاب الله عز وجل عنهم: القرآن الكريم، تبين لي أن اليهود الذين لعنهم الله في كتابه الخالد: القرآن عدة مرات بأعمالهم، وتحريفهم كلام الله، وقتلهم أنبياء الله - وهم خيار كل أمة - لهم بصمات بارزة في هذا الشبح.

وهؤلاء اليهود هم الذين يحركون الإرهاب ويديرون عجلته بأساليبهم الماكرة ونواياهم السيئة.

فمن هنا نراهم ركيزة الإرهاب وعمود خيمته منذ نشأتهم، حيث بدءوا بأخيهم يوسف عليه السلام، ثم ساروا في هذا الطريق، بدون كلل ولا ملل: الكذب والبهتان، والغيبة والنميمة والحسد، وتبديل شرع الله بما تهوىٰ نفوسهم؛ فتنة منهم وحبًّا في بث الفوضىٰ والقلق في المجتمعات.

وسلكوا في هذا الطريق أنواعًا كثيرة من التخويف وبلبلة الأفكار والإرهاب، وقد اغتر بإعلامهم ومنهجهم كثيرون في بلاد الغرب والعالم الثالث، إلا أن المفكرين ومن عندهم بعد نظر يدركون من تاريخ الشر والفساد والمعاونين عليه سوء هذا العمل ومن يقوم به.

ذلك أن الفئات الضالة ومن يسير في ركاب الشر، ومن يحب الفساد في كل زمان ومكان؛ ينطفئ نورهم، ويخفت صوتهم عندما يتغلغل الإيمان في النفوس، وكلما ضعف الوازع الإيماني كلما انفتحت ثغرة يستغلها من وراء الإرهاب، باعتبارهم طفيليات تتكيس في غموض، لتبرز تأثيرًا مع إتاحة الفرصة.

ومن تتبع صفات وأعمال الإرهاب التي برزت حسب مجريات الأحداث يجد الدارس موطن التقاء في الرابطة والعمل، مع ما ظهر من أعمال الخوارج، وما ذكره الله في كتابه الكريم، وأبانه المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام من أقوال وأعمال المنافقين، وما اهتم به علماء الإسلام المهتمون بالعقيدة الصحيحة، وما تفرق عنها من فرق عديدة كلها باطلة بلغت ٧٢ فرقة، عدا الفرقة المنصورة التي سلكت طريق رسول الله ﷺ وما عليه أصحابه الكرام.

كما يجد ذلك من سوء نية الباطنيين ومخالفاتهم، وتأثرهم بأهل الملل الأخرىٰ في سائر الأمم.

فالإرهاب هو ركيزة من ركائز الفتن، والواقع فيه بدون روية أو سؤال أهل العلم المعتبرين هو واقع في الفتنة ومرتكس فيها.

وبروز الإرهاب عند اليهود يتجلىٰ فيما صدر عن حكمائهم في كتاب سموه: بروتوكولات حكماء صهيون، الذي فضح الله به نواياهم، مثلما فضح الله أعمالهم وعداوتهم لأنبياء الله ودينه الحق في القرآن الكريم، وفضح إخوانهم المنافقين في سورة

التوبة وغيرها.

ولما كان «موشىٰ ديان» وزير دفاع العدو الإسرائيلي في حرب عام ١٩٦٧م، يقول لبني جنسه في إعلامهم: قولوا ما شئتم، فإن العرب أمة لا تقرأ، فإننا نصحح هذه المقولة بأنها تنطبق علىٰ أهل الغرب، الذين أشغلتهم الوسائل الإعلامية والمادية، فصار الغرب أمة لا تقرأ.

ولو كانوا يقرءون لرجعوا لتاريخهم البعيد ثم القريب مع اليهود وما يحوكون ضدهم من حب للتدمير والخراب، ورغبة في السيطرة الفكرية والعقدية، بها سيطروا عليه ثقافيًّا واقتصاديًّا وإعلاميًّا، ولم يغفلوا عما حذرهم به الرئيس الأمريكي السابق في عام ١٧٨٩م فرانكلين بنيامين، في خطبته بمناسبة الدستور الأمريكي[(١)]، ولا ما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون وغير ذلك، ولما أتاحوا لهم التغلغل في مجتمعاتهم إفسادًا وتأثيرًا حسبما يعمل به اليهود حتىٰ الأيام القريبة من: قرارهم التاريخي الذي يسمونه: قرار الثأر[(٢)]، ولما خفّتْ حماستهم حول بروتوكولات حكماء صهيون، ومات شعورهم عما فيها من عداء لهم مبيت، انطلت عليهم كذبة اليهود الإعلامية... بأن هذه البروتوكولات غير صحيحة.

وغير هذا من أمور أشرت إلىٰ جزء منها في هذا البحث لتحريك الهمم ضد أعمال اليهود وإرهابهم، وما يدبرون في الخفاء مع العمل المتواصل للبشرية جميعًا بدءًا بالنصارىٰ، وتعريجًا علىٰ المسلمين ودينهم، كما جاءت في البروتوكولات وفي أكاذيبهم بالتلمود[(٣)]،

---

(١) انظر ص (١٧٣) من هذا البحث.

(٢) انظر ص (١٢٣) من هذا البحث.

(٣) انظر ص (١٧١) من هذا البحث.

والتي نوهنا لبعض منها، ولكن دين الله الحق باقٍ، ونور الله الذي أضاء علىٰ البشرية بالإسلام لن ينطفئ تحقيقًا لوعد الله سبحانه، ووعده حق لا مراء فيه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾[١].

- وإنها لدعوة لكل مسلم ألا يغفل عن مكر اليهود هؤلاء ومكائدهم ودسائسهم، وأن يرتبط بخالقه سبحانه مدبر الأمور، ومهيئ الحلول التي تسعد بها البشرية أفرادًا وجماعات، ومتىٰ جعلها الجميع نصب أعينهم: عملًا واعتقادًا، وذلك بعدم خوفهم أو خشيتهم؛ لقوله سبحانه: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣﴾[٢].

فإذا قوي إيمان المسلم بربه، وامتلأ قلبه يقينًا بسلامة وقوة تعاليم الإسلام، وسار علىٰ هذا المنهج عملًا واعتقادًا، فإن تدبيرات الأعداء تهون عليه؛ لأن الله حافظ لمن حفظ دينه، يقول سبحانه: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۝١٤١﴾[٣].

ورسول الله ﷺ يقول لابن عباس رضي الله عنهما: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلىٰ الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»[٤]، إلىٰ آخر هذا الحديث الذي يعتبر ما به قواعد شرعية في العلاج لما يمر به المسلمون من نكبات ومعضلات.

وآخر هذه الأمة - كما قال الإمام مالك - لا يصلح إلا بما صلح به أولها، ومعلوم أن الإسلام هو الذي صلحت به هذه الأمة، وقامت عزتها في أول أمرها به.

وليس العلاج بأن يأخذ المسلم المبادئ والتشريعات من الأعداء، الذين يريدون

---

(١) سورة الحجر، الآية (٩).

(٢) سورة التوبة، الآية (١٣).

(٣) سورة النساء، الآية (١٤١).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم.

إبعادنا عن ديننا، بما هو من وضع البشر في عصيان لأمر الله وشرعه، حيث يحذرنا الله من ذلك بقوله الكريم: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾[1].

وقد نوهت إلىٰ أن من أهم الحلول النافعة في التغلب علىٰ ما نحن فيه: محاسبة النفس، وتلمس ما وقعت فيه من أخطاء سواء كانت فردية أو جماعية؛ لأن التهاون بالمصائب والمعاصي مما يوجب غضب الله والمجازاة عليها في الدنيا، حتىٰ يتذكر الإنسان ويستغفر، ليتدارك ما وقع فيه بالإصلاح: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾[2].

والمسلمون يجب أن يكونوا يدًا متماسكة علىٰ من عاداهم، وسلاحهم المحافظة علىٰ أوامر الله واجتناب نواهيه والوقوف عند حدوده وعدم الظلم والتعدي: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾[3].

أما إذا لم يبالوا وتهاونوا، فإن الله سيضربهم بالذلة، ويسلط عليهم العدو ليذيقهم البأس والمهانة، ثم يستبدلهم الله بقوم غيرهم أقرب طاعة لله منهم: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾[4].

فالعلاج مما نشكو والمخرج من الفتن التي تكاثرت علىٰ المسلمين يكمن في الحرص علىٰ كتاب ربنا، وفي سنة رسوله محمد ﷺ، وهما وصية رسول الله ﷺ في آخر حياته لأمته.

فوضعت بعض الحلول التي تراءت لي في هذا الموضوع، لعلها تعين في التغلب علىٰ

---

(١) سورة هود، الآية (١١٣).

(٢) سورة النساء، الآية (٧٩).

(٣) سورة محمد، الآية (٧).

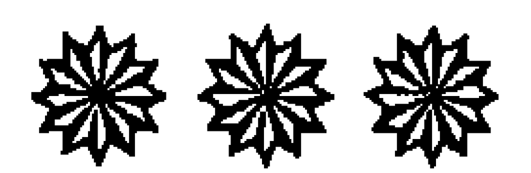
(٤) سورة محمد، الآية (٣٨).

الفكر المنحرف عند الشباب، وتستغل فراغهم؛ ليكونوا يدًا تبني بدل اليد التي تهدم.

وظهر أمامي مخاطبة عقول هؤلاء بما يحرك العامل العقدي في نفوسهم، وتذكيرهم بموقف من مواقف يوم القيامة، الحكم العدل فيه هو الله، عندما تفتح صفحات الأعمال ويتخاصم الناس أمام ربهم سبحانه طالبين إنصافهم والاقتصاص لهم ممن تسلط عليهم: في مال أو دم أو عرض، لعل في ذلك الحوار ما يحرك القلوب، ويجعلها تثوب إلىٰ رشدها، وتتبرأ من عمل سيقت إليه، تذكيرًا لهم ما دامت القلوب لم تبلغ الحناجر بقوله تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾[1].

نسأل الله أن يهدي ضال المسلمين، وأن يبصرهم بعيوب أنفسهم.

لا أدعي في هذا البحث أنني استكملت الموضوع حقه، ولكنها مشاركة وصوىٰ وضعتها علىٰ الطريق، فالموضوع واسع ومتشعب، ونرجو من الله أن يعين قيادتنا في مساعيها لاجتثاث جذور هذا الشرّ، وأن يأخذ بأيدي رجال الأمن في استئصال شأفة الضالين، وإيهان نشاط من وراءهم موجهًا ومفسدًا وحاقدًا يتربص بالبلاد وأهلها شرًّا، لسعيه في الفساد، والله لا يحب المفسدين.



---

(١) سورة الزمر، الآية (٥٣).

٢٢- الملاحق

في هذه الملاحق سوف نذكر بعضًا من قرارات العلماء في مجالسهم العلمية حول ما حصل من حوادث وما أوردوا من تنديدات، هي من تحريم الشرع الإسلامي فيما حدث حسب الوقت والموقع.

١ - في العدد (٢٤) من مجلة البحوث الإسلامية صدر القرار رقم (١٤٨) وتاريخ ١٢/ ١/ ١٤٠٩ هـ، من هيئة كبار العلماء، وهذا نصه[1]:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ خير خلقه أجمعين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهديه إلىٰ يوم الدين، وبعد:

فإن مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الثانية والثلاثين المنعقدة في مدينة الطائف، ابتداء من ٨/ ١/ ١٤٠٩هـ إلىٰ ١٢/ ١/ ١٤٠٩هـ، بناء علىٰ ما ثبت لديه من وقوع عدة حوادث تخريب ذهب ضحيتها الكثير من الناس الأبرياء، وتلف بسببها كثير من الأموال والممتلكات والمنشآت العامة في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها، قام بها بعض ضعاف الإيمان أو فاقديه من ذوي النفوس المريضة والحاقدة، ومن ذلك: نسف المساكن وإشعال الحرائق في الممتلكات العامة والخاصة، ونسف الجسور والأنفاق، وتفجير الطائرات أو خطفها، وحيث لوحظ كثرة وقوع مثل هذه الجرائم في عدد من البلدان القريبة والبعيدة، وبما أن المملكة العربية السعودية كغيرها من البلدان عرضة لوقوع مثل هذه الأعمال التخريبية، فقد رأىٰ مجلس هيئة كبار العلماء ضرورة النظر في

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٤) الربيعان والجماديان عام ١٤٠٩ هـ، ص (٣٨٤ - ٣٨٧).

تقرير عقوبة رادعة لمن يرتكب عملًا تخريبيًّا، سواء كان موجهًا ضد المنشآت العامة والمصالح الحكومية أو كان موجهًا لغيرها بقصد الإفساد والإخلال بالأمن.

وقد اطلع المجلس علىٰ ما ذكره أهل العلم من أن الأحكام الشرعية تدور من حيث الجملة علىٰ وجوب حماية الضروريات الخمس والعناية بأسباب بقائها مصونة سالمة، وهي: الدين والنفس والعرض والعقل والمال، وقد تصور المجلس الأخطار العظيمة التي تنشأ عن جرائم الاعتداء علىٰ حرمات المسلمين في نفوسهم وأعراضهم وأموالهم، وما تسببه الأعمال التخريبية من الإخلال بالأمن العام في البلاد، ونشوء حالة من الفوضىٰ والاضطراب وإخافة المسلمين علىٰ أنفسهم وممتلكاتهم، والله سبحانه وتعالىٰ قد حفظ للناس أديانهم وأبدانهم وأرواحهم وأعراضهم وعقولهم وأموالهم بما شرعه من الحدود والعقوبات التي تحقق الأمن العام والخاص، ومما يوضح ذلك قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[١]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾[٢].

وتطبيق ذلك كفيل بإشاعة الأمن والاطمئنان وردع من تسول له نفسه الإجرام والاعتداء علىٰ المسلمين في أنفسهم وممتلكاتهم، وقد ذهب جمهور العلماء إلىٰ أن حكم المحاربة في الأمصار وغيرها علىٰ السواء؛ لقوله سبحانه: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾[٣].

---

(١) سورة المائدة، الآية (٣٢).

(٢) سورة المائدة، الآية (٣٣).

(٣) سورة المائدة، الآية (٦٤).

ذكر ذلك ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره، وقال أيضًا: المحاربة هي المخالفة والمضادة، وهي صادقة علىٰ الكفر وعلىٰ قطع الطريق وإخافة السبيل، وكذا الإفساد في الأرض يطلق علىٰ أنواع من البشر. اهـ.

والله تعالىٰ يقول: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾[1]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾[2].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: ينهىٰ تعالىٰ عن الإفساد في الأرض، وما أضره بعد الإصلاح، فإنه إذا كانت الأمور ماشية علىٰ السداد ثم وقع الإفساد بعد ذلك كان أضر ما يكون علىٰ العباد، فنهىٰ تعالىٰ عن ذلك. اهـ.

وقال القرطبي: نهىٰ سبحانه عن كل فساد قل أو كثر بعد صلاح قل أو كثر، فهو علىٰ العموم علىٰ الصحيح من الأقوال. اهـ.

وبناء علىٰ ما تقدم ولأن ما سبق أيضًا حد يفوق أعمال المحاربين الذين لهم أهداف خاصة يطلبون حصولهم عليها من مال أو عرض، وهؤلاء هدفهم زعزعة الأمن، وتقويض بناء الأمة، واجتثاث عقيدتها، وتحويلها عن المنهج الرباني؛ فإن المجلس يقرر بالإجماع ما يلي:

أولًا: من ثبت شرعًا أنه قام بعمل من أعمال التخريب والإفساد في الأرض، التي تزعزع الأمن بالاعتداء علىٰ الأنفس والممتلكات الخاصة أو العامة، كنسف المساكن أو المساجد أو المدارس أو المستشفيات والمصانع والجسور ومخازن الأسلحة والمياه والموارد العامة لبيت المال كأنابيب البترول، ونسف الطائرات أو خطفها، ونحو ذلك؛ فإن

---

(١) سورة البقرة، الآيتان (٢٠٤، ٢٠٥).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٥٦).

عقوبته القتل لدلالة الآيات المتقدمة علىٰ أن مثل هذا الإفساد في الأرض يقتضي إهدار دم المفسد، ولأن خطر هؤلاء الذين يقومون بالأعمال التخريبية وضررهم أشد من خطر وضرر هؤلاء الذين يقطع الطريق فيعتدي علىٰ شخص فيقتله أو يأخذ ماله، وقد حكم الله عليه بما ذكر في آية الحرابة.

ثانيًا: أنه لا بد قبل إيقاع العقوبة المشار إليها في الفقرة السابقة من استكمال الإجراءات الثبوتية اللازمة من جهة المحاكم الشرعية وهيئات التمييز ومجلس القضاء الأعلىٰ براءة للذمة واحتياطًا للأنفس، وإشعارًا بما عليه هذه البلاد من التقيد بكافة الإجراءات اللازمة شرعًا لثبوت الجرائم وتقرير عقابها.

ثالثًا: يرىٰ المجلس إعلان هذه العقوبة عن طريق وسائل الإعلام... وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه،،،

مجلس هيئة كبار العلماء

رئيس الدورة

عبد العزيز بن صالح

عبد الله خياط	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز
سليمان بن عبيد	محمد بن جبير	إبراهيم بن محمد آل الشيخ
صالح بن غصون	عبد المجيد حسن	راشد بن خنين
عبد الله بن منيع	صالح اللحيدان	عبد الله بن غديان
حسن بن جعفر العتمي	عبد الله البسام	محمد بن صالح العثيمين
عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ		صالح الفوزان

٢ - وفي العدد (٥٦) من مجلة البحوث الإسلامية صدر بيان من هيئة كبار العلماء

بالمملكة حول التكفير، بتاريخ ٢/ ٤/ ١٤١٩هـ، وهذا نصه[(١)]:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه، أما بعد:

فقد درس مجلس هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والأربعين المنعقدة في الطائف ابتداء من ٢/ ٤/ ١٤١٩هـ ما يجري في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها من التكفير والتفجير، وما ينشأ من سفك الدماء وتخريب المنشآت، ونظرًا إلىٰ خطورة هذا الأمر، وما يترتب عليه من إزهاق أرواح بريئة، وإتلاف أموال معصومة، وإخافة للناس، وزعزعة لأمنهم واستقرارهم، فقد رأىٰ المجلس إصدار بيان يوضح فيه حكم ذلك نصحًا لله ولعباده، وإبراء للذمة وإزالة للبس في المفاهيم لدىٰ من اشتبه عليه الأمر في ذلك، فنقول – وبالله التوفيق –:

أولًا: التكفير حكم شرعي مرده إلىٰ الله ورسوله، فكما أن التحليل والتحريم والإيجاب إلىٰ الله ورسوله، فكذلك التكفير، وليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل يكون كفرًا أكبر مخرجًا عن الملة.

ولما كان مرد حكم التكفير إلىٰ الله ورسوله لم يجز أن نكفر إلا من دل الكتاب والسنة علىٰ كفره دلالة واضحة، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن؛ لما يترتب علىٰ ذلك من الأحكام الخطيرة، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات؛ مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب علىٰ التكفير، فالتكفير أولىٰ أن يدرأ بالشبهات؛ ولذلك حذر النبي ﷺ من الحكم بالتكفير علىٰ شخص ليس بكافر، فقال: «**أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد**

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية العدد (٥٦) الأشهر ذو القعدة وذو الحجة ١٤١٩ هـ – محرم وصفر ١٤٢٠ هـ ص(٣٥٧ – ٣٦٢).

باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه»، وقد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به، لوجود مانع يمنع من كفره، وهذا الحكم كغيره من الأحكام التي لا تتم إلا بوجود أسبابها وشروطها، وانتفاء موانعها كما في الإرث، سببه القرابة - مثلًا -، وقد لا يرث بها لوجود مانع كاختلاف الدين، وهكذا الكفر يكره عليه المؤمن فلا يكفر به، وقد ينطق المسلم بكلمة الكفر لغلبة فرح أو غضب أو نحوهما فلا يكفر بها لعدم القصد، كما في قصة الذي قال: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك**» أخطأ من شدة الفرح.

والتسرع في التكفير يترتب عليه أمور خطيرة؛ من استحلال الدم والمال، ومنع التوارث، وفسخ النكاح، وغيرها مما يترتب علىٰ الردة، فكيف يسوغ للمؤمن أن يقدم عليه لأدنىٰ شبهة؟!

وإذا كان هذا في ولاة الأمور كان أشد؛ لما يترتب عليه من التمرد عليهم، وحمل السلاح عليهم، وإشاعة الفوضىٰ، وسفك الدماء، وفساد العباد والبلاد، ولهذا منع النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم من منابذتهم، فقال: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان**».

فأفاد قوله: «**إلا أن تروا**» أنه لا يكفي مجرد الظن والإشاعة. وأفاد قوله: «**كفرًا**» أنه لا يكفي الفسوق ولو كبر؛ كالظلم وشرب الخمر ولعب القمار والاستئثار المحرم. وأفاد قوله: «**بواحًا**» أنه لا يكفي الكفر الذي ليس ببواح، أي: صريح ظاهر، وأفاد قوله: «**عندكم فيه من الله برهان**» أنه لابد من دليل صريح، بحيث يكون صحيح الثبوت، صريح الدلالة، فلا يكفي الدليل ضعيف السند، ولا غامض الدلالة. وأفاد قوله: «**من الله**» أنه لا عبرة بقول أحد من العلماء مهما بلغت منزلته في العلم والأمانة إذا

لم يكن لقوله دليل صريح صحيح من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، وهذه القيود تدل علىٰ خطورة الأمر.

وجملة القول: أن التسرع في التكفير له خطره العظيم؛ لقول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

ثانيًا: ما نجم عن هذا الاعتقاد الخاطئ من استباحة الدماء وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال الخاصة والعامة، وتفجير المساكن والمركبات وتخريب المنشآت، فهذه الأعمال وأمثالها محرمة شرعًا بإجماع المسلمين؛ لما في ذلك من هتك لحرمة الأنفس المعصومة وهتك لحرمة الأموال وهتك لحرمات الأمن والاستقرار، وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم، وغدوهم ورواحهم، وهتك للمصالح العامة التي لا غنىٰ للناس في حياتهم عنها.

وقد حفظ الإسلام للمسلمين أموالهم وأعراضهم وأبدانهم، وحرم انتهاكها، وشدد في ذلك، وكان من آخر ما بلغ به النبي ﷺ أمته، فقال في خطبة حجة الوداع: **«إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»**. ثم قال ﷺ: **«ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد»**. متفق عليه، وقال ﷺ: **«كل المسلم علىٰ المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه»**، وقال عليه الصلاة والسلام: **«اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»**، وقد توعد الله سبحانه من قتل نفسًا معصومة بأشد الوعيد، فقال سبحانه في حق المؤمن: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ

---

(١) سورة الأعراف، الآية (٣٣).

جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾(١)، وقال سبحانه في حق الكافر الذي له ذمة في حكم قتل الخطإ: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾(٢)، فإذا كان الكافر الذي له أمان إذا قتل خطأ فيه الدية والكفارة، فكيف إذا قتل عمدًا؟ فإن الجريمة تكون أعظم، والإثم يكون أكبر، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة**».

ثالثًا: إن المجلس إذ يبين حكم تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وخطورة إطلاق ذلك؛ لما يترتب عليه من شرور وآثام، فإنه يعلن للعالم أن الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطئ، وأن ما يجري في بعض البلدان من سفك الدماء البريئة، وتفجير للمساكن والمركبات والمرافق العامة والخاصة، وتخريب للمنشآت هو عمل إجرامي، والإسلام بريء منه، وهكذا كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منه، وإنما هو تصرف من صاحب فكر منحرف وعقيدة ضالة، فهو يحمل إثمه وجرمه، فلا يحتسب عمله علىٰ الإسلام، ولا علىٰ المسلمين المهتدين بهدي الإسلام، المعتصمين بالكتاب والسنة، المستمسكين بحبل الله المتين، وإنما هو محض إفساد وإجرام تأباه الشريعة والفطرة؛ ولهذا جاءت نصوص الشريعة قاطعة بتحريمه، محذرة من مصاحبة أهله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ

---

(١) سورة النساء، الآية (٩٣).

(٢) سورة النساء، الآية (٩٢).

﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝٢٠٦﴾[1].

والواجب علىٰ جميع المسلمين في كل مكان التواصي بالحق، والتناصح والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، كما قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾[4]، وقال النبي ﷺ: **«الدين النصيحة»**. قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: **«لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**، وقال عليه الصلاة والسلام: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ»**، والآيات والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرة.

ونسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يكف البأس عن جميع المسلمين، وأن يوفق جميع ولاة أمور المسلمين إلىٰ ما فيه صلاح العباد والبلاد، وقمع الفساد والمفسدين، وأن ينصر بهم دينه، ويعلي بهم كلمته، وأن يصلح أحوال المسلمين جميعًا في كل مكان، وأن ينصر بهم الحق، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه.

٣ - وفي العدد (٦٩) من مجلة البحوث الإسلامية نشر بيانان من هيئة كبار العلماء بالمملكة حول أحداث الرياض بتاريخ ١٣/ ٣/ ١٤٢٤هـ، وما جرىٰ مؤخرًا في المملكة

---

(١) سورة البقرة، الآيات (٢٠٤ - ٢٠٦).
(٢) سورة المائدة، الآية (٢).
(٣) سورة التوبة، الآية (٧١).
(٤) سورة العصر، الآيات (١ - ٣).

العربية السعودية من تفجيرات بتاريخ ١١/ ٦/ ١٤٢٤هـ، وهذا نصهما[١]:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، محمد وآله وصحبه.

أما بعد:

فإن مجلس هيئة كبار العلماء في جلسته الاستثنائية المنعقدة في مدينة الرياض يوم الأربعاء ١٣/ ٣/ ١٤٢٤هـ، استعرض حوادث التفجيرات التي وقفت في مدينة الرياض مساء يوم الإثنين ١١/ ٣/ ١٤٢٤هـ، وما حصل بسبب ذلك من قتل وتدمير وترويع وإصابات لكثير من الناس من المسلمين وغيرهم.

ومن المعلوم أن شريعة الإسلام قد جاءت بحفظ الضروريات الخمس، وحرمت الاعتداء عليها، وهي الدين والنفس والمال والعرض والعقل.

ولا يختلف المسلمون في تحريم الاعتداء علىٰ الأنفس المعصومة، والأنفس المعصومة في دين الإسلام إما أن تكون مسلمة؛ فلا يجوز بحال الاعتداء علىٰ النفس المسلمة وقتلها بغير حق، ومن فعل ذلك فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب العظام، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾[٢].

ويقول سبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[٣] الآية. قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الإثم. وهذا يدل علىٰ عظم قتل النفس بغير حق.

ويقول النبي ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦٩) الربيعان والجماديان ١٤٢٤هـ، ص(٣٦٧ - ٣٧٤).

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٣. (٣) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

بإحدىٰ ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة» متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

ويقول النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم علىٰ الله» متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وفي سنن النسائي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم».

ونظر ابن عمر رضي الله عنهما يومًا إلىٰ البيت أو إلىٰ الكعبة، فقال: «ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك».

كل هذه الأدلة وغيرها كثير تدل علىٰ عظم حرمة دم المرء المسلم وتحريم قتله لأي سبب من الأسباب، إلا ما دلت عليه النصوص الشرعية، فلا يحل لأحد أن يعتدي علىٰ مسلم بغير حق، يقول أسامة بن زيد رضي الله عنهما: بعثنا رسول الله ﷺ إلىٰ الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلًا منهم، فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتىٰ قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ بذلك فقال: «يا أسامة، أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله» قلت: كان متعوذًا، فما زال يكررها حتىٰ تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم متفق عليه. وهذا لفظ البخاري.

وهذا يدل أعظم الدلالة علىٰ حرمة الدماء، فهذا رجل مشرك وهم مجاهدون في ساحة القتال لما ظفروا به وتمكنوا منه نطق بالتوحيد، فتأوّل أسامة رضي الله عنه قتله علىٰ أنه ما قالها إلا ليكفوا عن قتله، ولم يقبل النبي ﷺ عذره وتأويله، وهذا من أعظم ما يدل علىٰ حرمة دماء المسلمين وعظيم جرم من يتعرض لها.

وكما أن دماء المسلمين محرمة؛ فإن أموالهم محرمة محترمة، بقول النبي ﷺ: «**إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**» أخرجه مسلم. وهذا الكلام قاله النبي ﷺ في خطبة يوم عرفة، وأخرج البخاري ومسلم نحوه في خطبة يوم النحر.

وبما سبق يتبين تحريم قتل النفس المعصومة بغير حق.

ومن الأنفس المعصومة في الإسلام أنفس المعاهدين وأهل الذمة والمستأمنين، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا**» أخرجه البخاري.

ومن أدخله ولي الأمر المسلم بعقد أمان وعهد فإن نفسه وماله معصوم لا يجوز التعرض له، ومن قتله فإنه كما قال النبي ﷺ: «**لم يرح رائحة الجنة**»، وهذا وعيد شديد لمن تعرض للمعاهدين.

ومعلوم أن أهل الإسلام ذمتهم واحدة، يقول النبي ﷺ: «**المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعىٰ بذمتهم أدناهم**».

ولما أجارت أم هانئ رضي الله عنها رجلًا مشركًا عام الفتح، وأراد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يقتله، ذهبت للنبي ﷺ فأخبرته، فقال ﷺ: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**» أخرجه البخاري ومسلم.

والمقصود أن من دخل بعقد أمان أو بعهد من ولي الأمر لمصلحة رآها، فلا يجوز التعرض له ولا الاعتداء لا علىٰ نفسه ولا ماله.

إذا تبين هذا فإن ما وقع في مدينة الرياض من حوادث التفجير أمر محرم لا يقره دين الإسلام، وتحريمه جاء من وجوه:

١ - أن هذا العمل اعتداء علىٰ حرمة بلاد المسلمين وترويع للآمنين فيها.

٢ - أن فيه قتلًا للأنفس المعصومة في شريعة الإسلام.

٣ - أن هذا من الإفساد في الأرض.

٤ - أن فيه إتلافًا للأموال المعصومة.

وإن مجلس هيئة كبار العلماء إذ يبين حكم هذا الأمر ليحذر المسلمين من الوقوع في المحرمات المهلكات، ويحذرهم من مكائد الشيطان، فإنه لا يزال بالعبد حتىٰ يوقعه في المهالك، إما بالغلو بالدين، وإما بالجفاء عنه ومحاربته - والعياذ بالله - والشيطان لا يبالي بأيهما ظفر من العبد؛ لأن كلا طريقي الغلو والجفاء من سبل الشيطان التي توقع صاحبها في غضب الرحمن وعذابه.

وما قام به من نفذوا هذه العمليات من قتل أنفسهم بتفجيرها فهو داخل في عموم قول النبي ﷺ: «**من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة**» أخرجه أبو عوانة في مستخرجه من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سمًّا فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدًا فيها أبدًا، ومن تردىٰ من جبل فقتل نفسه فهو يتردىٰ في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**» وهو في البخاري بنحوه.

ثم ليعلم الجميع أن الأمة الإسلامية اليوم تعاني من تسلط الأعداء عليها من كل جانب، وهم يفرحون بالذرائع التي تبرر لهم التسلط علىٰ أهل الإسلام وإذلالهم واستغلال خيراتهم، فمن أعانهم في مقصدهم وفتح علىٰ المسلمين وبلاد الإسلام ثغرًا لهم فقد أعان علىٰ انتقاص المسلمين والتسلط علىٰ بلادهم وهذا من أعظم الجرم.

كما أنه يجب العناية بالعلم الشرعي المؤصل من الكتاب والسنة وفق فهم سلف الأمة، وذلك في المدارس والجامعات، وفي المساجد ووسائل الإعلام كما أنه تجب العناية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي علىٰ الحق، فإن الحاجة - بل الضرورة - داعية إليه الآن أكثر من أي وقت مضىٰ، وعلىٰ شباب المسلمين إحسان الظن بعلمائهم والتلقي عنهم، وليعلموا أن مما يسعىٰ إليه أعداء الدين الوقيعة بين شباب الأمة وعلمائها، وبينهم وبين حكامهم؛ حتىٰ تضعف شوكتهم وتسهل السيطرة عليهم، فالواجب التنبيه لهذا، وقىٰ الله الجميع كيد الأعداء، وعلىٰ المسلمين تقوىٰ الله في السر والعلن، والتوبة الصادقة الناصحة من جميع الذنوب، فإنه ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، نسأل الله أن يصلح حال المسلمين، ويجنب بلاد المسلمين كل سوء ومكروه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه.

هيئة كبار العلماء

رئيس المجلس

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

صالح بن محمد اللحيدان — عبد الله بن سليمان المنيع — عبد الله بن عبد الرحمن الغديان

د/ صالح بن فوزان الفوزان — حسن بن جعفر العتمي — محمد بن عبد الله السبيل

د/ عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ — محمد بن سليمان البدر — د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي

محمد بن زيد آل سليمان — د/ بكر بن عبد الله أبو زيد — د/ عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان

د/ صالح بن عبد الله بن حميد — د/ أحمد بن علي سير المباركي — د/ عبد الله بن علي الركبان

د/ عبد الله بن محمد المطلق

٤- **ثانيًا**: بيان من هيئة كبار العلماء حول ما جرىٰ مؤخرًا في المملكة العربية السعودية من تفجيرات[1]:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن مجلس هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والخمسين التي انعقدت في مدينة الطائف ابتداء من تاريخ ١١/ ٦/ ١٤٢٤هـ، قد استعرض ما جرىٰ مؤخرًا في المملكة العربية السعودية من تفجيرات استهدفت تخريبًا وقتل أناس معصومين، وأحدثت فزعًا وإزعاجًا، كما استعرض ما اكتشف من مخازن للأسلحة، ومتفجرات خطيرة معدة للقيام بأعمال تخريب ودمار في هذه البلاد، التي هي حصن الإسلام، وفيها حرم الله وقبلة المسلمين، ومسجد رسول الله ﷺ، ولأن مثل هذه الاستعدادات الخطيرة المهيأة لارتكاب الإجرام من أعمال التخريب والإفساد في الأرض؛ مما يزعزع الأمن ويحدث قتل الأنفس وتدمير الممتلكات الخاصة والعامة، ويعرض مصالح الأمة لأعظم الأخطار، ونظرًا لما يجب علىٰ علماء البلاد من البيان تجاه هذه الأخطار من وجوب التعاون بين كافة أفراد الأمة لكشفها ودفع شرها، والتحذير منها، وتحريم السكوت عن الإبلاغ عن كل خطر يبيت ضد هذا الأمن، رأىٰ المجلس وجوب البيان لأمور تدعو الضرورة إلىٰ بيانها في هذا الوقت، براءة للذمة، ونصحًا للأمة، وإشفاقًا علىٰ أبناء المسلمين من أن يكونوا أداة فساد وتخريب، واتباعًا لدعاة الضلالة والفتنة والفرقة، وقد أخذ الله تعالىٰ علىٰ أهل العلم الميثاق أن يبينوا للناس، قال الله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية العدد (٦٩) الربيعان والجماديان عام ١٤٢٤هـ، ص(٣٧٥ - ٣٨٢).

مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾[١].

لذلك كله وتذكيرًا للناس وتحذيرًا من التهاون في أمر الحفاظ علىٰ سلامة البلاد من الأخطار، فإن المجلس يرىٰ بيان ما يلي:

أولًا: أن القيام بأعمال التخريب والإفساد من تفجير وقتل وتدمير للممتلكات عمل إجرامي خطير، وعدوان علىٰ الأنفس المعصومة، وإتلاف للأموال المحترمة، فهو مقتض للعقوبات الشرعية الزاجرة الرادعة؛ عملًا بنصوص الشريعة ومقتضيات حفظ سلطانها، وتحريم الخروج علىٰ من تولىٰ أمر الأمة فيها. يقول النبي ﷺ: «**من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة، أو يدعو إلىٰ عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتلة جاهلية، ومن خرج علىٰ أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشىٰ من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه**». أخرجه مسلم.

ومن زعم أن هذه التخريبات وما يراد من تفجير وقتل من الجهاد، فذلك جاهل ضال، فليست من الجهاد في سبيل الله في شيء.

ومما سبق فإنه قد ظهر وعلم أن ما قام به أولئك ومن وراءهم إنما هو من الإفساد والتخريب والضلال المبين، وعليهم تقوىٰ الله عز وجل والرجوع إليه والتوبة، والتبصر في الأمور وعدم الانسياق وراء عبارات وشعارات فاسدة ترفع لتفريق الأمة وحملها علىٰ الفساد، وليست في حقيقتها من الدين، وإنما هي من تلبيس الجاهلين والمغرضين، وقد تضمنت نصوص الشريعة عقوبة من يقوم بهذه الأعمال، ووجوب ردعه والزجر عن

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٨٧).

ارتكاب مثل عمله، ومرد الحكم بذلك إلىٰ القضاء.

ثانيًا: وإذ تبين ما سبق فإن مجلس هيئة كبار العلماء يؤيد ما تقوم به الدولة - أعزها الله بالإسلام - من تتبع لتلك الفئة، والكشف عنهم لوقاية البلاد والعباد شرهم، ولدرء الفتنة عن ديار المسلمين وحماية بيضتهم، ويجب علىٰ الجميع أن يتعاونوا في القضاء علىٰ هذا الأمر الخطير؛ لأن ذلك من التعاون علىٰ البر والتقوىٰ الذي أمرنا الله به في قوله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1].

ويحذر المجلس من التستر علىٰ هؤلاء أو إيوائهم؛ فإن هذا من كبائر الذنوب، وهو داخل في عموم قول النبي ﷺ: «**لعن الله من آوىٰ محدثًا**» متفق عليه، وقد فسر العلماء «المحدث» في هذا الحديث بأنه من يأتي بفساد في الأرض.

فإذا كان هذا الوعيد الشديد فيمن آواهم، فكيف بمن أعانهم أو أيد فعلهم.

ثالثًا: يهيب المجلس بأهل العلم أن يقوموا بواجبهم ويكثفوا إرشاد الناس في هذا الشأن الخطير؛ ليتبين بذلك الحق.

رابعًا: يستنكر المجلس ما يصدر من فتاوىٰ وآراء تسوغ هذا الإجرام، أو تشجع عليه؛ لكونه من أخطر الأمور وأشنعها، وقد عظم الله شأن الفتوىٰ بغير علم، وحذر عباده منها، وبين أنها من أمر الشيطان، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٢).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٦٩).

ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾[1]، ويقول جل وعلا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[2]، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئًا**» متفق عليه.

ومن صدر منه مثل هذه الفتاوىٰ أو الآراء التي تسوغ هذا الإجرام، فإن علىٰ ولي الأمر إحالته إلىٰ القضاء؛ ليجري نحوه ما يقتضيه الشرع؛ نصحًا للأمة وإبراءً للذمة، وحماية للدين، وعلىٰ من آتاه الله العلم التحذير من الأقاويل الباطلة وبيان فسادها وكشف زورها، ولا يخفىٰ أن هذا من أهم الواجبات، وهو من النصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، ويعظم خطر تلك الفتاوىٰ إذا كان المقصود بها زعزعة الأمن وزرع الفتن والقلاقل، ومن القول في دين الله بالجهل والهوىٰ؛ لأن ذلك استهداف للأغرار من الشباب، ومن لا علم عنده بحقيقة هذه الفتاوىٰ، والتدليس عليهم بحججها الواهية، والتمويه علىٰ عقولهم بمقاصدها الباطلة، وكل هذا شنيع وعظيم في دين الإسلام، ولا يرتضيه أحد من المسلمين ممن عرف حدود الشريعة وعقل أهدافها السامية ومقاصدها الكريمة، وعمل هؤلاء المتقولين علىٰ العلم من أعظم أسباب تفريق الأمة، ونشر العداوات بينها.

خامسًا: علىٰ ولي الأمر منع الذين يتجرءون علىٰ الدين والعلماء، ويزينون للناس

---

(١) سورة النحل، الآية: (١١٧).

(٢) سورة الإسراء، الآية: (٣٦).

التساهل في أمور الدين والجرأة عليه وعلىٰ أهله، ويربطون بين ما وقع وبين التدين والمؤسسات الدينية.

وإن المجلس ليستنكر ما يتفوه به بعض الكتاب من ربط هذه الأعمال التخريبية بالمناهج التعليمية، كما يستنكر استغلال هذه الأحداث للنيل من ثوابت هذه الدولة المباركة القائمة علىٰ عقيدة السلف الصالح، والنيل من الدعوة الإصلاحية التي قام بها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

سادسًا: أن دين الإسلام جاء بالأمر بالاجتماع، وأوجب الله ذلك في كتابه، وحرم التفرق والتحزب، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾[2]، فبرأ الله رسوله ﷺ من الذين فرقوا دينهم وحزبوه وكانوا شيعًا، وهذا يدل علىٰ تحريم التفرق وأنه من كبائر الذنوب.

وقد علم من الدين بالضرورة وجوب لزوم الجماعة، وطاعة من تولىٰ إمامة المسلمين في طاعة الله، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[3]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك...**» أخرجه مسلم، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصىٰ الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**» متفق عليه. وقد سار علىٰ هذا سلف الأمة

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية: (١٥٩).

(٣) سورة النساء، الآية: (٥٩).

من الصحابة ﷺ، ومن جاء بعدهم، في وجوب السمع والطاعة.

لكل ما تقدم ذكره فإن المجلس يحذر من دعاة الضلالة والفتنة والفرقة، الذين ظهروا في هذه الأزمان فلبَّسوا علىٰ المسلمين أمرهم، وحرضوهم علىٰ معصية ولاة أمرهم والخروج عليهم، وذلك من أعظم المحرمات، ويقول النبي ﷺ: «**إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنًا من كان**» أخرجه مسلم، وفي هذا تحذير لدعاة الضلالة والفتنة والفرقة، وتحذير لمن سار في ركابهم عن التمادي في الغي المعرِّض لعذاب الدنيا والآخرة، والواجب التمسك بهذا الدين القويم والسير فيه علىٰ الصراط المستقيم المبني علىٰ الكتاب والسنة وفق فهم الصحابة ﷺ ومن تبعهم بإحسان، ووجوب تربية النشء والشباب علىٰ هذا المنهاج القويم والصراط المستقيم حتىٰ يسلموا - بتوفيق من الله - من التيارات الفاسدة، ومن تأثير دعاة الضلالة والفتنة والفرقة، وحتىٰ ينفع الله بهم أمة الإسلام ويكونوا حملة علم، وورثة للأنبياء، وأهل خير وصلاح وهدىٰ، ويكرر التأكيد علىٰ وجوب الالتفاف حول قيادة هذه البلاد وعلمائها، ويزداد الأمر تأكدًا في مثل هذه الأوقات أوقات الفتن، كما يحذر الجميع حكامًا ومحكومين من المعاصي، والتساهل في أمر الله، فشأن المعاصي خطير، وليحذروا من ذنوبهم، وليستقيموا علىٰ أمر الله، ويقيموا شعائر دينهم، ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر.

وقىٰ الله بلادنا وجميع بلاد المسلمين كل سوء، وجمع الله كلمة المسلمين علىٰ الحق والهدىٰ، وكبت الله أعداءه أعداء الدين، ورد كيدهم في نحورهم، إنه سبحانه سميع قريب، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه ومن سار علىٰ دربه واقتفىٰ

أثره إلىٰ يوم الدين.

هيئة كبار العلماء

رئيس المجلس

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

صالح بن محمد اللحيدان عبد الله بن سليمان المنيع عبد الله بن عبد الرحمن الغديان

د/ صالح بن فوزان الفوزان حسن بن جعفر العتمي محمد بن عبد الله السبيل

د/ عبد الله بن محمد بن محمد بن سليمان البدر د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي

إبراهيم آل الشيخ

محمد بن زيد آل سليمان د/ بكر بن عبد الله أبو زيد د/ عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان

د/ صالح بن عبد الله بن حميد د/ أحمد بن علي سير المباركي د/ عبد الله بن علي الركبان

د/ عبد الله بن محمد المطلق

٥- أما رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، فقد أصدرت عدة بيانات منها، حول ما جرىٰ من تفجيرات وأعمال إرهابية وتخريب، نجتزئ من ذلك بيانًا واحدًا شاملًا عما حصل بالرياض بتاريخ ١١/ ٣/ ١٤٢٤هـ، وهذا نصه:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه إلىٰ يوم الدين، أما بعد:

فقد تابعت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي أحداث التفجيرات الإرهابية التي نفذتها عصابة إرهابية دفعها الانحراف والجهل بحقيقة الإسلام إلىٰ ارتكاب جرائم قتل للناس وترويع للآمنين، وهدم للمباني السكنية، وخروج علىٰ النظام وطاعة

ولي الأمر، وذلك من خلال عمليات انتحارية استخدم فيها المنتحرون سيارات مفخخة بقصد قتل أكبر عدد ممكن من الناس الآمنين، من سكان المباني التي استهدفوها.

وإذ تستنكر الرابطة والشعوب والمنظمات الإسلامية هذه الجريمة أشد الاستنكار، فإنها تعلن براءة الإسلام والمسلمين من هذا العمل الإرهابي الممقوت، الذي راح ضحيته عشرات من الناس، بين مسلمين وغيرهم، قتلوا غيلة وغدرًا، وعلىٰ حين غرة، بينما قتل المنتحرون أنفسهم، وارتكبوا بذلك جريمة مزدوجة، حيث أنهم منتحرون وقتلة.

إن رابطة العالم الإسلامي التي تلقت استنكار ممثلي الشعوب الإسلامية وقادة المنظمات والمراكز والجمعيات الإسلامية واستغرابهم لهذه الحوادث الإجرامية، واستهجانهم لها، فإنها ترىٰ أن من الواجب بيان ما يلي:

أولًا: تؤكد الرابطة أن الإرهاب دخيل علىٰ المجتمعات الإسلامية، وهو عمل غريب ومقحم علىٰ المجتمع الآمن المسالم في المملكة العربية السعودية، وغريب علىٰ شعبها المحب للخير والبرّ والمرحمة، وهو عمل مقيت عند أهلها الذين عاشوا ماضيًا وحاضرًا مع ولاة أمر حريصين علىٰ العمل بدين الله وتطبيق شرعه والدعوة إليه، وعلماء ثقات عرفوا بالاستقامة ومحاربة الغلو والبغي وأنواع العدوان.

ثانيًا: لقد قتل في الحوادث المذكورة عدد من المسلمين عمدًا، وهو أمر محرم في الشريعة الإسلامية حرمة قطعية توجب غضب الله سبحانه وتعالىٰ ولعنته وعظيم عذابه يوم القيامة ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ

ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴿٩٣﴾﴾[1].

ثالثًا: تم في الحوادث المذكورة قتل جماعة من السكان من غير المسلمين، وهم من المستأمنين الذين لا يجوز قتلهم: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ﴾[2]، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة**»[3].

رابعًا: لقد روع المجرمون الآمنين بحوادث التفجيرات تحت أجنحة الليل المظلم، حيث أحدثوا بسياراتهم المفخخة بالمتفجرات الهائلة رعبًا وهلعًا بين الناس، وهذا ليس من الإسلام: «**لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا**»[4].

خامسًا: لقد أقدم منفذو هذه الجرائم علىٰ قتل أنفسهم عمدًا، إذا فجروا أنفسهم، فألقوا بأنفسهم إلىٰ التهلكة التي حرم الله: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾[5]، ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾[6].

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**من قتل نفسه بشيء عذب به في نار جهنم**»[7]، وفي حديث آخر: «**من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم، خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**»[8].

---

(١) سورة النساء، الآية (٩٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٣٣).

(٣) رواه البخاري وأحمد وابن ماجه.

(٤) رواه أبو داود.

(٥) سورة البقرة، الآية (١٩٥).

(٦) سورة النساء، الآيتان (٢٩، ٣٠)

(٧) متفق عليه.

(٨) متفق عليه.

سادسًا: إن وقائع الجريمة التي برزت في الحوادث المذكورة وما اجتمع لها من عناصر هي من المحرمات القطعية في دين الله، ومما يدخل في الإفساد في الأرض، حيث تضمنت: القتل والترويع والأذىٰ، وهدم المنشآت، والخروج علىٰ الطاعة لولي الأمر، وقد شرع الله سبحانه وتعالىٰ الجزاء الرادع لهذا العمل، وعده محاربة لله ورسوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٣٣﴾[1].

سابعًا: إن أنواع القتل والترويع والأذىٰ وإرعاب الناس ليس من الجهاد في شيء، وإنما هو من جرائم الإرهاب المحرم الذي يتضمن إزهاق الأرواح وإراقة دماء الناس الآمنة سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين، لحرمة إراقة الدماء، وإزهاق الأرواح البشرية، قال سبحانه: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾[2].

إن رابطة العالم الإسلامي تعد ما حدث في مدينة الرياض من الأعمال التي لا يقرها الإسلام، ولا يتصف بها المسلمون، وهي تحذر جميع الفئات التي استهوت الأعمال الإرهابية من جهة المسلمين ومنحرفيهم من الحساب الإلهي يوم القيامة، كما تحذر المسلمين من الانخداع بما يعرضه الإرهابيون القتلة من شعارات زائفة؛ ليبرروا بغيهم وفسادهم في الأرض، فقد شنع الإسلام علىٰ هؤلاء أذاهم وفسادهم: ﴿وَمِنَ

---

(١) سورة المائدة، الآية (٣٣).

(٢) سورة المائدة، الآية (٣٢).

ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾[1].

إن الجريمة النكراء التي حدثت في الرياض قد يتكرر حدوثها في أي بلد إسلامي، أو غير إسلامي، فالإرهاب لا وطن له، وهو لا ينتسب إلىٰ دين ولا جنسية، لكن مشاركة بعض المنتسبين إلىٰ الإسلام فيه قد سبب إساءة بالغة إلىٰ الإسلام وإلىٰ الأمة الإسلامية، حيث اتخذ أصحاب الحملات علىٰ الإسلام من أعمال هؤلاء ذريعة لاتهام الإسلام والتطاول علىٰ صاحب الرسالة الخاتمة: نبينا محمد ﷺ، وسب المسلمين واتهامهم بما ليس فيهم، وقد نهىٰ الله سبحانه عن سب آلهة غير المسلمين سدًّا للذريعة الاستفزاز، ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[2]. وهذه الآية عند العلماء عمدة في تقرير أصل سد الذرائع.

وبعد:

فإن رابطة العالم الإسلامي تدعو علماء الأمة وحكماءها وكل مخلص فيها إلىٰ التعاون في سبيل مكافحة آفة الإرهاب الدخيلة علىٰ المجتمعات الإسلامية.

وتؤكد الرابطة علىٰ الأهمية البالغة للتوجيه الإسلامي الصحيح في معاهد التعليم ومدارسه، وتدعو إلىٰ بذل المزيد من الجهود في تيسير التعليم الديني في مدارس المسلمين وفق المنهاج الوسطي الذي اختاره الله سبحانه وتعالىٰ للأمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ

---

(١) سورة البقرة، الآيات: (٢٠٤-٢٠٦).

(٢) سورة الأنعام، الآية (١٠٨).

﴿أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(١).

وفي هذا المنهاج مبادئ الاعتدال والتوازن والتراحم الذي ينبغي أن يستقيم أمر المسلمين عليها.

وتهيب الرابطة بمؤسسات الإعلام والثقافة في المجتمعات الإسلامية أن تتعاون في معالجة أنوع الغلو والتطرف وفي محاربة الإرهاب، وتدعوها إلىٰ التعاون مع العلماء الثقات في معالجة هذه الآفة الخطيرة.

وإن الرابطة لتؤكد أن المملكة العربية السعودية بلد الإسلام الأول، والدولة التي تطبق شرع الله وتحتكم إلىٰ كتاب الله وسنة نبيه لن ينال منها ومن أمنها واستقرارها هذا العمل الأرعن، الذي يصب في خانة أعداء الله وأعداء المسلمين، وإن كل المسلمين في مختلف بقاع الدنيا ينظرون إلىٰ المملكة العربية السعودية نظرة متميزة، لمكانتها الدينية، ويستنكرون أي عمل يسيء إليها وإلىٰ أمنها واستقرارها.

وإنهم لعلىٰ ثقة بأن الجهات الأمنية ستصل إلىٰ الأيدي المجرمة ومن وراءها، وأنها ستتعامل مع هذا البلاء بحزم، وإن شعب المملكة المسلم يقف مع دولته وولاة أمره في مكافحته هذه الفتن.

وإن الرابطة إذ تعلن شجب العالم الإسلامي لهذه الأعمال لتدعو المسلمين إلىٰ الحذر من عواقبها الوخيمة، وتوصيهم بتقوىٰ الله، وتطبيق شرعه، والتواصي علىٰ الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والابتعاد عن كل ما يغضب الله.

ونسأله سبحانه وتعالىٰ أن يحمي بلاد المسلمين عامة وبلاد الحرمين خاصة من

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

الفتن ما ظهر منها وما بطن، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم[١].

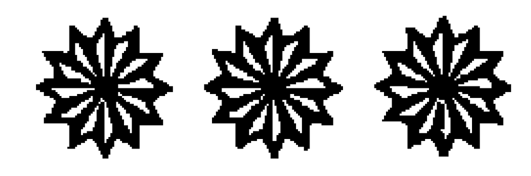
الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي

❋ ❋ ❋

(١) انظر كتاب: موقف الإسلام من الإرهاب وجهود المملكة العربية السعودية في معالجته. تأليف الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص(٨٢ – ٨٨).

فهرس الموضوعات



من إصداراتنا

الإبانة عن أصول الديانة

للإمام

أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري

ت / ٣٢٤ هـ

مع ترجمة موجزة لأبي الحسن الأشعري وكتابه الإبانة

لفضيلة الشيخ العلامة

حماد بن محمد الأنصاري

رحمه الله

قدم له

فضيلة الشيخ العلامة
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

فضيلة الشيخ العلامة
إسماعيل بن محمد الأنصاري

هذا الكتاب

يتعرض لظاهرة تموج في العالم ، كل قد نعتها بتسمية حسب مفهومه ، وأغلبهم أطلق عليها الإرهاب ومن المهم توضيح إضافة على هذا المفهوم ، الذي احتار المختصون في إعطائه تسمية ملائمة . إذ زادت التعريفات عن ((١١٠)) ، كل يدعى أن ما طرح ينطبق على ما يدور في الساحة . مع أن الهدف والغاية لم يحددا . ولا يغرب عن البال : أن الخير والشر ، ضدان لا يلتقيان ، وأن كل فئة من البشر : قديماً وحديثاً ، يوجد بها من يميل لهذا ، أو يركن لذلك بحسب النزعة عنده ... وفي كتاب الله الكريم ، كما في الكتب السماوية من قبل : مدح لفئة من أهل الكتاب – وهم اليهود والنصارى – ، بأعمالهم الطيبة . وذم للمسيء منهم ، شأنهم شأن أمم الأرض ولا يصح الاحتجاج او التزكية . لأن الله قال : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ . النجم : آية ٣٢ . وما أوردته من حديث عن الإرهاب ، فما هو إلا تبيان لنوعيات من البشر ، لعل الله يهديهم ، استحسنت تسميتهم : الفئة الضالة ، لميولهم عن المنهج السليم ، الذي تتوق إليه البشرية وترسخه شرائع الله ، ولا يصح أن يطلق هذا العمل على عموم الجنس ، فتؤخذ العامة ، بجريرة الخاصة ، ولا استغلال هذه الظاهرة لمآرب معينة . كما لا يجوز نعت عموم المسلمين بالإرهاب ، ولا دينهم بأنه يعلم الإرهاب وهو شرع الله الذي شرع لعباده ، لأنه كامل لا نقص فيه ، كما أن اليهود والنصارى ، وغيرهم من شعوب الأرض ، لا يريدون نعتهم بأعمال العنصريين والمفسدين إذ : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ الأنعام ، الآية ١٦٤ .

وإنما نتأسى بما جاء في القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ بأهمية التثبت ليكون للمحسن إحسانه ، وعلى المسيء إساءته ، فأبو لهب ، وآزر لم تنجيهما من عذاب الله القرابة من خيرة أنبياء الله ، ذلك أن الأقرباء ، والأشقاء تختلف تصرفاتهم وأعمالهم : يميناً وشمالاً : والمنتمون للإرهاب عالمياً من هذا النوع ، حيث يشارك فيه أفراد من كل مكان ، ... الواجب تجاهل الحساسيات والتعصب ، وتظافر الجهود ضد هذه البادرة ، وتتبع ... والأسباب ، ومن ثم وضع الحلول المعينة في تضييق المسالك على مثيري الفتنة ...

ونذكر بأهمية فهم المضمون جيداً لهذه الآية : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ ... أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ البقرة الآيتان ٤٧ ، ١٢٢ . والتفضيل ... تقوى الله والشر وحسن الإتباع لأن ((الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله))

ردمك: ٩ - ٣...

حسام الدين
01000 87055